د. ناصر الدين الأسد: العولمة إحدى حلقات التآمر الغربي على الشعوب الإسلامية

العدد ٤٢٥ ـ السنة ٣٨ - محرم ١٤٢٢ هـ - مارس/ أبريل ٢٠٠١ م

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

تأسست عام ١٣٨٥ هـ-١٩٦٥ م

رعاية الأوقاف تجربة كويتية رائدة





إشكالية المعرفة بين الدين والفن

قضايا فكرية

دور الثقافة الذاتية في بناء عالم المسلمين الثقافي

قضايا عالمية

الحمى القلاعية شبح يهدد العالم





كل عام وأنتم بخير

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وأسرة تحرير مجلة الوعي الإسلامي

من صاحب السمو أمير البلاد

وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء

وأعضاء الحكومة الموقرة
ورئيس وأعضاء مجلس الأمة
بأطيب التهاني وأجمل الأماني لمناسبة

العام الهجري الجديد

أعاده الله على المسلمين قاطبة باليمن والخير والبركات
سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يرحم الشهداء الأبرار
ويفك قيد الأسرى، ويعيدهم إلى أهليهم سالمين غانمين
إنه سميع مجيب

الوعي الإسلامي

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 425 - السنة الثامنة والثلاثون - محرم 1422 هـ - مارس / أبريل 2001 م

كلمة العدد

ونحن في دورة ثقافية جديدة

أعزاءنا القراء والكتَّاب:

بصدور هذا العدد الذي بين أيديكم تكون قد مضت دورة ثقافية سنوية، وبدأت دورة ثقافية جديدة، ندعو الله تعالى أن تكون في مستوى الطموحات والآمال المرجوة، وما يلبي تطلعاتكم ويحقق ملاحظاتكم ومقترحاتكم التي تلقيناها منكم على مدار السنة الماضية.

إنَّ ازدهار المجلة وتقدمها ورقيها وزيادة شريحة قرائها لايمكن أن يتحقق إلا من خلال بناء جسور التواصل الفكري والثقافي بين المجلة وقرائها وكتَّابها، ومعالجة جميع القضايا بأسلوب هادئ متزن يقوم على الحجة والدليل والإقناع، بعيداً عن التعصب والتشنج والارتجالية، ويتناسب ومعطيات الواقع المعاصر والمرحلة الراهنة، وهو أمر نحرص على تعزيزه وتأصيله في دورتنا الثقافية الجديدة.

فكونوا لنا العون والسند في ذلك، وجزاكم الله خيراً ●

الوعي الإسلامي

موضوع الغلاف



مسألة الذات وإنتماءاتها الفكرية والثقافية والحضارية أمر في غاية الأهمية وإن إنكار الأمة لذاتها وعدم معرفتها لتاريخها ورجالها وعلمائها سيعصف بمراكز القوة والحيوية في أعماقها ويتركها كياناً هامداً لا روح فيه ولا حياة ●

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلسا
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الامارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان : ٥٠٠ بيسة
- الأردن : **دينار** واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريال
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سوريا : ٥٠ ليرة
- المغرب : ١٠ دراهم
- ليبيا : **دينار** واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله.
- امريكا ودول العالم : **٣ دولارات** أو مايعادلها.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت
هاتف : ٨٤٤٠٤٤ / ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦
٥٣٤٨٩٥٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954
e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الإشتراكات

● داخل الكويت :
للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا

● الدول العربية :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).

● دول العالم :
للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).

● للمؤسسات :
٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

وكيل التوزيع شركة المنى للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف ٣ / ٤٨٣٤٩٢٢ فاكس: ٤٨٣٤٨٩٣
ص.ب ٤٢٤٨٠ الشويخ 70655 الكويت

مطابع السياسة ـ الكويت

في هذا العدد

قضايــا

34 انتفاضة الأقصى والتحول في المواقف



لم يكن في تقدير صناع القرار أن تكون انتفاضة الأقصى المبارك على هذه الدرجة من القوة والفاعلية والتأثير الكبير في النفوس العربية وغير العربية الأمر الذي غيَّر كثيراً من المواقف الرسمية والشعبية بشكل يعجز الفكر فيها عن الإحصاء والتقدير، ترى ما حقيقة هذه المواقف؟

مناسبات إسلامية

18 دروس من وحي الهجرة

هل فكر المسلمون وهم يستقبلون عاماً هجرياً جديداً ببناء مستقبل يرضي ربهم ويعزِّ جانبهم؟ وهل يتلمس المسلمون في ذكرى هجرة بينهم أسباب النجاة والتقدم والازدهار لينفضوا عن كاهلهم غبار العنف والتخلف؟!.

أحكـام

27 المزاح بين الحلال والحرام

ما حقيقة المزاح؟ وما مدى حاجتنا إليه؟ وما موقف الإسلام منه، وهل في ذلك صور عملية من العصور الإسلامية الأولى؟

الفهـرس

رعاية الأوقاف
تجربة كويتية رائدة

قام الوقف خلال مسيرة التاريخ الإسلامي بأدوار كبيرة في إثراء الحضارة الإسلامية وأسهم بشكل فاعل في بناء مؤسسات المجتمع، الاقتصادية والاجتماعية وعطائها المميز في المجالات التعليمية والصحية ومحاربة الفقر.

وليس غريباً في هذا المجال أن تخصص المجتمعات الغربية المعاصرة أبحاثاً ودراسات لدراسة نظام الوقف في الإسلام، وقد برزت على غرار ذلك هناك الكثير من المؤسسات الخيرية والإنسانية. هذه المؤسسات تعمل وفق هذا النظام الفريد الذي ينطلق من حبس الأصل أياً كان نوعه سواء أكان عقاراً أم كتباً أم منقولات وصرف ريعه على أبواب الخير حسب ما يحدده الواقف من بناء للمساجد أو حفظ للقرآن أو إقامة للولائم أو بناء للمدارس أو المستشفيات أو دور الفكر والعلوم بجميع أنواعها، أو إطعام للفقراء والمساكين وإغاثة المنكوبين وغيرها ... إلخ.

إن نظام الوقف في مسيرة التاريخ الإسلامي حفل بجوانب إنسانية وتنموية جاءت من خلال رعاية الخلفاء والعلماء بصور شتى من توافر طاقات بشرية وتأمين النظم والتشريعات بهدف استغلال هذا المعلم الحضاري إدارياً ومالياً، وعليه، فإن العناية بالأوقاف وحمايتها وتدعيمها في المجالات التشريعية والإدارية وإفساح المجال أمامها كي تنمو وتتطور من شأنه أن يزيد من إسهامها في تنمية المجتمعات الإسلامية وتحقيق المشاركة الأهلية في دعم خطة التنمية وبرامجها والوفاء بحاجات المجتمع.

ودولة الكويت من خلال اهتمامها بهذا المعلم التاريخي، قامت منذ سنوات عدة بإنشاء الأمانة العامة للأوقاف وفق نظام تنموي شامل، وفي إطار قانوني وتشريعي يهدف إلى رعاية مميزة للوقف، وأنشأت الأمانة العامة في سبيل ذلك الكثير من الصناديق الوقفية المتخصصة في حفظ القرآن الكريم، ورعاية المساجد والفكر والثقافة والتنمية الأسرية والعلوم والمرأة والشؤون الصحية، وشكلت لكل صندوق وقفي مجلس إدارة خاص به يسعى لتحقيق أهدافه ومتابعة شؤونه، وقد حرصت الأمانة العامة للأوقاف على إشراك القطاع الأهلي في مسيرته المباركة من خلال تعيين أعضاء من الأهالي في مجالس إدارات هذه الصناديق، وكذلك مجلس الأوقاف الذي يشرف على جميع أعمال الصناديق الوقفية والأمانة العامة.

وقد قطعت الأمانة العامة خلال مسيرتها المباركة خلال الخمس سنوات الماضية جهوداً طيبة ومميزة في جميع المجالات التنموية حتى تم تكريمها العام الماضي كأفضل مؤسسة حكومية حققت الإبداع والتميز في أعمالها على مستوى دولة الكويت... كما تخطت هذه التجربة حدود الكويت لتطرح نفسها كأنموذج يحتذى به على مستوى الدول الإسلامية وفق قرار منظمة المؤتمر الإسلامي الذي حضَّ الدول الإسلامية على التنسيق مع دولة الكويت في مجال يتناول الخبرات والمعلومات والتجارب، وعقد اللقاءات العلمية لتفعيل أداء المؤسسات الوقفية الوطنية وتطورها.

كما أعدَّت الأمانة العامة للأوقاف بالكويت استراتيجية شاملة للنهوض بالأوقاف وتنميتها وتفعيل دورها في تنمية المجتمعات الإسلامية.

وإننا بهذه المناسبة نحض الدول الإسلامية على توافر المزيد من الرعاية للأوقاف في المجالات التشريعية والإدارية والاستفادة من التجربة الكويتية لأنها تعتبر تجربة تستحق التقدير ●

رئيس التحرير



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

رسائل خاصة

● **الأخ حسن القضاة - الأردن:**
وصلت رسالتكم المتضمنة استنكاركم لما حصل بشأن قصيدتكم «طفل الحجارة» ولما كان البيان الصادر من قبلكم لا يخصنا على اعتبار أن القصيدة المذكورة لم تنشر في مجلتنا، لذا نأسف لعدم نشر البيان وندعو الله لكم بالتوفيق لنيل حقوقكم الأدبية كاملة وجزاكم الله كل خير.

● **الأخ د.محمد محمود علي - مصر:**
شكراً على عواطفكم تجاه المجلة لكن الموضوع الذي أنت بصدده لا يخصنا لا من قريب ولا من بعيد، وهناك نظم وقوانين للتعيين في وزارة الصحة يمكنكم عن طريق من تعرف من الأصدقاء متابعة الأمر أو الاتصال مباشرة بالوزارة للاستفسار.

● **العمراني إدريس - المغرب:**
أحلنا أسئلتك إلى إدارة الفتوى في الوزارة، ونأمل أن تصدر الإجابة عنها في القريب العاجل وشكراً لثقتك بالمجلة والقائمين عليها.

● **الأخ قاسم رجب علي - مصر:**
شكراً على التهنئة التي بعثتم بها لمناسبة اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٠١م، ونأمل منكم التواصل الفكري مع المجلة.

من دروس الهجـرة

١ - الصبر عند الشدائد ابتغاء مرضاة الله، حيث يعقب الصبر الفرج، والله يقول في الآية ١٥٣ من سورة البقرة: (يأيها الذين أمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين).

٢ - كتمان السر واجب، فقد صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى الأعداء وهو يُعدُّ ويخطط للهجرة وتكوين الدولة الإسلامية سراً حتى نصره الله بتحقيق آماله، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان».

٣ - مخادعة العدو لون من ألوان كتمان السر، فقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من جنوب مكة مع أن المدينة تقع شمالها، فعميت الأنباء على الأعداء.

٤ - وفاء الصديق لصديقه: فعندما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم وأبوبكر الغار، أخَّر الصديقُ الرسولَ ليتقدم هو نحو الغار ليستبرئه من الهوام والحشرات ويسد ثقوبه إلا ثقباً واحداً سده بإحدى قدميه، ودخل الرسول بعده، ليتوسد فخذ أبي بكر طلباً للراحة، وقد نزلت على خده دمعة ساخنة ذرفتها عينا أبي بكر من هول ما لدغ من ثعبان بالغار، ففطن الرسول صلى الله عليه وسلم فانتزعها ودعا الله له، فشفيت بإذن الله.

٥ - الثقة بالله مفتاح كل خير ونصر: فقد عاهد الله عباده الواثقين به بالنظر إذ يقول في حديث قدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني...».

٦ - كل هجرة يجب أن تكون للعمل والجهاد في سبيل الله والدين والدنيا الحلال.

فعلى كل مسلم اليوم أن يهاجر بفكره وحواسه وقلبه إلى الله هجرة مخلصة صادقة حتى ينصلح حال الوطن الإسلامي وتعود إليه عزته وأمجاده.

محمد السيد عامر - مصر

القيم الحضارية للإعلام الإسلامي

مفهوم الإعلام الإسلامي في النظرة الإسلامية يختلف عن مفهوم الإعلام في مناهج المدارس الإنسانية، وإذا كان الإعلام في المدرسة الألمانية، هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير، ولروحها، وميولها، واتجاهاتها في الوقت نفسه، فإن هذا التعريف ينطلق من ذهنية لها خلفية ثقافية مغايرة للتصور الإسلامي الصحيح.

ذلك لأن الإعلام في مفهوم الإسلام هو محاولة توصيل الحقائق الصادقة إلى الناس ليجتنبوا شروراً سوف تصيبهم في العاجل أو الآجل، وإذا كان الإعلام بتعدد وسائله هو الوسيلة الأولى للاتصال بالمخاطبين، فإن الوسيلة في الإسلام يجب أن تتبع الغاية في شرفها، فإن الوسائل في منهج الإسلام لاتنفصل عن الغايات، وإذا كان هدف الإعلام في النظم الوضعية هو الترويج لمبدأ ما أو محاولة لإيجاد رأى عام حول قضية ما عن طريق الوسائل المختلفة من إذاعة وتلفاز وسينما ومسرح وصحيفة وكتاب أو عن طريق الاتصال المباشر بعقد الندوات والمؤتمرات وغير ذلك، فإن الإسلام يحبذ استعمال هذه الوسائل كلها شرط أن تستخدم في نشر الفضيلة، وحماية القيم، وأن تنمِّي مشاعر الخير والحق عند الإنسان، وأن تصوغ عقله ووجدانه وفق تعاليم الإسلام، وأن تلتزم الصدق والموضوعية والترويج لما يهدد الكيان المادي والمعنوي لجموع المسلمين. وذلك بمصادرة الآراء الخاطئة لأنها تشكل خطراً على كيان الأمة، وتكون بمثابة الجراثيم والفيروسات التي تأكل قيمها وتنخر في أخلاقها ومعتقداتها، ومن ثمَّ تهلك الأمة ويضيع الكيان العام لما يتهدد أمنها وسلامتها، إذا تركت الفكر الملوث ينتشر في عقول أبنائها ●

محمد حسانين - مصر

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به)

إن ما تطلعنا عليه وسائل الإعلام كل يوم من التصرفات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ليس بغريب عما يطلعنا عليه تاريخهم من ممارسات غير إنسانية تجاه البشرية كلها.

فيكفي أنهم «مصاصو دماء» بحكم شريعة التلمود، التي تدعوهم إلى سفك واستنزاف دماء المسلمين والمسيحيين على السواء، لتستخدم هذه الدماء بعد ذلك في علاج بعض الأمراض. وفي بعض الأعمال السحرية، وفي كثير من الطقوس الدينية. كما يذكر الحاخام المتنصر «ناوفيطوس» في رسالته «سر الدم المكتوم»: منها دهن صدور الموتى، ومزجه بخبز عيد البوريم. وفطيرة عيد الفصح. وفي إطعام العروسين ليلة القران. ومزج بعضه بدم الطفل المختون ودهن حلقه به. ودهن أصداغهم به في ذكرى خراب أورشليم في كل سنة. ورش بعضه على البيض المسلوق وتناوله في هذه الذكرى.

فإذا خشي على هذا الدم المستنزف من أن ييبس ويفسد - كما يقول الحاخام «ناوفيطوس» فتبلل به قطعة من الكتان حتى تنشر به وتحرق بعد ذلك، ويحفظ رمادها في حقاق ترسل من بلاد إلى بلاد: حيث لا يمكن لليهود في كثير من الجهات أن يستنزفوا هذا الدم.

بل إن التلمود ليحرِّم ردَّ الأشياء المفقودة إلى أصحابها إن لم يكونوا يهوداً، فقد جاء في السنهدرين: «الله لايغفر ليهودي يرد للأمي (أي غير اليهودي) ماله المفقود». ولا يعتبر التلمود أي قسم يقسمه اليهودي لأي فرد من باقي شعوب العالم يميناً لأن القسم لغير اليهودي من وجهة نظرهم قسم لحيوان فلا يعد يميناً، لأن اليمين جعلت لحسم النزاع بين الناس. وفي أحكام عيد الغفران أو يوم الكفارة عند اليهود، وهو اليوم العاشر من شهر أكتوبر: أن يرجع اليهودي في كل وعد أو تعهد قطعه على نفسه طوال العام مع غير اليهود. هذا قليل من كثير لا يتسع المقام لذكره.

وختاماً أقول: كيف يكون هناك سلام؟! وكيف يكون هناك عهد مع من لايعرف معناهما كما نعرفه نحن؟!! نحن الذين قال لنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «ألا من ظلم معاهداً أو تنقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة»، والذي قال: «من آذى ذمياً فأنا خصمه».

فهاهم اليهود وها هي عقائدهم التي ينبغي على كلٍّ منَّا أن يعلمها ويحذرها، ويعلِّمها غيره، آملين أن تبني موقفاً صحيحاً موحداً.

د.جمال الحسيني أبو فرحة

مدرس علم الكلام ومقارنة الأديان «جامعة قناة السويس»

أطروحة دكتوراه

رئيس التحرير: أفيدكم أني طالب في مرحلة الدكتوراه، وأحتاج في رسالتي لأحد الأبحاث التي نشرت في مجلة «الوعي الإسلامي» العدد ١٠٥ سنة ١٩٧٣ بعنوان «فن التجويد هو موسيقا القرآن» للكاتب أحمد الباقوري، حيث حاولت البحث في دراستي عن الموضوع نفسه فلم أتمكن.

عبدالله الجيوسي - الجامعة العالمية الإسلامية - ماليزيا

المحرر: نرجو أن يكون البحث الذي طلبته قد وصل إليك فقد أرسلناه عبر البريد الإلكتروني، وقد سررنا جداً بمتابعة الباحثين الجادين أمثالك للمقالات والأبحاث التي نُشرت في «الوعي الإسلامي» منذ نحو ٣٠ سنة، وعسى أن ننشر قريباً خبر نيلك الدكتوراه، كما نرجو أن ترسل ملخَّصاً عن أطروحتك لننشرها فيطلع عليها أكبر عدد من المهتمين ●

أين الاستطلاعات الحية المصورة؟

رسالة مؤثِّرة وصلتنا من القارئ أحمد فارس عوض من جمهورية مصر العربية يشيد فيها بالقفزة النوعية التي خطتها مجلة الوعي الإسلامي مادة وإخراجاً، مقارنة بالسنوات الأولى من صدورها، لكنه يتساءل عن السبب الذي يمنع المجلة من إجراء استطلاعات مصوَّرة للمدن والمعالم الحضارية الإسلامية ومواقع الأقليات المسلمة، وهل التمويل المالي هو السبب؟ ●

المحرر: شكراً للأخ أحمد على عواطفه تجاه المجلة، ونأمل أن نحقق أمنيته في المستقبل القريب إن شاء الله.

هل العصر ساعة من النهار؟

وهي وقت الأصيل قبل الغروب، حيث يكون النهار على وشك الانتهاء، وفيه تنبيه للإنسان إلى التدارك بالتوبة قبل فوات الأوان، وفي هذه الساعة يكون الناس قد أوشكوا على الفراغ من أعمالهم وبدؤوا يستعدون للعودة إلى بيوتهم، وكما لا يحب أحد أن يعود إلى بيته خالي الوفاض بادي الأنفاض وعياله ينتظرونه يطلبون حقوقهم.

فكذلك لا ينبغي له أن يعود إلى الآخرة صفراً من الحسنات، وكما أقسم (تعالى بالضحى في حق الرابح: (والضحى. والليل إذا سجى. ما ودَّعك ربُّك وما قلى) الضحى: ١ - ٣. لأن النهار يكون في إقبال، فكذلك أقسم بالعصر في حق الخاسر لأن النهار يكون في إدبار، فكأنه يقول للإنسان إذا فاتك أول النهار فلا يفوتك آخره. وإذا فاتك العمل الصالح فيما مضى من عمرك، فلا يفوتك في ما بقي منه، وإذا فاتتك التوبة فيما سلف فلا تفوتك فيما بقي نظير قوله تعالى: (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) الأنبياء:١.

محمد أنور دالي

حكومة كويتية جديدة

أعلن مساء الأربعاء ٢١ ذو القعدة ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠١/٢/١٤م تشكيل الحكومة الجديدة برئاسة سمو ولي العهد الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح.

وتضم الوزارة في عضويتها كلاً من: الشيخ صباح الأحمد الجابر «نائباً أول لرئيس الوزراء وزيراً للخارجية»، الشيخ جابر المبارك «نائباً وزيراً للدفاع»، الشيخ محمد الخالد «نائباً وزيراً للداخلية»، محمد ضيف الله شرار «نائباً وزيراً لشؤون مجلسي الوزراء والأمة»، الشيخ محمد صباح السالم «وزيراً للدولة للشؤون الخارجية»، الشيخ أحمد الفهد «الإعلام»، الشيخ أحمد عبدالله الأحمد «المواصلات»، د.عادل الصبيح «النفط»، النائب طلال العيار «للشؤون والكهرباء»، النائب صلاح خورشيد «التجارة»، النائب أحمد باقر «العدل والأوقاف»، النائب فهد الميع «الإسكان والأشغال»، د.محمد الجارالله «الصحة»، مساعد الهارون «للتربية والتعليم العالي»، ود.يوسف الإبراهيم «المالية والتخطيط والتنمية الإدارية».



أحمد باقر وزير العدل ووزير الأوقاف

شارك فيها ٢٠٠٠ متسابق، وبلغ مجموع جوائزها ٥٠٠٠ دينار

أسماء الفائزين بالمسابقة الثقافية السنوية التاسعة

أعلنت مجلة الوعي الإسلامي الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت أسماء الفائزين في المسابقة الرمضانية التاسعة التي تهدف إلى نشر الوعي الثقافي الإسلامي في ربوع العالم الإسلامي، وتهدف المسابقة كذلك إلى تشجيع القراء على القراءة والاطلاع بعد أن هجر الكثيرون القراءة مستعيضين عنها بوسائل الإعلام المرئية والمسموعة.

وقد بلغ عدد المشاركين في المسابقة الثقافية لهذا العام، والتي نُشرت في مجلة الوعي الإسلامي أكثر من ألفي مشارك من مختلف الدول العربية، وبلغت مجموع جوائزها «٥٠٠٠ د.ك»، وتم فرز الإجابات الصحيحة، وبعد الفرز أجريت القرعة بحضور مسؤولين من المجلة ووزارة الأوقاف، وفيما يلي أسماء الفائزين بالجوائز المالية:

عفاف عبدالله، فريد عبدالحميد مصطفى، نهى محمد خيرالدين، بدور محمد سعيد سناد، آمنة خالد الأيوبي، محمود أبو الخير شريفة، سعاد مصطفى عطية، أحمد فايز مشعل عايز، هدى إبراهيم أحمد، مريم يوسف علي، سناء ناصر العريفان، علي عبدالرحيم أحمد، أختر عالم، صالح بن سعيد الصخبوري، منيرة خالد الشاهين، أحمد عبدالله إبراهيم، ست أبوها عبدالخالق شعلان، أحمد عبدالكريم جمال، آلاء محمد هاني، جاسم محمد علي ملك، علي أحمد فراج علي، محمد يوسف إبراهيم، سالم شاكر العابدين، فاطمة محمد غينون، زينب إبراهيم جارس، عبدالوهاب علي، علي رمضان صالح، حنان محمود همام، آيت همو فاطمة، عصام إبراهيم محمد الكندري.

الاحتياط هم: إيمان علاء الدين، سليمان إبراهيم بازين، إبراهيم عبدالجليل، ابتسام صالح إبراهيم، أماني فرحان أيوب.

ومجلة الوعي الإسلامي إذ تهنئ الفائزين الأعزاء بالمسابقة فإنها تدعوهم لاستلام جوائزهم لدى صندوق وزارة الأوقاف الكائن في مجمع الوزارات

لقاء وزير الأوقاف مع وفد الأيتام

أحمد باقر: إن ما تقوم به الكويت نحو الأيتام نابع من الإحساس بالمسؤولية تجاه المسلمين

كتب: أحمد فرغلي

استقبل معالي وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد يعقوب باقر في مكتبه بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وفداً من الأيتام مكوناً من ٣١ يتيماً ومشرفاً يمثلون الدول التالية: الفلبين - سيلان - البحرين - السنغال - تركيا - ألبانيا. يأتي هذا في إطار مشروع «كافل اليتيم» الذي يقوم به بيت الزكاة الكويتي.

وفي بدء اللقاء ألقى مدير مشروع «كافل اليتيم» في بيت الزكاة، عثمان المحطب كلمة شرح فيها أبعاد وأهداف مشروع «كافل اليتيم» ودور بيت الزكاة في العناية باليتيم.

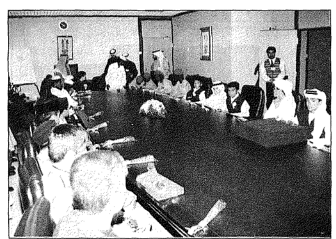
ورحب معالي وزير العدل وزير الأوقاف بالوفد وألقى كلمة بهذه المناسبة قال فيها: إن ما قام به إخوانكم الذين تبرعوا بهذا المشروع وتبنّاه بيت الزكاة الكويتي هو من الواجبات التي حضَّ الإسلام عليها لأننا نحن المسلمين - «كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى». وقد حضنا الرسول صلى الله عليه وسلم على كفالة اليتيم والعناية به. وأضاف الوزير: ربما شاءت قدرة الله منح بعضنا المال ومنع الآخرين من أجل أن يكون بينهم تكافل وتراحم.

وأكد باقر لوفد يتامى المسلمين، أن ما تقوم به الكويت نابع من الإحساس نحو المسلمين في كل دول العالم، وتمنى الوزير على أعضاء الوفد أن يكون كل منهم سفيراً لدولة الكويت في الخارج.

وقال الوزير مخاطباً الوفد: إذا كانت لديكم أمور أو اقتراحات للدعوة ولخدمة المسلمين في التعليم أو المشاريع الإسلامية، فلا تترددوا أن تتقدموا بها لبيت الزكاة فهو الذي يعتبر لبنة في بناء صرح الإسلام العظيم، نرجو أن نشارك جميعاً في بناء أمتنا الإسلامية حتى نعيد لها أمجادها ●

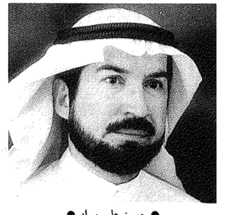






حسن علي مراد مدير مكتب خدمة المواطن بالوزارة

اهتمام من قياديي الوزارة بتفعيل دور مكتب خدمة المواطن



● حسن علي مراد ●



إن مكتب خدمة المواطن في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لا يقل دوره وأهميته عن باقي الإدارات نظراً لاتصاله المباشر مع الجمهور وتلبية الرغبات.

وقد تم تفعيل هذا الدور لمكتب خدمة المواطن في ٢٠٠٠/١/١٥م بناء على توجهات وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السابق الدكتور سعد الهاشل، واستناداً إلى القرار رقم (١١٢٩) لعام ٢٠٠٠م، بإعادة تنظيم مكتب خدمة المواطن بهدف تنمية ودعم جسور التواصل والترابط بين أجهزة الوزارة وجمهور المراجعين، والرد على الاستفسارات والشكاوى والاقتراحات المقدمة منهم بعد دراستها وتقويمها على ضوء اللوائح والنظم المتبعة وتقديم أفضل الخدمات لهم ضمن الاختصاصات المحددة للوزارة.

وعن تفعيل دور المكتب يقول مدير مكتب خدمة المواطن حسن علي مراد: إن كمية الاتصالات كبيرة والإقبال على خدمات الوزارة وأنشطتها كثيف فيتلقى المكتب بمعدل ٢٥ اتصالاً يومياً و ٦٥٠ اتصالاً شهرياً، وذلك إما بالحضور شخصياً أو بالاتصال هاتفياً أو بالفاكس أو عن طريق التسجيل الآلي على مدار ٢٤ ساعة أو عبر الإنترنت أو ما يذكر بالصحافة.

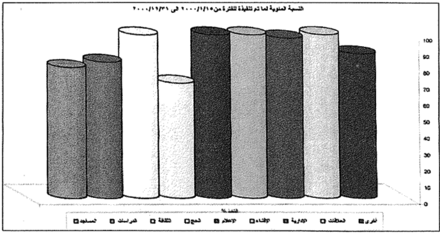
وجميع الطلبات ترسل مباشرة إلى جهة الاختصاص سواء كانت للمساجد أو الدراسات الإسلامية أو الحج أو الشؤون الإدارية أو إدارة الإعلام الديني أو الثقافة الإسلامية أو الإفتاء وغيرها للرد عليها وتنفيذها، وذلك بالتنسيق مع ضباط الاتصال، ومن ثمَّ إخطار أصحاب الشأن بالنتائج المرجوة، وأيضاً ترفع صور عن الإفادات للسادة الوكلاء المساعدين كل حسب قطاعه والإدارات التابعة له، وسنلقي الضوء على حجم الاتصالات لعام ٢٠٠٠م ونتائج المتابعة مصنفة حسب الإدارات والنوع، فقد بلغ عدد الاتصالات (٧٩٣٠) اتصالاً منها ١٩٤٦ شكوى، و٥٣٠١ استفسار، و٥٩١ اقتراحاً.

والأعمال المنفذة منها ٨٢٪، ويرجع الفضل في ذلك لله ثم لجهود وتعاون وتجاوب جميع الإدارات، وأبوابنا مفتوحة للجميع، وسعدنا بتلقي شكاوى واقتراحات وطلبات الجمهور واستفساراتهم من خلال هواتفنا المعلن عنها في الملصق الإعلاني الذي تم توزيع عدد ٥٠٠٠ نسخة منه على جميع مساجد ومصليات الكويت ودور القرآن الكريم وكل المكتبات الإسلامية حتى تتسنى المشاركة لجميع فئات المجتمع.

وعن الاتصالات التي تمت خلال العام (٢٠٠٠م) يقول مراد: بلغ إجمالي الاتصالات (٧٩٣٠) اتصالاً كما هو مبين في الجدول وهي مصنفة حسب الإدارات والنوع: (١٩٤٦) شكوى. (٥٣٠١) استفسار. (٥٩١) اقتراحاً. (٩٢) أخرى. حظي قطاع المساجد منها بالمرتبة الأولى، وقطاع الشؤون الإدارية والمالية بالمرتبة الثانية، وقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بالمرتبة الثالثة، وقطاع الدراسات الإسلامية بالمرتبة الرابعة، بينما القطاعات الأخرى كالشؤون الثقافية... إلخ حظيت بالمرتبة الخامسة.

ويضيف حسن مراد قائلاً: لقد تم التركيز في نتائج المتابعة على الشكاوى، كما هي موضحة حسب الجدول المرفق فإجمالي ما تم تنفيذه (١٥٨٩) شكوى من إجمالي الشكاوى البالغ عددها (١٩٤٦) شكوى، بنسبة (٨٢٪) نتيجة لتعاون وتجاوب جميع القطاعات والإدارات التابعة لها، والتحسينات والتعديلات التي أدخلت على المساجد.

وعن تفعيل دور المكتب حسب الخطة المستقبلية يقول مراد: إن المكتب وضع أسساً أهمها: استمرار تأهيل موظفي المكتب وذلك بعمل دورات تدريبية خاصة لهم. ومشاركة موظفي المكتب في زيارات ميدانية لمكاتب خدمة المواطن في مؤسسات وجهات حكومية. وزيادة طباعة وتوزيع الملصق الإعلاني لهواتف المكتب. وتوزيع صناديق الاقتراحات والشكاوى في الدور الأرضي بالوزارة. ووضع لسات دليل الكتاب ●



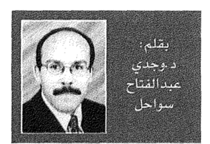


أعلن العلماء عن اكتشاف جينات وراثية تتحكم في بعض سلوكيات وتصرفات الإنسان مثل الشذوذ، والعنف والإجرام وغير ذلك، وعن وجود آلة عصبية في الدماغ مسؤولة عن الغريزة التي تدفع بالإنسان إلى الاعتقاد الديني، مما قد يعتبر المسمار الأخير في نعش المسؤولية الشخصية للإنسان عن تصرفاته ومعتقداته.

وفي هذه الدراسة سنتعرف سوياً على هذه الاكتشافات العلمية وتأثيراتها الأخلاقية والاجتماعية، ونستعرض رأي الدين من هذه القضية، كما نناقش كيفية إساءة هذه الاكتشافات للإنسان من خلال سلبه شروط الإرادة، وخيارات التكوين، وطهارة النفس وتزكيتها، وقيم الفكر ومُثله، ليبدو مسخراً لتكوين حيوي «بيولوجي» لا إرادة فيه، منقاداً لجينات وشبكات عصبية تطالعنا كشوفها كل صباح، تحكم سلوكه وتصرفاته، بل تجعله عبداً لفكر لاهوتي من نوع آخر، ربما يكون لاهوت العلم في زماننا هذا ـ وتلك مفارقات مخجلة محيرة فكيف يتاح للعلم أن يحرر الإنسان من لاهوت الكنيسة ليقع هذا الإنسان أسيراً للاهوت العلم؟!

تحكم الجينات الوراثية والخلايا العصبية في سلوك الإنسان:

بدعة غربية أم حقيقة علمية؟!



بقلم: د.وجدي عبدالفتاح سواحل

١ ـ الجينات والسلوكيات البشرية

اكتشف العلماء جينات تعمل أكثر كثيراً من مسألة تحديد لون عيون الشخص، وهي جينات يقولون: إنها المسؤولة عن وظائف المخ مثل العنف والاكتئاب والإدمان وحتى الطلاق والانحراف الخلقي أو الاختلاط والتشوش والذي يشجع على ما يبدو الرجال والنساء على إقامة علاقات جنسية مع أكثر من شريك، وهو ما أُعلن عنه في مؤتمر علمي عقد في «فيلاديليفيا» في شهر فبراير ١٩٩٨م، ووفقاً للاكتشاف المثير فإن الرجال الذين لديهم جين طويل الشكل أكثر ميلاً للانحراف الخلقي عن الذين لديهم جين قصير الشكل، ولو صحت قوة الجينات فإن المجتمع سيواجه مشكلات جمة.

وقد اختلفت وتناقضت الآراء وردود الأفعال تجاه نتائج هذه الأبحاث، ففريق يرى أن العالم يشهد مزيداً من التقدم الممزوج بالمخاوف فيما سماه العلماء بثورة علمية جديدة يتم خلالها عمل خريطة الجينات الوراثية لكل إنسان... وتتضمن هذه الخريطة كل الأمراض الوراثية للإنسان ومستقبله الصحي كما تحدده جيناته التي تتحكم في تركيبه وسلوكياته منذ اللحظة التي تتكون فيها أول خلية في جسمه، وستلازمه هذه الخريطة طوال حياته، وتُشبه خريطة الجينات الوراثية كتاباً مفتوحاً تقرأ فيه كل الصفات الوراثية، وهذا الكتاب مكون من ٤٦ جزءاً ـ كروموسوم ـ يتكون من آلاف عدة من الصفات وكل صفة عبارة عن التركيب الجيني. والتوصل إلى هذه الخريطة لايعتبر هو النهاية. فهناك عوامل البيئة التي تتحكم مع العوامل الوراثية في حدوث الأمراض وتحديد السلوك.

كما أن هناك رأي آخر يرى أن الجينات ليست الكأس المقدّسة لعلم الحياة «البيولوجية»، كما يعتبرها كثير من الناس، كما أنها ليست قدراً بيولوجياً عصبياً وسلوكياً «فالجين» لا ينتج سلوكاً ولا انفعالاً ولا أفكاراً، إنه ينتج بروتيناً. فكل جين عبارة عن سلسلة محددة من المادة الوراثية (Dna) ترمز لبروتين محدد وبعض هذه البروتينات، بالتأكيد، لها الكثير لتعمله مع السلوك والمشاعر والأفكار، فالبروتينات تحتوي على بعض الهرمونات ـ التي تحمل الرسائل بين الخلايا العصبية ـ وتحتوي أيضاً على مستقبلات تستقبل رسائل هرمونية ومحولات عصبية، والإنزيمات التي تُصنع وتُحلل تلك الرسائل، والكثير من الرسل الواقعة ضمن

الخلية ـ تنطلق بوساطة هذه الهرمونات. وهكذا فإن كل هذه البروتينات حيوية للمخ لأداء عمله، ولكن نادراً جداً ما تسبب بروتينات ـ مثل الهرمونات والمحولات العصبية ـ حدوث سلوك ما، وفي المقابل تُنتج ميولاً للاستجابة إلى البيئة بطرق معينة. أي أنه بالرغم من أن المعلومات البيولوجية تبدأ مع الجينات فإنها ليست الأمر الناهي ولا تسبب الأشياء، إنها فقط تجعلك أكثر حساسية للبيئة.

٢ ـ اكتشاف شبكة عصبية في مقدم الدماغ البشري خاصة للإيمان بالله

انتهى عصر المعجزات ولم يبقَ سوى العقل البشري المبدع، المعجزة الإلهية الأبدية، فقد تمكّن فريق علمي في جامعة «كاليفورنيا بأميركا» من اكتشاف المنطقة الخاصة في الدماغ البشري للإيمان بالله، وهي منطقة يمكن اعتبارها مسؤولة عن الغريزة التي تدفع بالإنسان إلى الاعتقاد الديني.

وقد تم التوصل إلى هذا الاكتشاف بعد دراسة أجريت على عدد من المصابين بداء الصرع الذين عرف عنهم تمرسهم بتجارب روحية عميقة. وذلك عن طريق تسجيل النشاط الكهربائي للدماغ باستخدام جهاز يطلق عليه مخطط كهربائية الدماغ electro-encephalogram وهو عبارة عن مسارات صغيرة تثبت على جلد الرأس وتعطي نتائج على شكل رسم بياني أو مخطط متعدد يسمى مخطط الدماغ الكهربي وينتج الرسم بمرور تيار كهربي خلال أداة الرسم مثل قلم السمة أو إبرة التسجيل. وقد تمت ملاحظة أن هناك شبكة من الأعصاب ـ التي تقع في مقدم الدماغ ـ تصبح مشحونة كهربائياً كلما تم التفكير العميق في الله.

● هل يصبح الإنسان مسيراً بالجينات ●

وقد قدم الفريق العلمي ورقة بحثية بهذا الخصوص في مؤتمر علمي عقد في فيلادليفيا بالولايات المتحدة الأميركية جاء فيها: «من المحتمل وجود آلة عصبية في الدماغ وقف عملها للدين على وجه التحديد، وأوضحت نتائج البحث أن إيمان المرء بدين ما، أو حتى بوجود الله، ربما كان يعتمد على مدى نشاط الشبكة العصبية المكهربة والمخصصة للاعتقاد الديني». كما يعتقد هؤلاء أنه إذا صدقت نتائجهم، وكانت «منطقة الإيمان بالله» موجودة بالدماغ فعلاً، فإن هذا يعني أن الملحدين ربما كانت لديهم شبكة عصبية كهربائية مختلفة!.

وقد تباينت آراء العلماء والباحثين حول هذا الاكتشاف، فالبعض يرى فيه دليلاً على قدرة الخالق في تصميم الجهازالعصبي وفي كيفية عمل الدماغ البشري. ولكن هناك فريقاً آخر يدق جرس إنذار معلنا إنه حتى مع افتراض صحة نتائج هذا البحث عن وجود آلة عصبية في الدماغ خاصة بالاعتقاد الديني فلابد أن يكون الشحن الكهربي لهذه الآلة تحت سيطرة وتحكم الإنسان، أي أننا نختار أفعالنا ونكون مسؤولين عن اعتقاداتنا



● من سيكسب معركة التحكم في سلوكيات الإنسان .. البيئة أم الجينات ●

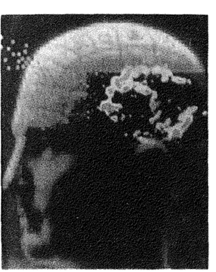
الدينية، كما يشير هذا الفريق العلمي أيضاً إلى أنه إن لم تتخذ إجراءات وقائية الآن، فإنه لا يمكن توجيه اللوم إلى أي شخص ملحد لأنه سيقول ببساطة «لا تلمني... إن اعتقادي الديني ناتج من نشاط عصبي دماغي ولا دخل لي به!!»، وذلك لأن البشر يبحثون دائماً عن مبرر لأفعالهم القبيحة بدل توجيه اللوم إلى أنفسهم أولاً، وربما يجد الملحدون ضالتهم في هذه الشبكة العصبية.

٣ - التأثير الاجتماعي والأخلاقي للاكتشافات الجينية والعصبية

حقق العلماء اكتشافات ملحوظة حول كيفية عمل الدماغ البشري. لكن النتائج التي توصلوا إليها تهدد بتقويض جميع القيم والأحكام والنظم التي يسير على هديها المجتمع البشري.

إنه ما لم تتخذ إجراءات وقائية الآن، فإنه لا يمكن توجيه اللوم إلى أي شخص يرتكب جناية لأنه سيقول ببساطة «لا تلمني... إن أفعالي ناتجة من تفاعلات كيماوية في دماغي ولا دخل لي بها إنها الجينات». وحتى الآن فإن نشاط المجتمع البشري محكوم بحرية الإرادة أي أننا نختار أفعالنا ونكون مسؤولين عما يحدث. وعندما يكون الشخص حُرَّ الإرادة فإنه من العدل أن يُحاسب ويطبق عليه القانون الذي يفصل الصواب عن الخطأ. وعندما قال «هاملت» في مسرحية «شكسبير» الشهيرة «أكون أو لا أكون»، وهو يهم بالانتحار، فقد وضع ملاحظة جوهرية حول الحياة الإنسانية. إننا نعتقد أن لدينا الاختيار، ففي حال «هاملت» هذه فإنه إما أن يقتل نفسه ويواجه بالتالي الجحيم أو يظل حياً ويواجه الضياع، وكلا الخياران لهما عواقب.

لكن «شكسبير» سيواجه مشاكل جراء حديث «هاملت» إذا كان بيننا الآن، فقد اكتشف مشروع تحديد الجينات البشرية الأميركي جين الانتحار فإذا كان هناك شخص يحمل هذا الجين في جسمه، فإن هناك احتمالاً بنسبة ٧٠٪ أن يقدم على الانتحار مقارنة بالذين لا يحملون هذا الجين، لذا كيف نستطيع توجيه اللوم إلى شخص يُلقي بنفسه من علو شاهق قصد الانتحار إذا كان المحفِّز على ذلك موجوداً في حمضه



● شبكة عصبية خاصة بالإيمان بالله ●

علماء الهندسة الوراثية يعلنون أن العلم الآن بصدد تحديد وتوظيف طبائع كل الناس وميولهم السلمية والعدوانية

النووي (Dna) وهي المادة الجينية التي تحدد من نكون؟!

وخلال العام الماضي تم تحديد الجينات المرتبطة بالسلوك العدواني، وأظهرت الدراسات أن الأشخاص الذين يحملون هذه الجينات أكثر عرضة لارتكاب الجنايات خاصة عندما يستشارون، وهناك أمر مؤكد وهو أن محامي الدفاع عن المتهمين سيستغلون هذه الاكتشافات لصالح موكليهم، وسيطالبون بخضوعهم لاختبار جيني قبل خضوعهم للمحاكمة، وإذا تبين أنهم يحملون جين العنف فإنهم سيطالبون بإسقاط التهمة عنهم فإنهم غير مسؤولين عن أفعالهم! وهذا كابوس مخيف يظهر أن المجتمع في طريقه إلى دخول عصر عدم المسؤولية عن الأفعال الإجرامية. هل نقول: شكراً للجينات التي اكتشف فيها المجرمون حليفاً؟ بالطبع لا.

لقد اكتشف علماء الجينات أن بإمكانهم معالجة الهيكل الجيني للإنسان حتى في مرحلة تقدم السن، وذلك عن طريق استبدال الجين السيئ بآخر حسن! وهذا النوع من المعالجة قد يحدث ثورة تجاه القضاء على أمراض مثل السرطان وتليف المثانة. ويؤكد الأطباء أنهم سيتمكنون قريباً من تحقيق هذا الحلم. وحتى يتم ذلك فإن المجتمع مطالب بإقرار ما إذا كان من الممكن استخدام نظرية استبدال الجينات في صنع مواطنين صالحين من بين المجرمين، وهل نحن مستعدون لوضع قوانين تجبر المجرمين الذين يحملون جينات عدوانية على الخضوع للمعالجة الطبية؟

وثمة تساؤل آخر، هل يمكن في حال تطور علم اختبار الجينات أن يتم إجهاض امرأة تحمل طفلاً ذا جينات عدوانية؟ إن هذه ليست نظرة تشاؤمية للعالم الجديد، ولكنها حقيقية، ففي الولايات المتحدة الأميركية، حيث يعتقد عدد من دعاة الإصلاح أن لا أحد يتحمل مسؤولية شخصية تجاه الفعل الإجرامي، قد تم تقديم الجينات كأداة دفاع في جرائم قتل واغتصاب وقيادة سيارة تحت تأثير الكحول.

إن الوقت قد حان للوقوف بجدية ومسؤولية أمام مثل هذه الحقائق، وهذا الأمر لايقتصر على الجوانب العلمية والتقنية فحسب، وإنما على الجوانب القيمية والأخلاقية أيضاً، إما عن طريق إيقاف الأبحاث حوى الجينات المسؤولة عن السلوك إلى أن يتمكن المجتمع من التعامل مع الأشخاص الذين يحملون جينات تجعلهم غير مسؤولين عن أفعالهم أو اتخاذ قرار بأن حمل جين سيئ ليس سبباً وجيهاً لارتكاب سلوك سيئ.

إن أهم ما يميز الإنسان عن الحيوان هو الإرادة الحرة، التي تعطيه الغلبة على كل كائن، وليس الجينات فقط، إن البشر يبحثون دائماً عن مبرر لأفعالهم القبيحة بدلاً من توجيه اللوم إلى أنفسهم أولاً، ويبدو أنهم وجدوا في الجينات ضالتهم، وقد يكون هذا الاكتشاف المسمار الأخير في نعش المسؤولية الشخصية.

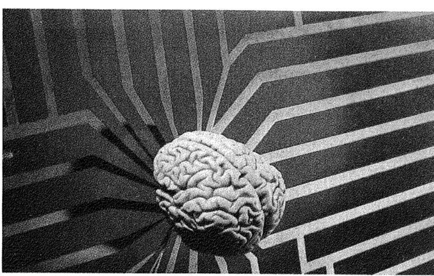
٤ - فتوى شرعية: الجينات لا تبرر الجريمة

بعد الإعلان عن فك رموز الجينات البشرية، بدأ علماء الهندسة الوراثية يعلنون أن العلم الآن بصدد تحديد وتوظيف طبائع كل الناس وميولهم السلمية والعدوانية، عن طريق دراسة ما تحمله «الجينات» من مؤثرات تنعكس على تصرفات الإنسان، وإنه من المتوقع في الألفية الثالثة أن تشمل البطاقات

الشخصية على بيانات عن الميول الغريزية لدى حامل البطاقة، وأنه على هذا الأساس ينبغي أن يُعامل الشخص على تصرفاته أمام القانون وفي ساحات القضاء كما يعامل مرضى الاكتئاب النفسي بعدم تحملهم مسؤولية ما يصدر عنهم من جرائم.

وقد أشار الشيخ الدكتور عبدالعظيم المطعني - أستاذ الدراسات العليا - جامعة الأزهر قائلاً: «هذه ظاهرة من ظواهر الحضارة الحديثة، وبدعة من بدع العلم. ومسألة الجينات هذه مفادها أن الإنسان قد يولد مجرماً بطبعه فيكون هذا عذراً له في إعفائه من المسؤولية عما يقع منه من جرائم. هذا غير صحيح، لأن الله عزَّ وجلَّ يخلق الإنسان صفحة بيضاء نقية، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة الروم الآية:٣٠: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم). ومفاد ذلك أن الإنسان لا يولد مجرماً بطبعه، وإنما يكتسب الإجرام من البيئة التي ينشأ فيها، ومن سوء التربية. ومناط المسؤولية والتكليف هو العقل، ولا يسقط التكليف إلا بزوال العقل، وكل عاقل بلغته الدعوة مسؤول عما يفعل. وهب أن بعض الجينات تحبب إلى حاملها الميل إلى الشرور والإجرام لهذا مع وجود العقل لا تسقط المسؤولية، ولا تعدو أن تكون هذه الجينات نوعاً من المغريات، فعليه إذاً كبح جماحها، والتغلب عليها. فلا عبرة إذاً لما يتوقعه بعض علماء الهندسة الوراثية، وما أكثر المزاعم التي تطالعنا بها الحضارة المادية الحديثة. وبناء على هذا، وغيره كثير، لا يصح أن تثبت في البيانات الشخصة أعذار تعفي أصحابها من المسؤولية عن جناياتهم، لأن في هذا دعوة إلى الفوضى وشيوع الجرائم المتعمدة، وهي جبرية جديدة تدعو إليها حضارة الغرب المادية الحديثة، وتضخم بها قاموس بدعها المدمرة».

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ عبدالرحمن الرفاعي: «إن الله سبحانه وتعالى بدأ خلق الإنسان من نطفة ثم طوَّر خلقه إلى أن صار بشراً سوياً، وقد زوده الله سبحانه وتعالى منذ نشأته الأولى بجميع الصفات التي قدَّر الله له أن يوجد عليها كما قال الله تبارك وتعالى: (في أي صورة ما شاء ركبَّك)



● العقل البشري المعجزة الإلهية الأبدية ●

الانفطار:٨، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى الأمشاج أو الكروموزومات التي تشكل طبع الإنسان وأخلاقه في بدء خلق الإنسان فقال تبارك وتعالى: (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) الإنسان:٢، وهذه الأمشاج هي خليط من الصفات الخَلقية والخُلقية، وقد قدَّر الله سبحانه وتعالى لكل إنسان من هذه الصفات ما يناسب شخصيته وما هو مقدَّر لها في حياته كلها حتى يلقى الله، فكون هذه الجينات تتحكم في سلوك الإنسان، فهذا شيء لا يستطيع أن يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، لأن الشرع قد أشار إلى تداخل عوامل عدة في حياة الإنسان وفي طبائعه كقوله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه»، فهذه إشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو لا ينطق عن الهوى، إشارة إلى عمل البيئة التي يعيش فيها الإنسان، فإذا وُجِد الإنسان بين أبوين مسلمين، فإنه عادة ينشأ مسلماً، وبالعكس إذا وُجِد بين أبوين كافرين، فإنه عادة يكون كذلك، وهناك أشياء أخرى تشكل حياة الإنسان وتتحكم في سلوكه، فقد قال الله تبارك وتعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) النحل:٧٨، وعلى أي حال فإن الإنسان لا يمكنه بحال من الأحوال أن يحكم على مصيره بالخير أو بالشر، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة»، فهذه إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى لا يحاسب الإنسان على ما ظهر منه فقط، ولكن الله سبحانه وتعالى يراقب دوافعه ودواخله ونيته، فإذا كان مُصراً على الرذيلة أو المعصية وهو في كامل سلامته النفسية والخلقية والعقلية فإن الله سبحانه وتعالى يجازيه جزاءً شديداً على عمله الفاسد، أما إذا كان الإنسان غير سوي فإن الله سبحانه وتعالى قد يمحو سيئاته ويتجاوز عنه. وعلى كل حال، فإذا كانت الجينات أو ما شاكل ذلك تتحكم في الإنسان، فهذا كله من خلق الله سبحانه وتعالى، ليس للإنسان فيه أي شيء، والله سبحانه وتعالى أعلم» ●

الإنسان قد يولد مجرماً بطبعه فيكون هذا عذراً له في إعفائه من المسؤولية عما يقع منه من جرائم



الحمى القلاعية شبح يهدد العالم

أوباء جنون البقر... الحمى القلاعية... أمراض أقضت مضاجع أوروبا وبريطانيا بشكل خاص، وما كادت تخف ضجة المرض الأول قليلاً حتى أفاقت أوروبا على جائحة أخرى تصيب المواشي والخنازير، وتفتك بها، ألا وهي مرض الحمى القلاعية.

د. حسان شمسي باشا
أستاذ أمراض القلب في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة

الحمى القلاعية Foot & mouth disease (أي مرض القدم والفم) مرض فيروسي شديد العدوى يصيب الحيوانات ذات الحافر، مثل الأبقار والخنازير والأغنام والماعز، وتصاب أظلاف Hoves الحيوان المصاب وفمه بالبثور التي تؤدي إلى العرج وزيادة سيلان اللعاب ونقص الشهية. وسرعان ما يفقد الحيوان المصاب الوزن، وينقص إدرار اللبن عنده، وقد يموت. ويعتبر هذا المرض من أخطر الأمراض المعدية عند الحيوان. وكان يظن أنه تم القضاء عليه تماماً في أوروبا، إلا أن الجائحة الأخيرة التي اجتاحت بريطانيا وغيرها كذبت تلك الظنون. ولا توجد حتى الآن أي إصابات في أميركا الشمالية والوسطى.

ورغم أن المرض لايشكل خطراً على الإنسان، إلا أنه شديد العدوى لحيوانات مثل الماشية والخراف والماعز والخنازير ويؤدي إلى نفوقها، وقد قامت فرنسا بقتل نحو ٢٠ ألف رأس من الأغنام المستوردة من بريطانيا، كما أعلنت ألمانيا وغيرها من الدول اتخاذ التدابير الصحية الصارمة.

كيف ينتقل المرض؟

ينتقل المرض عن طريق الحيوانات المصابة، أو عن طريق العاملين في رعاية الحيوانات ويحدث الوباء عندما تنضم حيوانات حاملة لهذا الفيروس إلى قطيع آخر من الحيوانات... أو بوساطة أناس يرتدون لباساً أو غطاء للقدمين ملوثاً بفضلات حيوانات مصابة بالمرض. وقد يؤدي استعمال الأدوات أو وسائل النقل التي تحمل الحيوانات المصابة إلى انتقال العدوى إلى حيوانات سليمة. كما يمكن أن ينتقل الفيروس عن طريق لحوم الحيوانات المصابة أو منتجاتها عندما تتغذى بها حيوانات معرضة للإصابة.

وهو شديد العدوى حتى إنه يمكن أن ينتقل بوساطة ذرات الغبار في الهواء.

ولا شك أن مرض الحمى القلاعية يقتل نسبة ضئيلة من الحيوانات المصابة، وخاصة الصغيرة السن منها والمسنة، ولكن معظم الحيوانات يمكنها أن تشفى من هذا المرض، رغم أن الفيروس يجعلها ضعيفة

عرجاء.

وهناك لقاح للوقاية من هذا المرض، ولكنه نادراً ما يستخدم في الدول الأوروبية، رغم أنه يستعمل كثيراً في أنحاء أخرى من العالم.

ويقول الأطباء البيطريون إن إعطاء اللقاح للحيوانات قد يمنع حدوث الأعراض عندها تماماً، ولكنها تظل حاملة للفيروس، وتنقله إلى الحيوانات الأخرى.

ولهذا فإن الدول الخالية من هذا المرض ترفض استيراد الحيوانات التي أعطيت اللقاح خشية استمرار حملها للفيروس وإمكانات نقلها للمرض إلى ماشيتها، رغم عدم وجود أي أعراض عندها.

ولهذا فإن الأطباء البيطريين يعتقدون أن أفضل طريقة لإيقاف انتشار الحمى القلاعية هو قتل قطيع الحيوانات المصابة وحرقها، وعزل المزارع المصابة بهذا المرض.

هل الإنسان في خطر من الإصابة بالحمى القلاعية؟

والجواب لا، فالخبراء يقولون إنه ليس هناك خطر على صحة الإنسان، ففي وباء عام ١٩٦٧م لم تحدث سوى حالة واحدة عند الإنسان، واشتبه في إصابة طفل واحد بها.

كيف يحاربون الحمى القلاعية؟

ورغم أن تلك العاصفة انطلقت أساساً من بريطانيا، حيث أتلفت هناك عشرات الألوف من الماشية، إلا أن الذعر سرعان ما انتشر إلى أوروبا، ومن ثم زحف نحو الشرق الأوسط.

وقد كثفت الدول الأوروبية من جهودها لمواجهة وباء الحمى القلاعية الذي أصاب الماشية في بريطانيا، حيث ينتشر هناك بسرعة كبيرة، وتقوم فرنسا بتعقيم كل المركبات القادمة من بريطانيا بالسكك الحديدية، وفي البرتغال يجري رش جميع القادمين من إنجلترا بمادة مطهرة، وفي ألمانيا جرى إعدام وإحراق جميع الخراف والماعز التي استوردت من بريطانيا خلال الشهر الماضي.

وتحمل الآن السلطات الصحية في دول الخليج على تكثيف حملتها للوقاية من وصول الحمى القلاعية إليها وذلك بحظر استيراد لحوم الأبقار ومنتجات لحم الضأن من دول الاتحاد الأوروبي وعدد آخر من الدول. وحذرت منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة «الفاو» من أن الحمى القلاعية قد تصيب دولاً عدة في مختلف أنحاء العالم، وناشدت المجتمع الدولي اتخاذ إجراءات أكثر صرامة لمواجهة المرض.

ودعت المنظمة إلى فرض قيود أشد على المهاجرين والسياح الذين يزيدون من مخاطر





انتشار المرض، بالإضافة إلى مخلفات الطائرات والسفن.

وقد علقت الولايات المتحدة استيراد الحيوانات الحية واللحوم من الاتحاد الأوروبي، بعد أن أعلنت فرنسا اكتشاف حالة إصابة، وهي أول إصابة تكتشف في القارة الأوروبية بعد انتشار المرض في بريطانيا.

وأوصدت أستراليا الباب في وجه واردات اللحوم، وشددت إجراءات الحجر الصحي على المسافرين القادمين من أوروبا.

ولابد من تمييز الحمى القلاعية عند الحيوان من مرض مشابه له بالاسم في اللغة الإنجليزية يصيب الإنسان، ولكنه حالة مختلفة تماماً ويسمى «مرض اليد والقدم والفم»، وهو يصيب عادة الأطفال بشكل خاص.

ويسببه فيروس خاص من نوع «كوساكي»، ويصيب عادة جوف الفم، وراحتي اليدين، والأصابع وباطن القدمين.

وتحدث معظم الحالات في فصل الصيف وأوائل الخريف. وقد تحدث جائحات من هذا المرض عند الأطفال في مراكز العناية اليومية للأطفال أو في حضانة الأطفال.

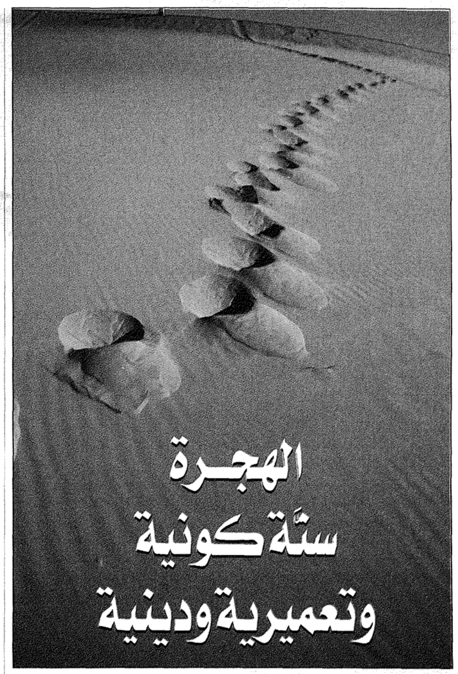
ويظهر الطفح على شكل تقرحات على الفم، وفي جوف الفم واللثة وأطراف اللسان، وتظهر على شكل بثور تصيب اليدين والقدمين، وقد تصيب أجزاء أخرى من الجلد. ويستمر الطفح الجلدي عادة بين ٧ - ١٠ أيام.

وتستمر فترة الحضانة للفيروس نحو ٣ - ٥ أيام. وينتقل هذا المرض من شخص لشخص بوساطة مواد ملوثة ببراز المصاب إلى فم الشخص السليم.

كما يمكن أن ينتقل عن طريق الجهاز التنفسي والمفرزات التنفسية، وبالاحتكاك المباشر بين المريض والسليم، وعن طريق لعاب المصاب على اليدين أو الألعاب، كما يمكن أن ينتقل الفيروس عن طريق الجلد المصاب بالبثور.

وليس هناك علاج خاص لفيروس مرض «اليد والقدم والفم» عند الإنسان، ولكن يمكن منع انتشار المرض بغسل اليدين جيداً، وبخاصة بعد التغوط، أو تغيير حفاظات الطفل، ولمس مواد ملوثة بالبراز، وغسل الألعاب الملوثة باللعاب، وإذا كانت البثور والتقرحات مفتوحة وتنزح منها السوائل، فينبغي عزل الطفل حتى تجف البثور تماماً ●

د.محمد محمود متولي - كلية الشريعة . جامعة الكويت



الهجرة سنّة كونية وتعميرية ودينية

الهجرة في المنظور الإسلامي حدث فذ، أثمر انتشار الديانة الإسلامية، وبناء أمتها ودولتها، وجعل لها قاعدة انطلاق لنشر الدعوة، وانتصار الأمة، وتجدد ديانات السماء وتمحيصها وختمها بالإسلام وهي في المنظور الكوني سنة كونية لولاها لبادت صنوف كثيرة من الطيور والحيوانات ووئدت حريات، وزلزلت كيانات، وأهينت كرامات، فهي إذاً عامل مهم للبقاء، وتجدد الحياة واستمرارها، وتنقل الثقافات وانتشارها، وانتصار الدين وعز أهله.

ومن هنا فإنها يجب أن توضع في المكان اللائق بها بين سنن الله الكونية، التي يعمر بها الكون ويتجدد، وتثرى الحياة وتزدهر، وتتعدد أوجه النشاط الإنساني والحيواني على ظهر الأرض. والهجرة عامل من عوامل بقاء النوع، إنسانياً كان أو حيوانياً، في الأرض أو في البحر، فالحيوانات تهاجر طلباً للدفء من المناطق الباردة إلى الأماكن الدافئة، وطلباً للماء من الأماكن القاحلة إلى الأماكن التي يتوافر بها الماء، وطلباً للكلأ والمرعى من الأماكن التي جف مرعاها إلى الأماكن المخضرة، يسيرها الذي أودع في مخلوقاته من التوجيه ما يبقي حياتها، وهي مسيَّرة بغرائزها، مهتدية بهدي ربها لها (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) الملك:١٤.

وإن نظرة إلى قطيع من الحيوانات يتدافع مهاجراً طلباً للنجاة لتؤكد ضرورة الهجرة للكائنات الحية، ونظرة إلى السماء وقد غصت بطيور لا تعد مندفعة للهجرة في الخريف، طائرة فوق البحار قاطعة آلاف الأميال لترينا أهمية الهجرة في الإبقاء على الحياة، مزدهرة مزدانة بتلك الكائنات وكل ميسر لما خلق له.

يقول العالم الأميركي «كريسي موريسون»: «إن الطيور لها غريزة العودة إلى الموطن، فعصفور الهزاز، الذي عشش ببابك يهاجر إلى الجنوب في فصل الخريف، ولكنه يعود إلى عشه القديم في فصل الربيع التالي وفي شهر سبتمبر من كل عام تطير أسراب معظم طيورنا إلى الجنوب، وتقطع في الغالب نحو ألف ميل فوق عرض البحار، ولكنها لا تضل طريقها.

والحمام الزاجل إذا تحيَّر جراء أصوات جديدة عليه في رحلة طويلة، داخل قفص، يحوم برهة ثم يقصد قدماً إلى موطنه دون أن يضل، وأنت إذا أخذت حمامة، وركبت بها قطاراً ثم أطلقتها فإنها تعود إلى موطنها، والنحلة تجد خليتها مهما طمست الريح في هبوبها على الأعشاب والأشجار التي توجد خليتها بها، وسمك السلمون الصغير يمضي سنوات في البحر، ثم يعود إلى نهره الخاص الذي عاش به، فما الذي جعله يرجع إلى مكان مولده بهذه الدقة، وإن

الواحدة من السلمون إذا نقلت إلى نهر آخر أدركت توا أنها ليست في جدولها، ومن ثمَّ تشق طريقها قاصدة مكانها الأصلي.

ومن ألغاز الهجرة للتجدد والبقاء لغز ثعابين الماء التي متى اكتمل نموها هاجرت من مختلف البرك والأنهار قاطعة آلاف الأميال في المحيط، قاصدة الأعماق السحيقة جنوبي برمودا، وهناك تبيض وتموت.

أما صغارها التي لا تملك وسيلة لتعرف بها أين بدأت أماتها حياتها، سوى أنها في مياه المحيط، فإنها تعود أدراجها، وتجد طريقها إلى المكان الذي جاءت منه أماتها، ومن ثمَّ إلى كل نهر خرجت منه أمها، أو بحيرة أو بركة صغيرة، ولذا تظل كل المياه آهلة بثعابين الماء.

هذه الثعابين قاومت في رحلتها الطويلة التيارات القوية، وثبتت للأمداء والأنواء، وغالبت الأمواج المتلاطمة في كل بحر، وهي تبيض وتفقس في مياه المحيط، حتى إذا ما اكتمل نموها دفعها قانون خفي إلى الرجوع أدراجها حيث كانت، وبعد أن تتم الرحلة كلها، نتساءل من أين ينشأ الدافع الذي يحفِّزها على العودة إلى موطنها الأصلي، ومنها ما يموت، ومنها ما تفترسه الأسماك الأخرى في أثناء رحلتها لم يحدث أبداً أن صيد ثعبان مياه أميركي في المياه الأوروبية، أو العكس.

والقدرة الإلهية تبطئ في إنماء ثعبان الماء الأوروبي مدة سنة أو أكثر لتعوض زيادة مسافة الرحلة التي يقطعها».(١)

والهجرة أنواع بالنسبة للإنسان:

١ ـ هجرة الأنبياء وأتباعهم.

٢ ـ هجرة المستعمرين والمغامرين.

٣ ـ هجر ما نهى الله عنه.

٤ ـ هجرة عامة الناس طلباً للرزق، أو العز.

وهي بطبيعة الحال مختلفة باختلاف الدوافع حسبما أرشد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه.

وقد ذكر القرآن كثيراً من رسل الله عليهم الصلاة والسلام هاجروا من أوطانهم، لنشر دين الله، والانتقال به من أقوام صدوا عنه، ورفضوه وعذبوا أهله إلى آخرين قبلوه وعزروه ونصروه.

فهذا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ينتقل من العراق إلى فلسطين ثم إلى مصر ثم إلى مكة، وهذا موسى ـ عليه السلام ـ ينتقل من مصر إلى فلسطين، وهذا يونس ـ عليه السلام ـ ينتقل إلى مكان آخر لتؤمن به أمة غير الأمة التي رفضت الإيمان به، وهذا يوسف ويعقوب وأبناؤه يهاجرون إلى مصر، وللهجرة عند الأنبياء سبب وجيه، جوهره هو طلب الهداية.

الهجرة بالنسبة للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وأمته هي إرادة أمة تربت فأحسنت تربيتها صابرت وصبرت

فهذا إبراهيم يذكر القرآن على لسانه: (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) العنكبوت:٢٦.

وموسى عليه السلام يقول لقومه: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم) المائدة:٢١.

وهذا إبراهيم عليه السلام يقول: (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرَّم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) إبراهيم:٣٧.

والهجرة عند يوسف ويعقوب عليهما السلام وأبناء يعقوب هي طلب للأمان ـ بإذن الله ـ قال تعالى: (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) يوسف:٩٩، فليست هجرات الأنبياء لمغنم دنيوي، وإنما لغرض ديني.

والمضيّق عليهم من أتباع الأنبياء يهاجرون ابتغاء ملجأ آمن، ينشرون فيه دينهم، ويحافظون على أرواحهم وأعراضهم، وقد حدد القرآن إطار هذه الهجرة، ووعد ربّ العزة بإعزاز المهاجر ابتغاء رضوان الله يقول تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) البقرة:٢١٨.

وفي سورة النساء: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً. إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً. ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعةً ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً) ٩٧ ـ ١٠٠.

والآيات تحض على عدم الاستسلام للأمر الواقع، والضرب في أرض الله الواسعة ابتغاء العزة، وهي بهذا تشير إلى أن الهجرة سبب لإرغام أنوف الأعداء، وأن المهاجر إن مات فأجره على الله.

ومعنى «مراغماً» متحولاً ومهاجراً، وعبَّر عنه بالمراغم للإشعار بأن المهاجر في سبيل الله يصل في الموضع الذي يهاجر إليه إلى ما يكون سبباً لرغم أنوف قومه الذين فارقهم من الرغم بتثليث الراي وهو الذل والهوان، وأصله لصوق الأنف بالرغام، وهو التراب، وفي سورة التوبة وردت الهجرة مصاحبة للجهاد بالمال والنفس، وأن المهاجرين أولياء بعض، وأن من لم يهاجروا لا يصلحون



أولياء لمن هاجروا، وأن هؤلاء المهاجرين المتناصرين الباذلين للمال والمهج في سبيل الله هم المؤمنون حقاً، وأن ثوابهم في الآخرة المغفرة والرزق الكريم، وهاهي آيات سورة التوبة. توضح ذلك: (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير. والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير. والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم) الأنفال:٧٢-٧٤.

والهجرة بالنسبة للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم وأمته هي إرادة أمة تربت فأحسنت تربيتها، صابرت وصبرت، وقاومت طغيان الكفر وجبروت الباطل حتى نصرها الله عليه، وإرادة قيادة ربت على الاقتداء بها، فما كانت يوماً بمعزل عما يصيب أتباعها جاعوا فجاعت معهم، وأوذوا فأوذيت معهم، وصمدت فصمدوا معها.

وهي إرادة أفراد عاينوا الجنة بعيون البصائر، وتبدت لهم عروساً تبتغي من يقدم المهر لأنها سلعة الله، وسلعة الله غالية، ومن أجلها باعوا أنفسهم لله، واستعذبوا الآلام رغم مرارتها في سبيل الله، كما هان عليهم فراق الوطن لأنهم طلبوا وطنين، وطن يعز فيه الإسلام، ووطن آخر تهفو نفوسهم إلى أبديته في جوار الله سبحانه وتعالى، وإن من يتصفح تاريخ أسماء المهاجرين نساء ورجالاً، سواء كانوا أحراراً أو عبيداً فقراء أو أغنياء يحس بأن الإسلام صهر هؤلاء، ونفى زيف الجاهلية عنهم، وصيَّرهم ذهباً، أو قل إيماناً مجسماً خالصاً وكانت البداية إسلام الأمر لله، والخروج من حظ الأنفس إلى حظيرة الشرع الإلهي فالأمر أمر الله، والنهي نهيه وشعارهم: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) النور:٥١، وصدق فيهم قول مربيهم صلى الله عليه وسلم: «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» متفق عليه.

فإذا قارنا ولا مجال للمقارنة بين هؤلاء الذين هاجروا فعمروا، ونشروا دين الله، ورفعوا أقواماً من مذلة الكفر بالله إلى عز الإيمان به، وكانوا لمن هاجروا إليهم إخوة في العقيدة وبين المستعمرين والمغامرين الذين هاجروا من هنا وهناك إلى ما هنالك، فنهبوا ثروات واستعبدوا بشراً، وأبادوا أمماً، وأذلوا أعزةً، وأعزوا أذلةً، فإننا نقول: وأين الثريا من الثرى، وأين المستخلف ليعمر الأرض، وينشر الحق من هؤلاء الأفاكين.

حين نعاين بدء عام هجري جديد بعيون البصائر نرى مكة وقتها، وقد أصبحت أتوناً يفور بكل ألوان الأذى، وهو ما جعل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يأذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرتين، وهو في أثناء ذلك يبحث لهم عن دار هجرة جديدة، وقد اختار الله أن تكون تلك الأرض هي المدينة المنورة، وهيأ أهلها لقبول الدين على دفعات ثلاث بدأت بستة نفر ثم باثني عشر، ثم بخمسة وسبعين، وبيعتان. بيعة على الإسلام بشرائعه كلها، وبيعة على النصرة على العدو، وقد صدق الله وعده فتمت الهجرة إلى المدينة المنورة، وقام فيها المجتمع الذي نشر الإسلام بعد ذلك في مشارق الأرض ومغاربها فمرحى بالمهاجر صلى الله عليه وسلم، ومرحى بالمهاجرين عليهم رضوان الله، مرحى باليوم الذي له دين في أعناق أهل الأرض جميعاً ●

الإنتقال النفسي والروحي والفكري لبناء المجتمع الجديد

بقلم د.نادية المديوني «أستاذة اللغة العربية» المغرب



مع طلوع هلال المحرَّم، يحل عام هجري جديد.
والتاريخ الهجري هو التاريخ الذي نسجل به وقائعنا، ونثبت به أحداثنا ونرتب عليه شؤوننا، حتى زاحمه التاريخ الميلادي وزحزحه عن مكانته، ومازال به حتى جعله تاريخاً ثانوياً، وجعل الهجرة وما يتصل بها احتفالات شكلية، يحتفل الناس فيها بأجسادهم، ثم ينصرفون عنها وقد نسيت الهجرة وصاحبها وتاريخها وما يترتب عليها وما توحي به من عبر وما تنضح به من ذكريات وأحداث.

قيمة الزمن في حياة المسلم

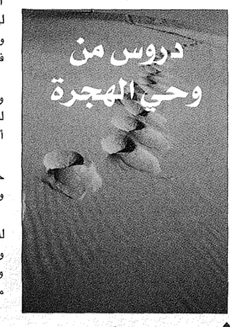
إن مرور سنة، بل مرور يوم واحد على المسلم شيء خطير حقاً، لما للقيمة الكبيرة التي يكتسبها الوقت من أهمية، لقد كان مما يروى عن الحسن البصري - رحمه الله - قوله: «ما من يوم ينشق فجره إلا ويقول: يابن آدم، أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني بعمل صالح فإني لا أعود إلى يوم القيامة» فإذا كان مرور يوم بهذه الأهمية فكيف بمرور عام، بل كيف بمرور العمر كله؟.

إننا إذ نواجه عاماً جديداً، نحب أن نستقبله وقد فكرنا في صفحة جديدة، وفكرنا في أن نخط مستقبلنا على النحو الذي يرضي ربنا ويعزّ جانبنا.

إن الأوروبيين يقيمون في رأس كل سنة ميلادية حركة تمثيلية يطفئون فيها الأنوار ثم يضيئونها على أنها علامة الفصل بين عام مضى وعام أقبل، إن هذه الحركة لا تعني عندهم في حقيقة الأمر إلا انتهاز المتع الحرام واستغلال الأوقات في معصية الله، ولكن المسلمين الذين من المفروض أن يقدروا الوقت - أفراداً وجماعات - يجب أن يعلموا أن الوقت سلاح ينبغي أن يستغلوه لمصلحتهم وإلا ذُبحوا به. لذلك وجب لفت النظر إلى السنة المقبلة وإلى دلالات معطيات التاريخ الجديد، لأننا - نحن المسلمين - أصبحنا ننسى وغيرنا يتذكر مع أن الله فلق الليل والنهار وجعلهما يتعاقبان ليختبر الذاكر من الناسي، والشاكر من الجاحد في قوله: (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً. وهو الذي جعل الليل والنهار خِلْفَةً لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكوراً) الفرقان:٦١ - ٦٢. إن الناس نوعان:

- نوع يعيش لنفسه، لجسده، لا يفكر في أفق أبعد ولا غاية أشرف من هذه، إنه أشبه بحيوان مهذَّب رزق العقل فهو يسخره في خدمة هذه المآرب التي جعلها هدفه في الحياة ومثله الأعلى في الوجود.

- وهناك من لا يعيشون لأنفسهم على هذا النحو الضيق المشوه القاصر، بل يعيشون لربهم الذي يكفل لهم مصالح أنفسهم بأرقى وأجدى ما لو سخروا هم عقولهم وعزماتهم في خدمة أنفسهم.



«فحال المسلم في المعركة: الفاعلية الدائمة. وإذا قلّت أو انعدمت تحرف لقتال أو تحيز لفئة لاسترداد الفاعلية، فهو كالقمر لا ينطفئ أبداً، فإذا أفل عن أرض ظهر في أخرى.

ذلك أن إيمانه يشعره دائماً بالتحدي من حوله، ومن هنا يبدأ دوره في الدعوة إلى الله ووسيلته في التغيير».(١)

إن الإنسان يعيش يومياً الاختبار الأزلي، لذلك يجب أن يوازن: أيعيش لشهواته القريبة ويومه الحاضر ودنياه العاجلة، أم يعيش لربه ولغده ولشرف نفسه ولزكاة روحه ونبل مستقبله وتنقية معدنه؟... إن بعض الناس

على عجل يطرح نداء الحق ويصم أذنه عنه ويستمع إلى نداء العاجل القريب... الله عز وجل بيَّن للمسلمين أن من أراد أن يعيش لنفسه وحدها أو لأسرته أو لأولاده أو لأصدقائه فإنه ربما عاش، ولكن بعيداً عن رعاية الله وقبوله ورضاه، كما في قوله تعالى:

(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) التوبة:٢٤.

يوم يكون بقاؤك في بيتك أفضل عندك من جهادك في سبيل ربك، يوم يكون حرصك على مصلحتك أقرب إلى نفسك من حرصك على دينك فقد خسرت الدنيا والآخرة.

لذلك لما كان المسلمون في مكة يحيون لدينهم ولربهم فإنهم لم يطل بهم التفكير عندما قيل لهم: لكي تخدموا الإسلام، اتركوا مكة، اتركوا وطنكم الحبيب، واذهبوا إلى بلد ليست لكم به مصلحة ولا تجارة ولا دنيا وهناك أسسوا للإسلام الوطن الذي يحيا فيه وينتعش به، اربطوا مصلحتكم الخاصة بمصلحة الإسلام الكبرى... وكانت نتيجة هذا العرض أن جمهرة المسلمين في مكة أغلقت بيوتها وتركت مصالحها وهجرت وطنها وذهبت إلى المدينة تريد أن تعيش لله، وأن تعيش بالدين وألا تفضِّل مصلحتها الخاصة على مطالب المسلمين خاصة وباستمرار. لذلك فخروج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يكن طلباً للمال ولا هرباً من الأذى والظروف القاسية التي تمر بها الدعوة في مكة ليجد الأمن والأمان والدعة والاسترخاء وإيثار العافية، بل كانت هجرته جهاداً ومجاهدة ومنطلقاً جديداً لدعوة الإسلام.

ولقد كُلِّف النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة وكان عمره ٥٣ سنة بعدما أمضى فترة من الزمن يدعو إلى الله ويشرح الحق ويحارب الوثنية ويمحو ما حوته الجاهلية من خرافات، وكان القرآن الذي نزل بمكة يطمئنه إلى أن المستقبل له وأن عاقبة الصراع مع الوثنية لابد أن تكون انتصاراً للتوحيد كما هو مبيَّن في سورة الصافات في الآيات: ١٧١ ـ ١٧٣: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين. إنهم لهم المنصورون. وإن جندنا لهم الغالبون)، وكما في الآية ٤٧ من سورة الروم: (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)، وكما في الآيتين ٥١ و٥٢ من سورة غافر: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار).

«إن الهجرة هي طريق الرسل ومن على أثرهم، وهي ثمرة طبيعية، ولون من ألوان الصراع الدائب بين المؤمنين بقيادة الرسل عليهم السلام والكافرين بمناهجهم التي يقف على رأس كل منها شيطان. ونسارع إلى القول: إن الهجرة حركة إيجابية جهادية على أرض المعركة الدائرة بين الإسلام والكفر، وليست حركة سلبية هروبية يؤثر صاحبها السلامة أو يختار طريق الدنيا، فالمهاجر مازال في ساحة المعركة وليس خارجاً منها، فقد تبلغ المعركة مرحلة معينة تقل معها الفاعلية على هذا الثغر أو تكاد تنعدم، فلابد والحال هذه من خطة جديدة وهي ما شرعه لنا القرآن من التحرف لقتال أو تحيز إلى فئة، وليس الانسحاب من المعركة على كل حال، ذلك أن الذي يولي معركة الإسلام دبره مؤثراً السلامة الموهومة يبوء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير. يقول الله تعالى: (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار. ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) الأنفال:١٥ ـ ١٦».(٢)

الهجرة طريق الرسل ومن على أثرهم وهي ثمرة طبيعية ولون من ألوان الصراع الدائب بين المؤمنين والكافرين

بعض من دلالات الهجرة

«لقد بدأ المسلمون هجرتهم في مكة قبل أن يهاجروا ـ خارجها ـ حيث قاطعتهم قريش وحاصرتهم في «شعب أبي طالب»، واشتد الأمر



بهم حتى أكلوا ورق الشجر، واشتد بهم الأمر حتى استبان للرسول وأصحابه أن الطريق في مكة باتت مسدودة رغم كل المحاولات، فالأذى يشتد ويشتد والمحاصرة تحكم، فيهاجر للحبشة من يهاجر، ويبقى في مكة من يبقى، ويبدأ التفكير بأرض أخرى تكون قاعدة لانطلاق الدعوة الإسلامية بعد أن استحال الأمر في مكة أو كاد، فيقع الاختيار على الطائف ولابد من الخطوة التي تؤكد عملياً أن العقيدة أكبر من الأرض التي يرتبط بها الإنسان».(٣)

إذاً، بعد ١٣ سنة نرى النبي صلى الله عليه وسلم مضطراً إلى أن يهاجر بليل مختفياً هو وصاحبه الصديق عن أعين المطاردين الذين ملكوا ظهر الأرض ورصدوا الجوائز المغرية لمن يجيء بمحمد حياً أو ميتاً، ما هذا؟ أي ختام لهذا الجهاد، بعد ١٣ سنة من الدعوة؟ إن حبل الجهاد طويل ومراحله موصولة، والأمور قد لا تجري وفق تقدير المجاهدين أحياناً، ولكن وفق تقدير الله وحده، ففي أعقاب غزوة أحد - مثلاً - وهزيمتها المرة قيل للرسول صلى الله عليه وسلم: (ليس لك من الأمر شيء) آل عمران:١٦٨، إننا نجد أن منطلق المكافح الذي يؤدي ما عليه تاركاً لله تعالى أن يخط مستقبل الدعوة كما يشاء وأن يبث في مستقبل دينه بما يحب... نرى النبي صلى الله عليه وسلم قد نفذ خطة الهجرة تنفيذاً دقيقاً، وأفرغ جهده البشري في إحكام الخطة وما ترك للصدف ثقب إبرة وكانت كما يلي:

- ضلل المطاردين باتخاذه طريق الجنوب بدل الشمال.

- احتاج إلى رواحل قوية: جاء براحلتين قويتين علفهما وأراحهما حتى تستطيعا تحمل عناء السفر.

- احتاج إلى رجل خبير في سلك الطرق الجانبية «مشرك ولاحرج».

- كيف يعرف الأخبار وهو في الغار، وكيف يدرك ما تتجه إليه قريش في مخططاتها؟ إذاً فلتجيء إليه عن طريق صاحبه أبي بكر وابنه عبدالله، وبعض الأغذية عن طريق أسماء بنت أبي بكر، ويكون الراعي ماحياً للآثار حتى لا يعرف أين اختفيا المطاردان الكبيران.

إذاً، فكل ما يمكن من جهد بشري فعله عليه الصلاة والسلام، محترماً قانون السببية.

وقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم) النساء:١٠٢.

أي حتى في أثناء الصلاة يجب على الأمة الإسلامية أن تكون مستعدة وفي حال استنفار دائم لمواجهة المخاطر المحدقة بها، ومع حرص الإسلام على قانون السببية وتنفيذ النبي صلى الله عليه وسلم له بدقة متناهية، فنحن لا نعرف أمة استهانت بهذا القانون وخرجت عليه وعبثت بمقدماته ونتائجه كالأمة الإسلامية، فجعلت - باسم التوكل - كل شيء يمشي بالفوضى كما قال الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - وبطبيعة الحال كان من البدهي أن تجني المر جراء هذا الجهل.

النبي صلى الله عليه وسلم أحكم الخطة، ومع ذلك نسجل شيئاً من لطائف ونسائم الرحمة تغشى المجاهدين وهم في مراحل الجهاد، فيهوِّن الصعب ويملأ قلوبهم الأمل. ولقد حدث مثل هذا مع سيدنا يوسف وهو صغير، عندما اختطفه إخوته وأجمعوا على جعله في غيابة الجب. يقول الله تعالى: (وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) يوسف:١٥، أي أن إخوته سوف يجيئونه يوماً ما. متى لا يدري؟. فيعاتبهم على الذي صنعوه به. وتحقق الوعد الإلهي بعد عشرات السنين. وجاء إخوة يوسف وهم جياع: (قالوا يأيها العزيز مسَّنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين. قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) يوسف:٨٨-٨٩. وكان إخوته على كثرة عددهم - على درجة من الغفلة، ولأمر ما كان يعقوب متعلق القلب بيوسف. قالوا: (أإنك لأنت يوسف). أخيراً عرفوا مع أنهم جاؤوا مرات عدة. تحقق الوعد ليوسف لكن عندما كان يصنع به ما يصنع كان الإلهام ينزل على قلبه: «اطمئن فالمستقبل لك».

مثل هذا الذي حدث كان يحدث للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو في طريقه من مكة إلى المدينة كانت بوارق الأمل تلمع أمام عينيه وبصيرته.

إن ترك الوطن من أجل عقيدة دافعة أو غاية دينية يُراد تحقيقها أمر حدث في القرن الأخير

يقول المفسرون: نزل في الطريق من مكة إلى المدينة قوله تعالى: (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) محمد:١٣، وقوله: (إن الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين) القصص:٨٥، إذ إنه كان يدرك وهو ذاهب من مكة إلى المدينة أن الله ما خذله، وأن مرحلة الجهاد الجديدة هي طريق النصر. وفعلاً كانت طريق النصر، ولذلك كان تعبير القرآن الكريم عن الهجرة أنها نصر في قوله: (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) التوبة:٤٠.

ما أريد أن أقص قصص الهجرة فطالما كتب عنها، ولكني ألفت النظر إلى ما يلي:

- إن ترك الوطن من أجل عقيدة دافعة أو غاية دينية يُراد تحقيقها أمر حدث في القرن الأخير، ولكنه بينه وبين هجرة المسلمين الأولين بون شاسع، إن اليهود بدوافع دينية مزعومة تركوا البلاد التي يعيشون فيها كي يقيموا مملكة الله أو دولة إسرائيل - حسب تعبيرهم - في الأرض المقدسة على أنقاض فلسطين المسلمة... بدوافع دينية احتقر اليهودي الروسي اللغة الروسية والنظام الروسي... واحتقر اليهودي الأميركي الأرض الأميركية ولغتها، وقررا احترام العبرية... وانضم اليهودي الروسي إلى اليهودي الأميركي إلى اليمني إلى المصري باسم التوراة واللغة العبرية وتحت علم إسرائيل بقصد

الهجرة إلى أرض فلسطين.

- إن المسلمين الذين هاجروا كانوا دعاة توحيد لله وإصلاح للأرض، فهم أصحاب مثل عليا لا نظير لها في الأولين والآخرين، أما الذين جاؤوا إلى فلسطين، فصلتهم بالله مغشوشة ودوافعهم باطلة.

- إن الذين خرجوا من مكة لم يكن لهم على ظهر الأرض نصير... كانت الدنيا تضيق بهم وكان أهل الملل والنحل يكرهونهم لأن توحيد الله على النحو الذكي الراقي الذي شرحه القرآن لم يكن معروفاً لا في الكتب المقدسة المتداولة يومئذ، ولا في تطبيقات الأمم السائدة، كان الناس كما قال تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) يوسف:١٠٦... خرجوا متوكلين على الله، ليست هناك يد تحميهم إلا يد الله ولا كنف يأوون إليه إلا كنف الله ولا ظهر يلتمسون العزة عنده إلا الله، أما اليهود، عندما خرجوا من هذه البلدان الكثيرة إلى فلسطين، فإن الانتداب البريطاني على فلسطين كان يمهِّد لهم الطريق ويحميهم، ولا يزالون محميين إلى الآن من طرف القوى الكبرى.

ولقد خلق الاستعمار على تراب الأرض الإسلامية ناساً زهّدوا المسلمين في دينهم وتقاليدهم وتراثهم وتاريخهم، بل يقول هؤلاء المرتدون «حضارياً» إن لم نقل دينياً: «دعوا الإسلام فإن المسيحيين تركوا المسيحية، وإن اليهود تركوا اليهودية، وإن الوثنيين تركوا الوثنية، وإن العالم ترك أديانه كلها... والحقيقة المرة غير ذلك تماماً، فهذا العصر هو العصر الذهبي لليهودية والمسيحية والوثنية، وأن الناس عادوا جميعاً إلى أديانهم يتشبثون بها ويقاتلون دونها، وأن الكلام الذي يقوله أولئك الأفاكون للمسلمين دعاية مأجورة أُخذ ثمنها إما بالنقود الروسية أو الأميركية أو الأوروبية أو الشهوات المبذولة لهؤلاء المروّجين... والمقصود الإجهاز على الإسلام وتاريخه، فلنستيقظ ولنستقبل عاماً الجديد بيقظة متواصلة ووعي متجدد بشتى أشكال التحديات والمؤامرات.

الهجرة: انتقال نفسي وروحي وفكري

يمكن لكل واحد منا أن يدرك ثواب الهجرة إذا تدبّر قول نبينا صلى الله عليه وسلم: «عبادة الهَرَجُ كهجرته إلي» أو كما قال. والهَرَجَ: عندما تكثر الفتن وتشيع الجهالة وتنتشر الآثام ويصبح العفاف مستغرباً لغلبة التهتك، ويصبح التشبث بالإسلام تهمة وترك الإسلام باب الوجاهة والوصول... عندما يكون الأمر كذلك، فإن تشبث المسلم بدينه وتركه هذه الأحوال كلها واختياره له وما عنده... كل هذا يعطيه ثواب الهجرة، لأن الهجرة لم تُكرَّم لأنها سفر، فما أكثر الذين يسافرون، وإنما كُرِّمت لأنها انتقال نفسي وروحي وفكري، استبقاء للإسلام على أرض الله عن طريق أن نكون نحن الجسر الذي يعبر الإسلام عبره إلى حيث يريد. «والمؤمن منذ أن ينطق بالشهادتين ويرتحل إلى الإسلام ويهجر ما نهى الله عنه تبدأ حركته الجهادية وهجرته النفسية، يبدأ شعوره بانفصاله عن عادات مجتمعه التي لا تتفق وشرع الله، ويبدأ مقته للعقائد التي تتنكب طريق الله، وله في رسول الله أسوة حسنة، فلقد كان الرسول القدوة مهاجراً إلى الله منفصلاً عن عادات قومه وعباداتهم، وما كان شيء أبغض عنده من اللات والعزى، لكن هذا الانفصال - المفاصلة الشعورية أو الهجرة النفسية - لم تحمله في أي حال، وهو المسدد من ربه على الانغلاق عن مجتمعه والانفصال عنه، لقد شاركه حلف الفضول، وقال بعد الإسلام: «ولو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت» وشاركه في بناء الكعبة وقبول الأمانات وما إلى ذلك مما لا سبيل إلى حصره في مثل هذه العجالة، ولعل هذه الهجرة النفسية من الأوليات البدهية اللازمة لمن نذر نفسه لدعوة الله»(٤).

يروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يوصي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة لاتباعهم الحق، والحق ثقيل على النفوس، وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة لاتباعهم الهوى، والهوى خفيف على النفوس». والواقع أن خدمة الحق قد تكون معنتة ومتعبة لأن أتباع الهوى يقفون ضده ويكرهون مسيرته ويعترضون انطلاقه إلى غايته، ثم إن الحق عندما يشق طريقه لابد أن يشعر أصحابه بمرارة الكفاح وألم الهزيمة التي لابد أن تصيبهم في مراحل الجهاد الطويل قبل أن يدركوا هدفهم ويحققوا مرادهم.

> **إن المسلمين الذين هاجروا كانوا دعاة توحيد لله وإصلاح للأرض، فهم أصحاب مثل عليا لا نظير لها في الأولين والآخرين**

فرسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبره ورقة بن نوفل - الرجل الخبير بطبائع المجتمعات بقضية الصراع بين الحق والباطل - قائلاً: «يا ليتني معك إذ يخرجك قومك» فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أومخرجيَّ هم»؟ فأجابه: «ما جاء رجل قومه بمثل ما جئتهم به إلا أُخرج».

وبناء على ما سبق يمكن القول: إن الذين ورثوا الخرافة وتعصبوا لها والذين اطمأنوا لأوضاع باطلة تدر عليهم «السمن والعسل» - كما يُقال - يحبون أن تبقى هذه الأوضاع وأن يعيشوا في ظلها، وهم يقاتلون دونها، ولذلك عندما وجدوا ديناً يعكِّر صفوهم ويحارب إفكهم ويمزق خرافاتهم تنمروا له: (وإذا تتلى عليهم آياتنا بيِّنات تعرفُ في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشرٍّ من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) الحج:٧٢.

فأهل الحق يستميتون في الذود عنه ويرزقهم الله أموراً تهوِّن عليهم الصعب، ومن هذه الأمور:

- نفس رفيعة تمج الباطل وتشمئز منه وتشعر بالشقاء لو أنها قارفته أو اقتربت منه.

- نفس تأنس الحق وتعيش له وتستحلي مرارة الدفاع عنه وتستلذ لذة الألم وترى في ذلك كرامتها وعظمتها في الدنيا والآخرة.

- إن الذي خلق الحقيقة علقماً لم يخل من أهل الحقيقة جيلاً، ففي كل زمن يوجد من يحتضن الحق ويستريح إليه. وفي هذا المعنى يقول

أحد الصالحين لما سئل: ما لذلك؟ قال: «حجة تتبختر اتضاحاً وشبهة تتضاءل افتضاحاً».

- مهما طال المدى فإلى الحق المصير، والكفاح مهما كلف من خسائر وحمل من عنت، فإن الفكرة القرآنية لابد وأن ترسو قواعدها مصداقاً لقوله تعالى: (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) الرعد:١٧ .

لقد اصطدم الحق بالباطل طيلة التاريخ البشري، ولكن ما الذي حدث؟ بقي الحق وبقي أهله وتبخر الباطل وتبخر خدمه... إنها حقائق يجب أن تذكر بين يدي الحديث عن الهجرة النبوية الشريفة.

موقع الهجرة في القرآن الكريم: دلالات للاعتبار

لقد ألف الناس أن ينزل القرآن تعليقاً على الأحداث وموجهاً للمسلمين، فإن كان الحدث نصراً - مثلاً - ذكر أسبابه بحق وذكر الغرور الذي قد يصاحب المنتصرين، وإن كان هزيمة ذكر أسبابها بصدق، ومسح التراب الذي عفر جباه المنهزمين، وأخذ بأيديهم حتى يستطيعوا استئناف السير والدخول في مواجهة مع الباطل في معارك أخرى. وعلى هذا النحو نجد أن سورة الأنفال نزلت في أعقاب غزوة بدر، والأحزاب في أعقاب غزوة الخندق، والفتح في أعقاب الحديبية، ونصف آل عمران الأخير في أعقاب هزيمة أحد... إلخ، فهل نزلت في الهجرة سورة ما، كما حدث سابقاً؟ والجواب: لا لم يقع هذا، ولكن الذي وقع أخطر وأجلّ وأهم، وكأن الله تعالى يريد أن يعلِّمنا أن قصة الهجرة أكبر من أن يُعلَّق عليها في سورة واحدة وأن تمر مناسبتها بهذا التعليق وينتهي الأمر، بل حكم عزَّ وجلَّ بأن تكون قصة الهجرة ذكرى تؤخذ العبر والدروس منها على امتداد الزمن وتذكر في أمور كثيرة ومناسبات كثيرة مختلفة، وفيما يلي بعض المواضع التي تحدَّث فيها عن الهجرة في إطار الدواعي والملابسات التي قضت بالعودة إليها حديثاً وعبرة واعتباراً.

في سورة البقرة الآية:٢١٨: (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله) أي إن الرجاء لا يستحقه الكسالى والعجزة، أنه حق المجاهدين والمهاجرين... لِمَ ذُكِرَ هنا أمر الهجرة والجهاد؟

استمع إلى الآية التي سبقتها: (والفتنة أكبر من القتل ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) البقرة:٢١٧. وعليه فإن النجاة من هذا الارتداد والكفر تتطلب واحداً من اثنين:

إما الجهاد حتى تنكسر صولة العدو / الباطل.

وإما الهجرة إذا كان المؤمن أعجز من أن يقاتل.

وهذا المعنى يذكرنا بقوله صلى الله عليه وسلم: «لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا» أي انتهت الهجرة وبقي في أعناق المؤمنين جهاد العدوان والطغيان إلى يوم القيامة، هذه آية علقت على الهجرة بعد وقوعها بسنين.

إن الذي خلق الحقيقة علقماً لم يخل من أهل الحقيقة جيلاً ففي كل زمن يوجد من يحتضن الحق ويستريح إليه

- في سورة آل عمران: نزلت آية تتحدث عن الهجرة بعد هزيمة أحد التي كانت مرة وكان وقعها شديداً على النفوس، ولكن الله أراد أن ينبه المسلم إلى أن المبادئ لا ينصرها المهازيل والضعاف، والأمة المائعة والشباب المائع لا يمكن أن يكون سنداً لهدف ضخم، والنفوس المريضة الحريصة على الدنيا لا يمكن أن تكون حمالة لواجبات عظيمة، إذ كان لابد أن يتلقى المسلمون بعد أحد درساً يذكّرهم بالهجرة، وكان في قوله تعالى: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرنَّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب) آل عمران:١٩٥.

- في سورة النساء: ذكرت الهجرة على نحو يستحق أن ندرسه في عصرنا، فقد كانت الهجرة انطلاقاً بدعوة محبوسة مضطهدة إلى مكان جديد أو وطن جديد تستقر فيه، وتحاول الانطلاق منه لبناء جديد، ولذلك فرض على كل مسلم ترك مكة أو جنوب الجزيرة أو شمالها أو... ويلحق بالإسلام في المدينة كي يسهم ويدعم بناء المجتمع الجديد ويعلي فيه راية التوحيد ويرد عنه عدوان الشرك ويجعل قوة المسلمين في الوطن الجديد تتماسك وتتلاقى، ومن هنا كان عدم الهجرة جريمة واعتبر الذين يؤثرون الضعف في أرضهم حطب جهنم وقال فيهم رب العالمين: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) النساء:٩٧.

ثم استثنى القرآن أصحاب الأعذار الحقيقة في قوله: (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) النساء:٩٨.

- في سورة الأنفال: حديث عن الهجرة بعد النصر في بدر، وسببه أن المسلمين بدا منهم شيء من الرفق بالأسرى حتى تركوهم، ولذلك ذكَّر القرآن المسلمين بأيام الكرب التي كانت تلاحقهم في مكة وهم مضطهدون معذبون: (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) الأنفال:٢٦. ثم يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال:٣٠.

إنها آية تفضح المؤامرة التي حيكت خيوطها في مكة والتي استهدفت الدعوة وقائدها في مرحلة الاستضعاف... يذكّرهم بتلك المرحلة الحرجة حتى لا ينسوا أن واجبهم تطهير الأرض من المجرمين/ الأسرى.

- في الآية ٤٠ من سورة التوبة: (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا)، ربما ظن الكثيرون أن هذه الآية نزلت في أثناء قصة الغار، ولكن الحقيقة أنها نزلت بعد الهجرة بتسع سنوات كما قال الشيخ محمد الغزالي. إن الله - كما قلت سابقاً - يريد أن يرجع المسلمين إلى قصة الهجرة للاعتبار بها والانتفاع بأحداثها. فبعد تسع سنين فرض على المسلمين التجمع لمقاتلة الروم، الدولة الأولى في العالم يومئذ، الدولة المرهوبة الجانب العظيمة السلطان، في وقت كانت قد خرجت لتوها من نصر على الفرس، أي أن الأمجاد كلها كانت تكلل هامة الرومان... في هذه اللحظة أمر المسلمون بالتحرك لقتالها، لقد وقع الرعب في قلوب الناس، وقع التخاذل والقلق، وقال المنافقون: لقد انتهى محمد ودعوته، ونزل القرآن يبكّت المنهزمين الضعاف الذين خافوا القوة ونسوا قوة رب العالمين: (يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل. إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير. إلا تنصروه فقد نصره الله) التوبة: ٤٠. وعاد إلى قصة الهجرة يذكر بوقائعها: (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين...). إن الرجل الفرد الذي خذله الناس وطلبوا قتله ماذا حدث له؟ ما استطاع الناس أن يصنعوا به شيئاً، بل لقد تحول على امتداد الزمن إلى حضارة عمرت المشارق والمغارب بمنطق العقل وأدب النفس، (إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا) لكن متى يكون الله مع الإنسان؟ يوم يكون الإنسان مع الله، يقول أحد الصالحين لتلميذه: «إذا أردت أن تعرف مكانتك عند الله فاعرف مكانة الله في قلبك وفي نفسك».

هكذا عرض القرآن الهجرة في مواطن شتى، من سور مختلفة بعد سنين من وقوعها، نزلت هذه الآيات تعلِّم وتهذِّب وتذكِّر المسلم بمرحلة حرجة من مراحل الدعوة، وبلاء قائدها وصحبه البلاء الحسن في سبيل القيام بمسؤولياتهم كاملة.

في إثارة الذكرى مزيد من الارتباط بالرسالة

تلك هي بعض دروس الهجرة النبوية الشريفة التي هي دروس لحياتنا الباحثة عن الجديد، من خلال بحثها عن الحقيقة التي تتجدد في كل يوم، فتنفض عن فكرها وأسلوبها غبار السنين، كلما امتد للصراع مجال وانطلق للحياة موقف للرسالات.

وذلك بإعطاء الذكرى عندما نريد أن نستثمرها من أجل الرسالة ومن أجل الإنسان وذلك هو الأسلوب الأمثل في إثارة الذكرى - ذكرى الهجرة - في حياتنا... أن نحقق مزيداً من الارتباط بالرسالة ومفاهيمها أمام فوضى المفاهيم التي تطغى في أفكارنا وسلوكنا، وأن نواجه الحياة بروح المسلم الواعي الذي يتلمس خطوات الإسلام في خطواته وخطوات الآخرين، ويبحث عن أهداف الإسلام ووسائله، وأن نمارس العمل والحركة على أساس من شرعة الله وقانونه، عندما تدعونا شرائع الأرض وأحكام الطاغوت إلى السير في اتجاه الطاغوت والابتعاد عن الله للارتباط بخط الشيطان في الحياة.

وبعبارة أخرى تكون الذكرى مرآة للواقع الذي نعيشه من أجل أن نقوم بعملية مقارنة دقيقة بين الصورة الحية التي تجسدت في المسلم الأول وأصحابه من المسلمين الواعين المخلصين، وبين الصورة التي تتمثل في حياتنا الفكرية والعملية... أن تكون الذكرى تفجيراً للطاقات الروحية والفكرية والاجتماعية... في حركة الواقع، وليس تحذيراً للوعي والإرادة... لنتجدد في كل مواقع الذكرى في عملية جهاد متواصل وكدح مستمر حتى نلقى صاحب الذكرى وصحبه.

وما دامت الرسالة هي منطقنا الأساسي في علاقتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا بد أن تكون هاجسنا في الذكرى من أجل تلمس خطواتها في حركة الواقع والحياة ودورها في نموه وتغييره، لا يكفي أن نكيل المديح له صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي نقف فيه مع الإسلام ليتحول إلى مجرد عمل فردي أو طقوس فردية أو جماعية صورية أو شعارات غائمة... إلى مجرد «شيء» نطلب من الآخرين أن يمنحونا حرية أدائه وممارسته، أهذا هو إسلام رسول الله الذي استخلصنا بعض ملامحه من الهجرة؟... صلاة فقط، صوم فقط، وأحوال شخصية مشوهة... إنها الصورة الناقصة للإسلام التي لم ترض المسلمين أنفسهم ولم تملأ حياتهم، لأنها لم تحقق لهم الشعور بالاكتفاء الذاتي عن التطلع لما في أيدي الآخرين من عقائد ومبادئ وشرائع. وإذا لم تدرس السيرة - ومنها الهجرة - بمثل هذه الرؤى المنهجية المكنة من الإجابة عن أسئلة الواقع ومعالجة مشكلاتهم فسوف تبقى في خانة التبرك والفخر ليس إلا.(٥)

> **عرض القرآن الهجرة في سور مختلفة بعد سنين من وقوعها تعلم وتهذب وتذكر المسلم بمرحلة حرجة من مراحل الدعوة**

وبعد: ونحن على أبواب عام هجري جديد نحب أن ننبه إلى صورة المرحلة الجديدة من حرب الإسلام والمسلمين التي تظهر هنا وهناك، بعد أن بدأ المسلمون هجرتهم إلى الإسلام من جديد وبعد أن سقطت كل الأسلحة القديمة وانكسرت في يد أصحابها الذين أرادوا الكيد لهذا الدين، حيث كان التشكيك بالإسلام نفسه ومدى صلاحيته للحياة ومحاولة عزله عن واقع الحياة وحجزه في أماكن العبادة، وحيث تربى على ذلك جيل من الضائعين يخوفون الناس من الإسلام، ويشككون بصلاحيته، ولكن عرفوا الحقيقة بعد تجارب مريرة ●

المراجع:

١ - عمر عبيد حسنة - مجلة الأمة القطرية ص ٤ عدد ١/محرم ١٤٠٢هـ.

٢ - نفسه ٣ - نفسه ص ٥ ٤ - نصفه.

٥ - مقدمة كتاب الأمة: ٥٤.

بقلم: د.حسن عبدالغني أبوغدة

المـــزاح بين الحلال والحرام

من ذا الذي يريد أن تكون الحياة كلها عابسة مقطبة الجبين؟ وإذا كان هناك من يريدها كذلك، فمن الذي يطيقها ويرضاها؟

إن الحياة بغير مزاح عبء ثقيل قلّ من يحتمله، ومن هنا قالوا: المزاح فاكهة المجالس.

فما حقيقة المزاح؟ وما مدى حاجتنا إليه؟ وما موقف الإسلام منه؟ وهل في ذلك صور عملية من العصور الإسلامية الأولى؟ هذا ما سيتضح فيما يلي:

تعريف المزاح:

المزاح «في اللغة»: بكسر الميم وضمها، معناه: المداعبة، ومن مترادفاته: الانبساط، والإحماض، والفكاهة، والطُرفة، والنكتة، والهَزْل. روي أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يقول لجلسائه: أحمِضوا رحمكم الله. أي خذوا من المفاكهات. وكان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يقول لأصحابه إذا ملُّو في الدرس: حمِّضونا، وميلوا إلى الفاكهة، فإن النفس تملُّ كما تمل الأبدان. أما المزاح «في الاصطلاح» فهو: المداعبة التي هي نقيض الجد، وفيها المرضي وفيها المؤذي.

الحاجة إلى المزاح

تؤكد الدراسات المعاصرة، أن الإنسان السويّ بحاجة إلى الضحك والتبسم، وأن المزاح من أدوات ذلك ووسائله، فهو يمسح عن النفس البشرية الهموم التي تنتابها أو تحل بها، فتشعر بالسعادة والراحة، وتسترد نشاطها وتجدِّد حيويتها، وتقوى على متابعة أشواط الحياة بهمة واضحة، وعزيمة أكيدة.

وقد أشار إلى هذه المعاني ما رواه الديلمي وأبو نعيم القضاعي من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «روِّحوا القلوب، ساعة وساعة».

هذا، ومع أن الحاجة إلى المزاح ماسة، لكنها ليست مطلقة ولا عامة، حيث عمل الإسلام على تنظيم هذا السلوك، وضبط حالات المزاح فيها، وتوجيهه إلى البناء لا إلى الهدم، والسمو لا إلى الإسفاف، وبناء على هذا يمكن للمزاح ـ عموماً ـ أن تتعدد أحكامه الشرعية، حسب ما يلازمه أو يصاحبه من أحوال ومقاصد، وذلك على النحو التالي:

المزاح الحلال

يرى أكثر أهل العلم: أن المزاح مباح في الأصل، وهو لا بأس به إذا راعى المازح فيه الحق وتحرّي الصدق فيما يقوله ولم يتخذ المزاح ديدناً له. ومما يدل على ذلك ما يلي:

١ ـ ما رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا؟ قال: «إني لا أقول إلا حقاً». قال العلماء: معنى تداعبنا: تمزح معنا.

٢ ـ ما رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث صحيح غريب: عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «يا ذا الأذنين» يعني: مازحه، لأن كل إنسان صاحب أذنين.

٣ ـ ما رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب: عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: احملني على بعير، فقال له: «إنا حاملوك على ولد الناقة» قال الرجل: وما أصنع بولد الناقة؟!. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل تلد الإبل إلا النوق»؟!

وبناء على هذه الأدلة وغيرها من أهل العلم: فإن أصل المزاح مباح، إذا كان بما يحسن، من غير كذب، ولا إفراط فيه.

انقلاب المزاح المباح إلى مندوب أو واجب

من المسلَّم به في أصول الشريعة أن المباح قد ينقلب إلى مندوب «مستحب» أو واجب إذا صادف مصلحة معتبرة شرعاً. وهذا ما ينطبق أيضاً على المزاح المباح الحلال، فقد يصير مستحباً أو واجباً. أما انقلابه إلى مستحب فهو عندما يلاحظ الإنسان في نفس جليسه وَحْشة أو همَّاً أو كآبة أو حزناً، قال ابن حجر والقسطلاني: «إن صادف المزاح مصلحة مثل تطييب نفس المخاطَب ومؤانسته فهو مستحب». ويُستدل لهذا بما رواه البيهقي وابن سعد ـ وأصله في الصحيحين ـ عن أنس ـ رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أبي طلحة، فرأى ابناً له يكنَّى أبا عمير حزيناً، فقال: «مالي أرى أبا عُمَيْر حزيناً» قالوا: مات نُغَرُه الذي كان يلعب به، قال: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يا أبا عُمير، ما فعل النغير»؟ والنغير: فرخ العصفور.

أما انقلاب المزاح المباح إلى واجب فهو - على سبيل المثال - ما يغلب على ظن الطبيب الثقة الماهر أن هذا المريض لا يُشفى مما هو فيه من كآبة أو حال نفسية أو عصبية... إلا بالمزاح. فيتعين المزاح حينذاك، لأن من مقاصد الشريعة المقررة حفظ النفوس والعقول، ومن المعروف أن للوسائل حكم الغايات.

هذا ولا ينبغي للمزاح المباح أو المندوب أو الواجب أن يخرج على أوصافه وضوابطه وأهدافه الشرعية.

ضوابط المزاح المشروع

تشير كتابات أهل العلم إلى أن للمزاح المشروع - المباح أو المستحب أو الواجب - ضوابط لا يسع المازح تركها والتحلل منها أو التساهل فيها، ومن ذلك ما يلي:

١ - التزام الحق والصدق: وذلك للحديث الآنف: «إني لا أقول إلا حقاً».

٢ - البعد عن الإفراط في المزاح المباح: وذلك لأن الإفراط فيه يورث كثرة الضحك، وهي تميت القلب، وتوقع في الغفلة عن الله تعالى، إضافة إلى ما في ذلك من مداومة على الهزل الذي يسقط المهابة ويجرِّئ الناس، روى الترمذي وابن ماجه وإسناده حسن، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم وكثرة الضحك، فإنها تميت القلب».

٣ - تجنب المزاح المحرِّك للضغائن والأحقاد: من المعلوم أن المزاح الحق في بعض حالاته يوصل إلى الإيذاء والمخاصمة، كأن يكون المزاح ثقيلاً، أو يثير نزاعات عرقية أو محلية أو إقليمية أو دينية... روى الترمذي وقال: حديث حسن غريب: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تمار أخاك ولا تمازحه» والمماراة: المجادلة التي تؤول إلى خصومة، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بينها وبين المزاح في حديث واحد، لبيان خطورة المزاح الموصل إلى الأحقاد والضغائن.

٤ - ممارسة المزاح بجميل القول ومستحسن الفعل: وذلك باختيار الألفاظ الحلوة الجميلة، والأسلوب اللطيف الذي تتطلع إليه النفوس وتسعد به القلوب، أخرج ابن عساكر وضعَّفه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلاً سأله: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح؟ قال: نعم، فقال: ما كان مزاحه؟ فقال ابن عباس: كسا النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه ثوباً واسعاً، وقال: «البسيه واحمدي الله، وجرِّي من ذيلك هذا كذيل العروس»، ففي هذا ممازحة النبي صلى الله عليه وسلم لزوجته ومداعبتها من خلال تشبيهها بالعروس وتذكيرها بأيام البهجة والفرح.

غايات المزاح المشروع وأهدافه

المزاح صورة من صور المجاملة الاجتماعية الحقة، والملاطفة المحبَّبة، والمفاكهة المرغوبة ، وقد شُرع في الإسلام لأهداف وغايات سامية منها:

١ - الإسهام في زيادة الترابط الاجتماعي: وذلك من خلال إشاعة جوٍّ من الأنس والمودة والألفة، سواء بالقول الحسن أو بالفعل الجميل.

روى أحمد والبيهقي وابن حبان وسنده على شرط الشيخين أن زاهر بن حرام كان بدوياً، وكان إذا جاء إلى المدينة أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدية من البادية، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم مرة في سوق المدينة، فاحتضنه من ورائه بكفيه، وقال مازحاً: «من يشتري هذا العبد»؟ فعرفه زاهر فقال: يا رسول الله، إذاً والله تجدني كاسداً، فقال: «لكنك عند الله لست بكاسد».

٢ - استجماع النشاط وزيادة الاقتدار على متابعة مسؤوليات الحياة: وقد سبق أن الحياة لا تخلو من أعباء وانقباض وجفاف، وأنها تحتاج إلى وسيلة للتنفيس والتخفيف، من أجل استجماع النشاط والتقوِّي على متابعة الكفاح، وهذا معنى قوله «روِّحوا القلوب ساعة وساعة».

٣ - تيسير الوصول إلى قلوب الآخرين لتسهيل انقيادها: من الملاحظ أن المازح يستطيع بدماثة خلقه دخول قلوب الآخرين وتوجيهها إلى ما يريد بسلاسة ويسر، ورضىً وطواعية.

٤ - معالجة ضعف القلوب وجبرها، ويتحقق هذا غالباً مع الصغار والعجائز والمرضى والبسطاء والمهمومين من الناس، وهذا ما عبَّر عنه الإمام الغزالي بالمطايبات، وذكر أن أكثر مطايبات النبي صلى الله عليه وسلم كانت مع الصغار والعجائز والبسطاء من الناس وتقدمت صور من ذلك.

٥ - بعث التدبر الذهني وتقوية البداهة واستثارة الذكاء: ويلاحظ هذا إذا جاء المزاح بصيغ الكناية والتورية والألفاظ الموهمة، وعندها تظهر أهمية الفروق الذهنية الطردية، ومدى نباهة الممزوح معه وتيقظه واستقصائه على الاستدراج والوقوع في الغلط، وسبقت هذه المعاني فيمن طلب حمله على بعير، وفي زاهر البدوي.

٦ - تهذيب الممازَح وغيره وتقويم سلوكه، روى ابن السني بإسناد ضعيف عن عبدالله بن بُسر - رضي الله عنه - قال: بعثتني أمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطف من عنب، فأكلت منه قبل أن أبلِّغه إياه، فلما جئت به أخذ بأذني وقال: «يا غُدر»، وفي هذه الممازحة اللطيفة تنبيه للطفل على خطورة الإخلال بالأمانة، وحفزٌ له على تقويم سلوكه وعدم العودة إلى مثل ذلك.

المزاح الحرام

المزاح الحرام: هو الداعبة التي تستحل على قول أو فعل نهى عنه الشرع ورتب عليه العقاب. وفي ضوء هذا التعريف، فإن من المزاح الحرام ما يلي:

١ - ما جانب الحق والصدق، وكان فيه كذب وافتراء، وحكاية لأمور خيالية غير واقعية بقصد إضحاك الناس.

٢ - ما كان فيه تخويف الناس وإيذاؤهم، قولاً أو فعلاً أو إشارة، وإن كان بقصد الضحك والمزاح والمداعبة.

٣ - ما ترتب عليه إضاعة حقوق لله تعالى: كالإخلال بالفرائض والانشغال عن ذكر الله وطاعته بسبب حفلة ضاحكة

ونحوها.

٤ ـ ما ترتب عليه أذى في المازح والممازَح، سواء كان الأذى نفسياً أو بدنياً أو اجتماعياً، كأن يتضارب المتمازحان أو غير ذلك أو يسخر الناس من الممزوح معه.

٥ ـ المزاح الذي يمسُّ العورات ويتحدث عن الحرمات والأعراض والأدلة على تحريم هذا النوع من المزاح: وردت مجموعة من الآيات والأحاديث التي تفيد تحريم هذا النوع من المزاح ومن ذلك ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهنَّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب...) الحجرات:١١، وهذه المحرَّمات المذكورة «السخرية ـ واللمز ـ والتنابز» إذا صاحبت المزاح صار المزاح حراماً.

٢ ـ روى أحمد وأبو داود والبيهقي: أن الصحابة كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى سهم معه فأخذه، ففزع الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يفزع مسلماً ولو هازلاً».

٣ ـ روى أبو الشيخ بإسناد حسن: عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا هل عسى رجل منكم يتكلم بالكلمة يضحك بها القوم، فيسقط بها أبعد من السماء؟ ألا هل عسى رجل منكم يتكلم بالكلمة يضحك بها أصحابه، فيسخط الله بها عليه، لا يرضى عنه حتى يدخله النار»؟

صور أخرى من المزاح الحرام

من هذا النوع: ما يعرف بكذبة «أبريل»، وهي من عادات غير المسلمين وتقليدهم فيها حرام، فضلاً عمَّا تسببه من أضرار وأمراض ومفاسد.

ومن المزاح الحرام. الأعمال الكوميدية المشتملة على الاستهزاء بعقيدة المسلمين وشعائرهم، قال الله تعالى: (قال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون)؟ التوبة:٦٥. ومثلها أيضاً: الرسوم الكاريكاتيرية الفاسدة.

ومن المزاح الحرام. التحدث فيما يمسُّ الحرم والأعراض وحالات الإنسان الخاصة مع أهله والمفاخرة بذلك ـ وإن كان ذلك حقاً واقعاً ـ إذا كان يذكر للمزاح وإضحاك الناس، ويدل على هذا المنع عموم ما رواه مسلم من حديث: «إن من أشرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر أحدهما سرَّ صاحبه».

وفي رواية الأحمر: «... فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون».

وفي مسند أحمد أيضاً وفي سنن البيهقي حديث: «الشِّياعُ حرام»، قال أحد الرواة: هو الذي يفتخر بالجماع ويُشيع خبره بين الناس...

ومن المزاح الحرام: المزاح الساخر من أهل بلد أو محلة أو صنعة أو الذي يؤجج عصبية عنصرية أو جاهلية.

ومن المزاح الحرام، مزاح الرجل مع المرأة الأجنبية، ومزاحها مع رجل من غير محارمها، لما يؤول إليه غالباً من معصية.

المزاح المكروه. هو المداعبة المشتملة على قول ذميم أو فعل مستكره لا يترتب عليه عقاب شرعي.

وفي ضوء هذا التعريف يمكن عرض بعض صوره ومن ذلك ما يلي:

١ ـ الإسراف في المزاح الحق والاسترسال فيه. فهو يخدش مكانة الفرد ويسقط وقاره ويشعر بسخف عقله وبطر معيشته، وربما جرَّ إلى الكذب وآل إلى المخاصمة والوقوع في الحرام.

٢ ـ المزاح مع من لايتقبله: وذلك لما يترتب عليه من ضيم وإحراج، وربما أحزن القلب وأخرج عن الحشمة والآداب الاجتماعية.

٣ ـ بكلام مستكره الفحوى والمضمون: كالتعريض بالعورات والأشخاص ولو كان موضوع المزح حقاً واقعاً.

٤ ـ اتخاذ المزاح الحق مهنة، وسبق بيان أن المزاح الكاذب حرام قطعاً، أما المزاح الحق فهو مكروه إذا اتخذه الإنسان ديدناً له وأسرف فيه، ولو على سبيل المهنة، فضلاً عن أن هذا العمل غير منتج اقتصادياً، بل هو بطالة مقنعة وأرى أن هذا يشمل ما يسمَّى بالرسوم الكاريكاتيرية والأعمال الكوميدية التي ليس فيها افتراء وبهتان وكذب.

أدلة ذم المزاح المكروه: من أدلة ذم المزاح المكروه ما يلي:

١ ـ الآية: (والذين هم عن اللغو معرضون) المؤمنون:٥، ومن الواضح أن الاسترسال في المزاح الحق والإسراف فيه وبه من وجوه اللغو، لضياع الوقت بغير فائدة ونفع.

٢ ـ حديث الشيخين: «... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت».

٣ ـ حديث الترمذي وهو حسن غريب: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي» وهو ينطبق على كثير من حالات المزاح المكروه.

٤ ـ قول الصحابي سعيد بن العاص ـ رضي الله عنه: «اقتصد في مزحك، فالإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ عليك السفهاء».

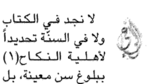
وهكذا يتضح مدى اعتدال وواقعية أحكام الإسلام وشرائعه، حيث أباح للنفس البشرية صور المزاح التي تخفف عنها أعباء الحياة، وتمسح عنها الهموم، وتجدد لها النشاط والحيوية وتوثق عرى الصلات الإنسانية، وتؤدي أهدافها التربوية والاجتماعية، بعيداً عن الإساءة والظلم والافتراء، وإضاعة الحقوق والفظاظة مع الناس، أو إهدار الوقت في نشاط هدام غير منتج. وصدق الله العظيم: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) الإسراء:٩ ●

* أستاذ الفقه المشارك في قسم الدراسات الإسلامية ـ كلية التربية ـ جامعة الملك سعود.



هل يصلح تحديد أهلية النكاح بالسن؟

بقلم: عبدالرحمن العمراني
أستاذ الدراسات الإسلامية - مكتبة الآداب
مراكش - المغرب



لا نجد في الكتاب ولا في السنّة تحديداً لأهلية النكاح(١) ببلوغ سن معينة، بل نجد في القرآن الكريم ما يفيد أن الفتاة يجوز أن تتزوج صغيرة قبل المحيض، ونجد في السنّة النبوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالزواج كل من يقدر عليه من الشباب، لكن قد يظهر من خلال الممارسة أنه يترتب على بعض أنكحة الصغار مفاسد رأت بعض الاجتهادات الفقهية المعاصرة درءها باشتراط بلوغ سن معينة فيمن يريد الزواج.

أولاً: آراء الفقهاء المعاصرين في المسألة

قيَّدت بعض قوانين الأحوال الشخصية العربية أهلية النكاح ببلوغ الزوجين سناً معينة ومنعت الزواج دونها، فجاء في الفصل الثامن من مدوَّنة الأحوال المغربية أنه «تكتمل أهلية النكاح في الفتى بتمام الثامنة عشرة، فإن خيف العنت رفع الأمر إلى القاضي. وفي الفتاة بتمام الخامسة عشرة من العمر». ظاهر هذا النص أنه يشترط للزواج بلوغ الفتى والفتاة سناً معينة يمنع زواجهما دونها إلا بإذن من القاضي. وجاء في المادة الثامنة من مشروع القانون العربي الموحد للأحوال الشخصية أنه «تكمل أهلية الزواج بالعقل وبلوغ الفتى سن الرشد(٢) القانوني وإتمام الفتاة الثامنة عشرة من العمر».

ويعد قانوناً الأحوال الشخصية المصري والسوري أشد هذه القوانين صرامة في هذه المسألة، أما قانون الأحوال الشخصية المصري فتظهر صرامته فيها في أمرين اثنين أحدهما عند إنجاز العقد، إذ منع الموظف المختص في مباشرة عقود الزواج والمصادقة عليها من أن يشرف على عقد زواج امرأة لم تبلغ السادسة عشرة من العمر، وأحدث عقوبة عند المخالفة(٣)، فجاء في الفقرة الثانية من المادة السابعة والستين وثلاثمئة من لائحة المحاكم الشرعية الصادر بها القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ أنه «لا يجوز مباشرة عقد الزواج ولا المصادقة على زواج مستند إلى ما قبل العمل بهذا القانون ما لم يكن سن الزوجة ست عشرة وسن الزوج ثماني عشرة سنة وقت العقد»، والثاني في سماع دعوى الزوجية إذ اشترط لسماعها أن تكون المرأة قد بلغت السادسة عشرة والزواج قد بلغ الثامنة عشرة وقت رفع الدعوى، فإن لم يكونا قد بلغا السن المحددة فلا تسمع المحكمة دعوى أحدهما الزوجية سواء أكان النزاع في الزوجية نفسها أم في أثر من آثارها(٤)، اللهمَّ إلا ما تعلق منها بالنسب، فإن دعواه تسمع وإن لم يكن الزوجان بلغا السن المحددة وقت العقد.(٥)

وبهذا يكون قانون الأحوال الشخصية المصري قد منع سماع دعوى الزوجية إذا لم يكن الزوجان قد بلغا «السن المعينة» وقت رفع الدعوى دون أن يعني هذا عدم صحة العقد، وقد قدر الدكتور مصطفى السباعي أن عذر القانون في ذلك هو «واقع الريف المصري، فإن زواج الصغار منتشر جداً فأرادوا احترام الأوضاع الاجتماعية القائمة، واعتبروا عدم سماع الدعوى في هذا الزواج خطوة أولى في طريق إيقافه»(٦)، ويشبه هذا ما ذهب إليه القانون الكويتي رقم ٥١ في شأن الأحوال الشخصية، إذ نص في المادة السادسة والعشرين على أنه «يمنع توثيق عقد الزواج أو المصادقة عليه ما لم يتم سن الفتاة الخامسة عشرة، ويتم سن الفتى السابعة عشرة من العمر وقت التوثيق»، فهذه المادة وإن منعت توثيق عقد الزواج بالنسبة لمن لم يبلغ السن المذكورة، فإنها لا تنفي صحة الزواج إذا كان الزوجان بالغين البلوغ الطبيعي، وكان العقد قد استوفى شروطه المطلوبة.

وأما قانون الأحوال الشخصية السوري فتظهر صرامته في المسألة في أخذه بـ«مبدأ عدم صحة زواج الصغار، وأن أحداً لا يملك تزويجهم سواء أكان ولياً أم وصياً. وإن وقع ذلك كان لغواً لا أثر له»(٧)، ولا شك أن في الحكم بعدم صحة تزويج الولي الصغير أو الصغيرة اللذين هما تحت ولايته تشدداً في المسألة، لأن العقد إذا استوفى أركانه وشروطه صحَّ وترتبت عليه آثاره، ولعل هذا المسلك كان الهدف منه هو جعل زواج الصغار تحت مراقبة الجهاز القضائي لما جاء في المادة الثامنة عشرة منه أنه «إذا ادعى المراهق البلوغ بعد إكماله الخامسة عشرة أو المراهقة البلوغ بعد إكمالها الثالثة عشرة وطلبا الزواج، يأذن به القاضي إذا تبيَّن صدق دعواهما واحتمال جسميهما»، لكن ظاهر هذه المادة يفيد نفي دعوى الفتاة بلوغها في الثالثة عشرة، وهذا نفي لأمر ممكن التحقق، إذ إن من الفتيات من يبلغن ببلوغهن السن المذكورة، وأيضاً تربط هذه المادة إذن القاضي بالزواج بالإضافة إلى السن، باحتمال جسم من يريد الزواج، وكأنَّها تحصر الباءة في القوة الجسدية.

ثانياً: الأدلة

ورد في بعض المذكّرات التوضيحية لهذه القوانين وعند بعض شراحها أن فكرة تحديد أهلية النكاح بالسن تنبنى على أمور هي:

١ - تحقيق المصلحة: يعني تحقيق مصلحة المرأة والأسرة والمجتمع كله، لما ذكره الأستاذ علال الفاسي(٨) أن تحديد أهلية النكاح بالسن «يندرج تحت أصل شرعي هو مصلحة المرأة العامة ومصلحة الأسرة من حيث هي»(٩).

أ - أما مصلحة المرأة فتظهر في كون تحديد زواجها بالسن يؤخر تحملها مسؤولية البيت إلى أن تتهيأ لها.(١٠)

ب - وأما مصلحة الأسرة فتظهر في كون الزواج مسؤولية تنشأ به علاقات عائلية تحتاج إلى تقديرها، وتترتب عليه آثار والتزامات تحتاج إلى وعي بها واستعداد من الطرفين لتحملها. جاء في المذكرة

الإيضاحية لقانون الأحوال الشخصية المصري أن «عقد الزواج له من الأهمية في الحالة الاجتماعية منزلة عظمى من جهة سعادة المعيشة المنزلية أو شقائها والعناية بالنسل وإهماله، وقد تطورت الحال بحيث أصبحت تتطلب المعيشة المنزلية استعداداً لحسن القيام بها، ولا تستأهل الزوجة أو الزوج لذلك غالباً قبل بلوغ سن الرشد القانوني».(١١)

جـ ـ وأما مصلحة المجتمع فتتجلى في سلامة الأسرة من التصدع وهي «لاتتحقق إلا أن يكون الزوجان قادرين على القيام بأعباء الزوجية، مقدرين لقدسية الزواج والتزاماته المادية والأدبية والاجتماعية»(١٢)، وقد جاء في المذكرة الإيضاحية لمشروع مدونة الأحوال الشخصية المغربية أن تحديد سن أهلية الزواج جاء «اعتماداً على ما يثبت من الأخطار الاجتماعية والصحية التي تنتج من الزواج المبكر سواء من الإناث أو الذكور»(١٣)، وكذلك جاء في المذكرة الإيضاحية لقانون الأحوال الشخصية الكويتي أن مشرِّعه «لاحظ ما لعقد الزواج من الأهمية في الحالة الاجتماعية من جهة سعادة الأسرة أو شقائها، والقدرة على إنجاب نسل قوي والعناية به، وما أوجبه تطور الزمن من استعداد كبير لحسن القيام بشؤون الأسرة، وأن زواج الصغار مجلبة للأمراض، يضني الشباب ويمنع الفتاة نموها الطبيعي، وأن توارث الأمراض العقلية يحول دون بناء مجتمع سليم»(١٤).

٢ ـ حق ولي الأمر في تقييد المباح إذا أفضى استعماله إلى ضرر عام. جاء في المذكرة الإيضاحية لمشروع القانون العربي الموحد للأحوال الشخصية أن تحديد أهلية النكاح بالسن مبني على حق ولي الأمر في تقييد المباح بناء على رأي أهل العلم والدين إذا أدى المباح إلى ضرر(١٥). وفي نظر اللجنة التي وضعت هذا المشروع فإن الزواج في الصغر أفضى إلى أضرار دعت إلى تقييد النكاح بالسن لدرئها. وكذلك ورد التصريح استناداً إلى هذه القاعدة في المذكرة الإيضاحية لقانون الأحوال الشخصية الكويتي.(١٦)

ثالثاً: مناقشة

يرجع أصل فكرة تقييد أهلية النكاح بالسن إلى تقليد غير المسلمين في المسألة صرَّح بهذا الأستاذ علال الفاسي(١٧)، ومن هذا الوجه ردها الدكتور مصطفى السباعي بأن «ليس لهذا التحديد مستند من آراء الفقهاء الإسلاميين، ولكنه أخذ عن القوانين الغربية، وللغربيين بيئتهم وأوضاعهم الخاصة»(١٨).

وربما يكون في تقييد النكاح ببلوغ سن معينة، جلب مصلحة أو دفع مفسدة قد تنتج من الزواج في الصغر، لكن ظاهره منع الزواج دونها ولو بلغ الفتى والفتاة النكاح قبلها مما يوقعهما في حرج من الأولى دفعه. وقد سبق للأستاذ علال الفاسي أن وصف هذا الإجراء بأنه «تشدد خارج روح الشريعة، وضغط لا موجب له»(١٩). ومع ذلك لا تزال الفكرة تُثار اليوم لا من أجل التشدد في تطبيقها كما وردت في قوانين الأحوال الشخصية العربية، ولكن باقتراح رفع سن الزواج إلى الثامنة عشرة عند الفتى والفتاة معاً، فيمنعان من الزواج دونها تبعاً لما جاء في الاتفاقات الدولية في هذا الشأن(٢٠). ويمكن رد هذا المقترح من وجهين:

أحدهما أنه ثبت في القرآن الكريم بدليل قطعي جواز زواج الصغيرة قبل بلوغها، في قوله تعالى: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن) الطلاق:٤، ففيه بيان عدة المطلقات اللائي لم يحضن. ومعلوم أن العدة لا تكون إلا بعد طلاق أو وفاة، والطلاق لا يقع إلا بعد زواج، فثبت بهذا صحة زواج الصغيرات شرعاً. قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: (واللائي لم يحضن): «يعني الصغيرات فعدتهن ثلاثة أشهر»(٢١). ووصف ابن حجر الاستدلال بهذه الآية على جواز نكاح الصغيرة قبل البلوغ بأنه «استنباط حسن»(٢٢)، وأيضاً ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة وهي بنت ست سنين(٢٣)، ثم ثبت أن من الصحابة من كانوا يبكرون في تزويج أبنائهم وبناتهم، فعن ابن عمر أنه زوَّج ابناً له ابنة أخيه وابنه صغير يومئذ(٢٤)، وعلى هذا صار أكثر الفقهاء ولم يخالف في ذلك إلا القليل منهم.(٢٥)

نجد في القرآن الكريم ما يفيد أن الفتاة يجوز أن تتزوج صغيرة قبل المحيض ونجد في السنّة النبوية أن رسول الله ﷺ أمر بالزواج كل من يقدر عليه من الشباب

وليس هذا خاصاً عندهم بالصغيرة، بل أجازوا تزويج الأب ابنه الصغير أيضاً، فقال الإمام الشافعي: «وللآباء تزويج الصغير ولا خيار له»(٢٦)، وقال ابن قدامة: «ليس لغير الأب أو وصيه تزويج الغلام قبل بلوغه»(٢٧)، وهو ما يؤخذ منه عن طريق المفهوم أن تزويج الصغير خاص بالأب أو وصيه، يحصل من هذا أن في منع الزواج بإطلاق قبل السن المحددة مخالفة لما ورد في الشريعة في المسألة. وهو إجراء وصفه الأستاذ علال الفاسي بأنه «إفراط لا مبرر له في روح الشريعة الإسلامية»(٢٨).

والوجه الثاني الذي يرد على اقتراح رفع سن الزواج أنه لم يثبت في الشرع اشتراط السن لانعقاد النكاح، ولم يكن ركناً من أركان الزواج ولا شرطاً فيه، بل إنه يصح تزويج الصغار وتترتب عليه جميع آثاره.(٢٩)

ومما يمكن أن يتسبب فيه التشدد في منع الزواج دون السن المقدرة قانوناً هو أن تنتج منه مفاسد وأضرار تلحق المجتمع بكامله والفتيات فيه خصوصاً لما فيه من حرمانهن من زواج قد لا يتيسر بعد بلوغهن. وهنا تكون المصلحة في العمل على تيسير النكاح بدل التشدد في منعه.

وبناء على هذا، يبطل القول بالمنع المطلق للزواج قبل السن المقدرة

قانوناً، وتترجح الدعوة إلى تقييده بضوابط مقبولة حتى لا ينعقد من أنكحة الصغار إلا ما تظهر فيه مصلحة، بناء على قاعدة ارتكاب أخف الضررين(٣٠). فالزواج تدفع إليه الرغبة فيه مع توافر الباءة، فإذا توفرتا لم يكن معنى للتشدد في منعه. وإذا كان من حق ولي الأمر تقييد المباح إذا ترتب عن استعماله فساد، فالذي حصل في بعض القوانين أنها تعدَّت تقييد المباح إلى الحكم بمنعه مطلقاً، ولا يملك أحد منع ما أباحه الشرع منعاً مطلقاً.

رابعاً: خلاصة

نخلص من كل هذا إلى أنه إذا كان من مصلحة في تحديد أهلية النكاح ببلوغ الذكر والأنثى سناً معينة، فإن في الحكم المطلق بمنع الزواج دون السن المحددة مخالفة للنص الذي فيه جواز تزويج الصغيرة. وما قيل من حصول أضرار بسبب استمرار الزواج المبكر، فإن دفعها لا يقتضي منعه بإطلاق إذ من شأن منعه مطلقاً أن يفتح باباً لفساد أشد مما ينتج من الزواج المبكر، من أجل هذا دعا الأستاذ علال الفاسي إلى عدم المبالغة في تنفيذه إلى حد إبطال ما وقع منه، وأكد أنه «إذا كان في التحديد مصالح لا تنكر، فإن في المبالغة في مراعاته أضراراً أشد، ودرء المضرة والمفسدة مقدم على جلب المصلحة شرعاً»(٣١).

من هنا وجب إعادة النظر في الحكم بالمنع المطلق للزواج دون السن المقننة بوضع ضوابط تترك فرصة لمن أراد أن يتزوج قبل بلوغها وهو يستطيع الباءة بأن يرفع أمره إلى القاضي ليأذن له به بناء على «وقائع قابلة للإثبات القضائي»(٣٢)، ومنها اعتماد البلوغ الطبيعي والباءة، حتى «إذا لم يثبت بلوغ النكاح، كان البلوغ بالسن (...) وهو رأي جمهور الفقهاء».(٣٣)

ولقد أحسنت بعض قوانين الأحوال الشخصية العربية صنعاً حين تركت لمن لم يبلغ السن المحددة قانوناً وهو يرغب في الزواج سواء أكان ذكراً أم أنثى الحق في أن يرفع أمره إلى القاضي لينظر في أمره ويأذن له بالزواج إذا بدا له أن به تحقيق مصلحة ودفع مفسدة ■

الهوامش

١ ـ ليس المراد بأهلية النكاح هنا، البلوغ الطبيعي للفتى والفتاة، فهذه مسألة عمل الفقهاء قديماً على تحديدها إما بناء على علاماته التي تظهر في الفتى والفتاة، أو بالسن وهي مختلف في تقديرها، وإنما المراد بها وضع سن محددة لا يسمح بالزواج دونها.

٢ ـ رشد الفتى قيده مشروع القانون المذكور بالسن، وقدره في المادة السادسة والأربعين ومئة ببلوغ إحدى وعشرين سنة ميلادية بالنسبة للذكر والأنثى، وتجب الإشارة إلى أن وصف أحد بأنه راشد ببلوغه سناً معينة أمر محدث، لأن الذي ورد في القرآن الكريم هو أن ترشيد سفيه يكون نتيجة مراقبة مستمرة لتصرفاته تبتدئ عند بلوغه النكاح، ويدل عليها قوله تعالى: (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) النساء:٦.

٣ ـ جاء النص على هذه العقوبة في المادة الثانية من القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٣٣م بلفظ: «يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سنتين أو بالغرامة لا تزيد على مئة جنيه، كل من أبدى أمام السلطة المختصة بقصد إثبات بلوغ أحد الزوجين السن المحددة قانوناً لضبط عقد الزواج أقوالاً يعلم أنها غير صحيحة، أو حرَّر أو قدَّم لها أوراقاً، كذلك متى ضبط عقد الزواج على أساس هذه الأقوال المزورة، ويعاقب بالحبس أو الغرامة لا تزيد على مئتي جنيه كل شخص خوَّله القانون سلطة ضبط عقد الزواج إذا عقده وهو يعلم أن أحد طرفيه لم يبلغ السن المحددة في القانون».

٤ ـ هذا ما جاء في الفقرة الخامسة من المادة ٩٩ من القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١م.

٥ ـ ينظر أحكام الأسرة في الإسلام للدكتور محمد مصطفى شلبي: ١٣٤.

٦ ـ المرأة بين الفقه والقانون د. مصطفى السباعي: ٥٨.

٧ ـ ينظر المرجع نفسه.

٨ ـ هو المقرر العام للجنة تدوين أحكام الفقه الإسلامي بالمغرب التي تم تكوينها في سنة ١٩٥٧م، توفي سنة ١٩٧٤م.

٩ ـ ينظر النقد الذاتي للأستاذ علال الفاسي: ٢٨٢.

١٠ ـ ذكر حماد العراقي ـ المحامي العام بالمجلس الأعلى للقضاء بالمغرب ـ أن ما ذهبت إليه مدونة الأحوال الشخصية المغربية في منع زواج الفتاة حتى تبلغ خمس عشرة سنة، جاء «استجابة لتقرير طبي ورد من وزارة الصحة إلى وزارة العدل يبين الأخطار التي تنتج من الزواج المبكر بالنسبة للفتاة وبالنسبة لنسلها أيضاً» (ينظر كتابه: شرح قانون الزواج المغربي ص٩٨).

١١ ـ نقلاً عن أحكام الأسرة في الإسلام للدكتور محمد مصطفى شلبي ص ١٣٢.

١٢ ـ ينظر المجلة العربية للفقه والقضاء ع٢/٥٧.

١٣ ـ ينظر شرح قانون الزواج المغربي لحماد العراقي: ٣٧.

١٤ ـ قانون الأحوال الشخصية الكويتي: ١٥٠.

١٥ ـ ينظر المجلة العربية للفقه والقضاء: ع٢/٥٧.

١٦ ـ ص:١٥١.

١٧ ـ ينظر النقد الذاتي: ٢٨٢.

١٨ ـ ينظر المرأة بين الفقه والقانون: ٥٩.

١٩ ـ ينظر التقريب شرح مدوَّنة الأحوال الشخصية للأستاذ علال الفاسي: ٢٠٣.

٢٠ ـ من الاقتراحات التي وردت فيما أطلق عليه بالمغرب مشروع خطة إدماج المرأة في التنمية أن يتم «الرفع من سن الزواج إلى ١٨ سنة، وذلك طبقاً للاتفاقية الدولية المتعلقة بحقوق الطفل التي صادق عليها المغرب في يونيو ١٩٩٣م من دون تحفظ ووفقاً للتعريف الدولي للطفل». (ينظر مشروع هذه الخطة: ١٢٨).

٢١ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: م٩/ج١٨/١٠٩.

٢٢ ـ فتح الباري: ج١٠/٢٣٨ شرح الترجمة رقم ٣٩.

٢٣ ـ صحيح البخاري: كتاب النكاح، رقم الحديث: ٥١٣٣ وصحيح مسلم بشرح النووي: كتاب النكاح، رقم الحديث ١٤٢٢.

٢٤ ـ ينظر إرواء الغليل للشيخ الألباني: ج٦/٢٢٨ رقم الحديث ١٨٢٧.

٢٥ ـ ذكر ابن رشد من الفقهاء الذين منعوا تزويج الصغار ابن شرمة. (ينظر بداية المجتهد لابن رشد: ج٢/٦).

٢٦ ـ الأم للشافعي: ج٥/٢٢.

٢٧ ـ المغني لابن قدامة: ج٧/٣٩٢.

٢٨ ـ التقريب شرح مدوَّنة الأحوال الشخصية: ١٢٢.

٢٩ ـ القانون المصري منع سماع دعوى الزوجية وآثارها قبل السن المحددة ما عدا دعوى النسب. وإن استثناء دعوى النسب من الحكم يدل على أن منع الزواج قبل السن المقدرة لا يقوم على أساس معتبر، قال الدكتور محمد مصطفى شلبي في تعليقه على هذا الإجراء: «وظاهر أن المنع لا تأثير له شرعاً في دعاوى النسب، بل هي باقية على حكمها المقرر كما كانت رغماً من التعديل الخاص بدعوى الزوجية». (ينظر كتابه أحكام الأسرة في الإسلام: ١٣٤).

٣٠ ـ ينظر شرح وتطبيق هذه القاعدة (نظرية التقعيد الفقهي للدكتور محمد الروكي: ٥٠٣).

٣١ ـ ينظر المرجع نفسه.

٣٢ ـ ينظر التعليق على قانون الأحوال الشخصية للدكتور أحمد الخمليشي: ج١/٦٢.

٣٣ ـ الولاية على النفس للشيخ محمد أبو زهرة:٧١.

شعر: محمد عبدالله القولي

ثورة الأقصى المبارك ودرّته

جلّتْ دموعُ العتبِ يا قدسُ
ونحدّرت من عَلْوها تدْمَى
أقصى الجراح يئنُّ من زمن
والنزفُ دفّاقٌ بها دوما

بطشٌ وتقتيلٌ على نظر
من عالم يتصنّعُ النوما
هدمٌ وإحراقٌ، صهاينة
في بطشهم داسوا لنا الحرَما
سحقٌ لأطفال يُمزّقهم
والعين من حزن لهم تدمَى

كم حرّفَ التوراة أخبثهم
واللهُ يفضح مكرهم جمّا
كم زيّفوا عن هيكل بقعا
والحقُّ يزهقُ للعدا الوَهَما
كم ينقضون العهد من زمن
غدراً بموسى عابهم وسما
كم ينقضون ولا حياء لهم
لا تعجبن من فاجر وصما
شُذاذ آفاق فإن جُمعوا
جمعوا الشرور وتوّجوا اللؤما
لم تعرف البلدان مثلهُمُ
حقداً وبطشاً في الورى عمّا
من جُبنهم هدُّوا مساكنهم
بل أنبتوا من تحتها العزما
ومحمد هو «درّة» ذبحت
طفل الشهادة في العُلا أسمى
صبُّوا رصاصاً فوقه حمماً
طفلٌ قضى لم يقترفْ إثما
طفلٌ بظهر أبيه مُختبئٌ
جعلوه من حقد لهم مرمى
عن أيِّ سلم حدثوا أمماً
في قتل «دُرّة» قد رأوا سِلما؟
الله أكبر «دُرة» الشهَدا
في عُمره الريحان أن يُرمى
قسماً لثأر محمد دررٌ
ولدتْ فلسطين له قوما
يا معشر العرَبِ الكرام ألا
ثأراً لإخوتكم يكنْ عزما
كيف السكوتُ وأهلكم ذُبحوا
غُصبوا الحقوق وأشبعوا هضما
يا أمةَ الإسلام فانتصري
فمصابنا قد أوهن العظما
يا ليتكم تتآزرون وأن
تستقرئوا التاريخ والعِلما





لا أحد ينكر ما كانت ومازالت تحتله القضية الفلسطينية في قلوب العرب والمسلمين من مشاعر، وتعاطف، وتضحيات جسام، شهدتها الساحة على مدى ما يزيد على نصف قرن. ولا أحد يستطيع أن يتنكر إلى الدعم المباشر وغير المباشر المادي منه والمعنوي وللحق العربي، ولهذه القضية العادلة من قبل الأشقاء العرب، مع تفاوت نسبي ملموس، بين شقيق وآخر.

انتفاضة الأقصى المبارك والتحول في المواقف

بقلم: د. رفيق حسن الحليمي
أكاديمي فلسطيني

فقد شهدت الساحة العربية على المستويين الرسمي والشعبي، على مدى تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي تحولات مختلفة، بين تصاعد مشبوب في التأييد، وصل في بعض الأحيان درجة تبني القضية الفلسطينية باعتبارها قضية وطنية ودينية، وبين هبوط سلبي منحدر، وصل حدّ «نبذ القضية» وتنحيتها جانباً من الأجندة السياسية، ووضعها على الرفوف بلغ معها درجة الإهمال والنسيان.

قد يكون الخوض في كثير من التفاصيل، مدعاة إلى الإسراف في الإطالة، والبعد عن الغاية التي يتغياها هذا المقال. ولكن يبدو أن التركيز على بعض المحاور السلبية، من مقتضيات الضرورة التي لا يغنى عنها في هذه الغاية. وقد يكون إبراز الشواهد غير المشرقة غائباً عن الذاكرة الجماعية، ينساها أو يتناساها الفرد العادي، ولا تحتل مكانتها في الوعي الجماعي، وقد لا يلم به طيف من أطيافها، أو يأتيه خبر من أخبارها، وليس الأمر كحال الجوانب المشرقة التي سجلت في الخمسينيات والستينيات، إبان فترة ما يسمى بالمد القومي، والتي لا ينساها المواطن العادي لأنها موضع تفاخر يصل إلى أن يدلَّ بها على شقيقه الفلسطيني.

وبذلك تصبح الحاجة إلى التركيز على المحاور السلبية، سبيلاً لإظهار حجم التشوهات الفكرية والأيديولوجية، والطروحات القومية المنتكسة التي

أصابت القضية في الصميم، وللإنصاف والموضوعية ينبغي أن نعترف أن بعض هذه التشوهات، كانت نتيجة للذات الفلسطينية، وبعضها للذات الإسرائيلية، وبعضها الآخر للذات العربية.

أما عن الذات الفلسطينية ففي جانب منها - وهو الجانب السلبي الذي يعنينا أصلاً في هذا المقال - فحدِّث ولا حرج مما يعرفه القاصي والداني، ولعل أبرزه، ما هو «من ماضي الحاضر» المتجسد في التفرد بالقرار، فلابد من قيادة جماعية، تستشرف الرؤية المستقبلية ببصيرة نافذة، وذهنية متفتحة بحيث تذوب «الفردية» لتتحول إلى وجود جماعي شبه مشاعي، يتماثل في الكل، بعد أن كان متماهياً في الجزء.

وأما عن الذات الإسرائيلية، فلم تسلم هي الأخرى من الكثير من المثالب والمعايب والمخازي، ومن غطرسة في القوة، واستعلاء في الأرض، شاءت لها الحسابات السياسية الإقليمية منها والدولية أن تصبح دولة نووية فضائية، قوة إقليمية متقدمة، متفوقة، غازية، منتصرة في جميع حروبها التي خاضتها عقداً بعد عقد.

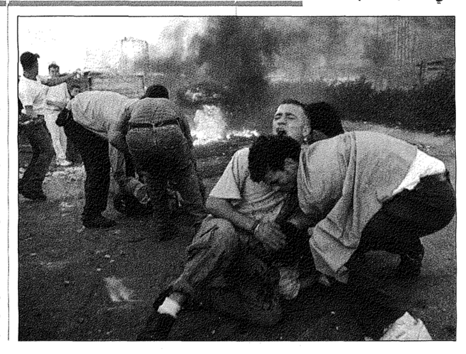
يتربى أبناؤهم منذ الصغر على تعاليم التلمود المتطرفة، مع تكريس فكرة الشعب «المختار» وإقامة البرامج التعليمية في المدارس والمحافل والمعسكرات والكوبتسات، وجميع مرافق الحياة على مبدأ الفرز العرقي - الديني، المتمثل في بني صهيون، وحقهم التاريخي المزعوم في أرض الميعاد، ويتنامى هذا الشعور العدائي الاستعلائي، وتلك الأفكار يوماً بعد يوم، وجيلاً بعد جيل، وحكومة بعد حكومة. بحيث تعمل جميع المؤسسات على تشكيل الوعي الكامل الشامل، لمختلف طوائف الدولة العبرية، حول مقولة واحدة.

وأما عن الذات العربية، فليس الأمر مختلفاً إلا في وجوه، فقد طال عليها الأمد في صراعها المستديم مع إسرائيل، من دون تحقيق قدر من الانتصار الحقيقي في أحد ميادين القتال، بحيث يقلب الموازين، ولو مرة واحدة عند جيل من الأبناء ليصبح أساساً تبني عليه الأجيال اللاحقة طموحاتها وتطلعاتها إلى المستقبل.

وقد جاءت هزيمة ١٩٦٧م حداً فاصلاً بين طموحات التحرير المشروعة، وبين انكفاءات على الذات، أصبحت هي أيضاً مشروعة بعد مرارة الهزيمة، وخيبة الآمال، فأخذت القضية الفلسطينية من جراء ذلك، تتراجع بصورة حادة على المستويين: الرسمي والشعبي، فعلى المستوى الرسمي قد يأتي ذكرها - إذا أحسنًا الظن - على استحياء وخجل بين حين وآخر، أو كلما جد جديد. وعلى المستوى الشعبي، فقد دخل الوعي الجماعي في غيبوبة وسبات طويل، وانشغل العربي بقضاياه المحلية... وما أكثرها.

لابد من قيادة جماعية تستشرف الرؤية المستقبلية ببصيرة نافذة وذهنية متفتحة بحيث تذوب «الفردية» لتتحول إلى وجود جماعي شبه مشاعي يتماثل في الكل بعد أن كان متماهياً في الجزء

ولعل أخطر ما في الموقف العربي عموماً - وهو ما يأسى له المرء - انحسار البرامج التعليمية والتربوية في المدارس والمعاهد والجامعات، حيث أخذ الحديث عن القضية يتقلص تدريجياً سنة بعد سنة، حتى وصل في بعض الدول درجة الصفر (وهذا ما أشارت إليه دراسة تقدم بها أحد الباحثين في: مؤتمر الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي الذي عقد على أرض الكويت في مارس ١٩٨٥م في فندق ريجنسي)، بعد أن كانت زاخرة بهموم القضية، في مختلف المستويات والبرامج التربوية، فكان الطالب يأخذ في صغره والكبير في كبره طاقة فكرية تزوده بشحنة عاطفية، تمنحه فرصة لترويض «الذات» على المشاركة في صنع معضلة التحرير ومناصرة الحق الضائع، وعلى مستوى الشارع العربي والمواطن العادي، أخذت وسائل الإعلام المختلفة دورها السلبي، فلم يسمع بين حين وآخر شيئاً ما، لمجرد التذكير والتفكير. أحداث جسام، صُدِّر بعضها إلى المنطقة العربية وافتعل بعضها الآخر، وحروب بينية طاحنة «عربية عربية»، على حد قول أحد الشعراء: فأنا



عربي لا أغزو إلا العربي

تركت القضية في زاوية النسيان، وأي نسيان!! وزاد الطين بلة، مفاوضات عبثية، أبقت القضية طويلاً في غرفة الاحتضار، في انتظار من يشيّعها إلى مثواها الأخير.

لم يكن في تقدير صانع القرار الفلسطيني - إن كان يملك القرار - ولا صانع القرار العربي - إن كان يملك صنعه أيضاً - ولا صانع القرار الصهيوني (...) أن تكون انتفاضة الأقصى المبارك على تلك الدرجة من القوة والفاعلية، والتأثير الكبير في النفوس العربية، وغير العربية في المشارق والمغارب، وتحريك الشارع العربي في حشود جامحة تأييداً ومؤازرة.

لقد شهدت الأراضي المحتلة انتفاضة سابقة، استمرت نحو ثماني سنوات وعلى الرغم مما أحدثته من خلخلة وتحريك وتعاطف وتأييد، فإنها لم تبلغ أعشار ما بلغته انتفاضة الأقصى في التأثير في العواطف والمشاعر والعقول وصانعي القرار، لأسباب ومسببات تماثلت في جملتها مع «حاضر الماضي» الذي أصبح بفعل التحولات مطلباً حياً منشوداً مرغوباً فيه، متجسداً قبل كل شيء في الحضور الديني «الإسلامي والمسيحي»، والمكانة القدسية للأقصى المبارك، وما يستثيره من حميّة، وما يبعثه من قوة، وما يفجّره من طاقة - غابت كثيراً عن صانع القرار الإسرائيلي، وحساباته الخاطئة وتقديراته الواهمة - وقد تلاقح كثير من مظاهر الانتفاضة مع المخزون الفكري، والوعي الثقافي الواعد، والاحتقان النفسي شبه المستديم، والهم اليومي شبه المقيم، طارداً بذلك كثيراً مما لحق القضية من أوهام الترهلات النظرية الأيديولوجية التي كان يخرج بها الفلاسفة والمنظّرون حيناً بعد حين. ولعل أبرز ما في تلك النتائج - دون الأسباب - أنها أحدثت ما لم تحدثه الكتب المدرسية، والمقررات الدراسية والخطب الحماسية، والمؤتمرات الشعبية والحزبية وغير الحزبية، والأناشيد والأغاني الوطنية والمحافل الدولية وطاولات المفاوضات، على مدى عقود من الزمن: من وعي، وتنبيه ويقظة، بعد سبات طويل، وبتجديد للعهد في التعاطف والمؤازرة وشدّ الرحال لأولى القبلتين وثالث الحرمين.



وعلى الرغم من عمرها القصير - زمنياً - الذي لم يتجاوز خمسة أشهر، فقد دخلت في وجدان القاصي والداني، والقريب والغريب، وفي ضمير كل عربي ومسلم في المشارق والمغارب، وقدمت صوراً حية عبر الفضائيات لأروع صور من التضحية والفداء، ولأبشع المجازر التي ترتكبها إسرائيل، لايمكن لها أن تمحى من الذاكرة الفردية، أو الذاكرة الجماعية، لدى مختلف الشعوب وشرائح المجتمع العربي، وصانعي القرار العربي وغير العربي.

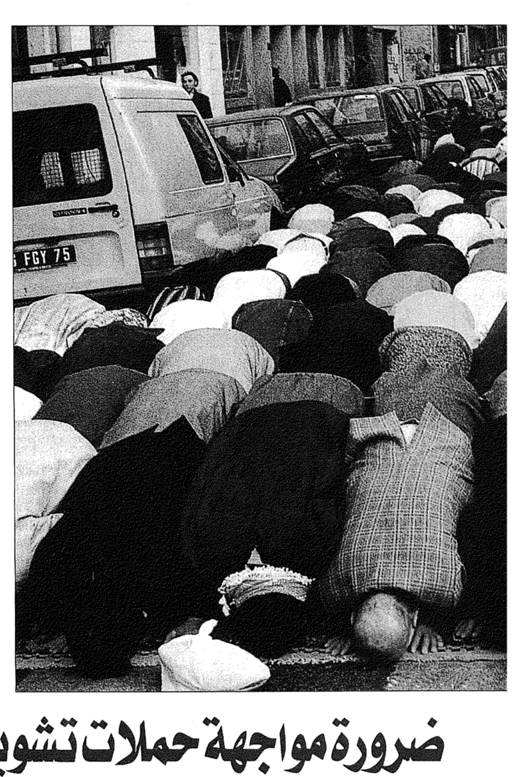
ولا أستغرب بعد هذا حين أقرأ على صفحات «الرأي العام» أن أستاذة في جامعة الكويت توجه رسالة رقيقة إلى روح الشهيد محمد جمال الدرة، تحلُّه من نفسها الكريمة، وبيتها الكريم المحتد منزلة ابنتها الوحيدة، وتساوي بينه وبينها في مؤاخاة فريدة، كما تساوي بينها وبين أمه الثكلى، ولا أستغرب مع غيري، حين نسمع أن عدد القصائد التي شارك فيها أصحابها في الوطن العربي في رثاء «محمد الدرة» لتكون نواة لديوانه الذي سيصدر عن مؤسسة البابطين للإبداع الشعري، فاقت الألف وخمسمئة قصيدة، بغض النظر عن مستوياتها الفنية، لكنها تعطي مؤشراً قوياً لنبض المشاعر المتأججة، لتلك الانتفاضة الباسلة ولشهدائها الأبرار، صور كثيرة ومشاهد، ومواقف وتحولات رسمية وشعبية، يعجز الفكر فيها عن الإحصاء والتقدير.

أخذ الحديث عن القضية الفلسطينية في البرامج التعليمية والتربوية يتقلص تدريجياً حتى وصل في بعض الدول درجة الصفر

وهل بعد هذا المجد والرفعة، والتحول في المواقف، التي ما كان لها أن تتحول بسهولة وفي مدة زمنية قصيرة، والدم الزكي الطاهر، والأثر الحي الخالد، الناطق والمتحدث الرسمي بصوت عالٍ، مدوٍ، صارخ، وببلاغة تفوق كل بلاغة وبيانٍ يعجز عنه كل بيان، يسعى المجدّفون في حق انتفاضة الأقصى المبارك إلى إطفاء نورها، وإخماد جذوتها، وكسر شوكتها؟! حقاً إنهم لواهمون، وإنهم لخاسرون

ضرورة مواجهة حملات تشويه صورة الإسلام في الغرب

بقلم: د. حسن عزوزي . فاس



لايخفى على أحد من المتتبعين والمهتمين بواقع صورة الإسلام في دنيا اليوم ما تحققه الحملات المحمومة ضد الإسلام في الديار الغربية من تحقيق لأغراض سلبية تشوه صورة الإسلام والمسلمين، كل ذلك عن طريق الكلمة المقروءة والصورة المرئية والصوت المسموع والكاريكاتير.

وقد يعتقد بعضهم أن وسائل الإعلام لا تعمد إلى الإساءة للإسلام والمسلمين، لكن تفعل ذلك انطلاقاً من طبيعتها التجارية البحتة واهتمامها الرئيس بالحصول على ربح مادي أو سبق صحافي، ولهذا فهي تتسابق نحو عملية صنع عناوين مثيرة وبراقة وجذابة كي يتم الحصول على عدد كبير من المبيعات والقراء.

ونحن نقول: إن كان القصد غير متعمَّد فلماذا يتم الإلحاح على أن يكون التشهير بالإسلام والمسلمين بضاعة رابحة، لماذا لا يتم التحامل على الديانات والثقافات الأخرى، ويتم التكالب على الإسلام وحده، ثم لماذا يُصر الغربيون على الاعتقاد بأن ازدراء الإسلام والاستخفاف بتعاليمه وأسسه يعتبر أكثر إثارة وأوفر ربحاً، وأخيراً لماذا لايتم احترام مشاعر المسلمين في أنحاء العالم وقد بات تعدادهم اليوم يناهز ربع سكان المعمورة.

لابد من التذكير بأن الإسلام كان ولا يزال يمثل إزعاجاً للغرب نظراً لما يشكله من قوة روحية لانظير لها تستهوي قلوب الآلاف المؤلفة في كل أرجاء الدنيا يعتنقونه باقتناع وإيمان ويعملون على الدعوة إليه ورفع كلمته ونشر تعاليمه.

وتعتبر وسائل الإعلام الغربي أبرز الطرق الكفيلة للقيام بهذه المهمة، لذلك باتت حملات التشويه والتمييع الإعلامية التي توجه ضد الإسلام، وأتباعه ذات توجه عدواني يرمي إلى الحيلولة دون أدنى تقبل لاعتناق هذا الدين من قبل الغربيين، فوسائل الإعلام الغربية لها من الفعالية والتأثير ما يجعل الغربيين ذوي قابلية واستعداد للتصديق والاستيعاب السريع

لكل المعلومات الخاطئة والمغلوطة في حق الإسلام والمسلمين، ولا شك أن التغطية الصحافية الزاخرة بالمغالطات والافتراءات، إذا عززتها صور تلفازية مشوهة للإسلام ورافقتها رسوم كاريكاتيرية بالغة الازدراء والاستخفاف فإنها تتفاعل في ذهن الغربي بشكل مستمر فتكون لديه ما يُعتقد أنها حقائق صحيحة عن الإسلام، وبالتالي ترسخ في ذهنه صورة قائمة ومزيفة عن الإسلام والمسلمين.

وينبغي أن لا يعزب عن البال أن من أكبر دواعي استمرار وتمادي الإعلام الغربي في تهجمه وتشويهه لصورة الإسلام هو سكوتنا ولزومنا للصمت حيال مختلف الحملات التمييعية ضد الإسلام، فأصبحت بذلك الآلة الإعلامية الغربية لاتجد غضاضة في نهج مختلف السبل لعرض الإسلام وتحليله وتصويره بشكل سيجعله «معروفاً» حسب طريقتها للقراء والمشاهدين الغربيين، فتكونت جراء ذلك صور مشوهة عن ديننا تهم كل مجالاته وتعاليمه ومبادئه، وتكرست في أذهان الغربيين وأمست شيئاً مألوفاً. وها نحن اليوم نؤدي ثمن غفلتنا ونكوصنا عن القيام بالواجب فأصبحنا نقرأ أو نسمع أوصافاً فظيعة وتهماً مكذوبة وأراجيف مختلقة توجَّه ضد الإسلام والمسلمين.

إننا لا ننكر ما تقوم به بعض الجهات الرسمية والمؤسسات الإعلامية من واجب ممارسته حق الإنكار والاحتجاج، لكن يجب رسم خطة محكمة لرصد كل الحملات والانتهاكات الإعلامية وغيرها التي تمارَس ضد الإسلام والمسلمين قصد البحث عن أسبابها وخلفياتها ثم مواجهتها والتصدي لها.

بيد أنه ليس الهدف من المواجهة إعلان الغضب الجامح وممارسة أسلوب السب والشتم، فهذه الوسائل لن تفيد في شيء ولن تزيد الأمر إلا توتراً، لقد بات من الواجب على كل ذي غيرة على دينه وعلى كل من يستشعر ضرورة الاهتمام بأمور الإسلام والمسلمين أن يعمل حسب استطاعته وقدراته المادية والمعنوية على الحد من التحامل الشديد الذي يتناول ديننا الحنيف، فإذا كان هنالك سوء فهم بين الإسلام والغرب، فيجب أن يتم تبديده عن طريق ربط جسور التفاهم والتحاور على نحو إيجابي يكفل فهم كل طرف لطبيعة وتوجهات الطرف الآخر.

أما إذا كان هنالك تخوّف من الغرب تجاه الإسلام فيجب على حُماة ديننا ودعاته أن يبينوا بالتي هي أحسن كيف أن الإسلام سِلْمٌ في طبيعته الدينية، متسامح في تعامله

نستطيع تحقيق مكاسب ذات بال من غير التجاء إلى أسلوب المواجهة أو الوقوف في موقع الدفاع والرد، بل يتم الاكتفاء بعرض الإسلام بطريقة بنائية تعتمد منهج التعريف والتوضيح

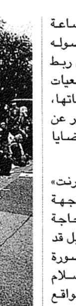
مع الآخر، تواق إلى الحوار والتعايش. وأما إذا كان هناك تحامُل من جانب الإعلام الغربي على الإسلام - وهو الحاصل فعلاً - تختلف أسبابه وخلفياته وتتباين أهدافه ومقاصده، فيجب العمل بقوة ووحدة على استئصال الجذور والأسباب وتبيُّن الأهداف والغايات قصد التخفف من حدة تنامي وتفاقم شوكة الآلة الإعلامية الغربية المتسلطة - ظلماً وعدواناً - على حمى الإسلام وحظيرته.

من هنا نرى أن هناك من وسائل دفع وردع تلك الحملات الشرسة والمغرضة ما هو كفيل بتحقيق بعض النتائج المنشودة إن صحت العزائم وقويت الهمم وتضافرت الجهود، من ذلك على سبيل المثال:

أولاً: رصد كل الحملات التشويهية التي تثار ضد الإسلام والمسلمين عبر وسائل الإعلام الغربية ومن خلال المقررات والكتب الدراسية والعلمية، والاحتجاج على كل ذلك وفي كل مناسبة، إذ الإنكار والاحتجاج يثيران الرأي العام بصفة عامة والإعلامي منه على وجه الخصوص ما يدفع حتماً الجهات والمنابر الإعلامية الأخرى إلى التحفظ وأخذ الحسبان لكل ما قد تقدم عليه أو تفكر فيه من محاولات التشويه المغرضة.

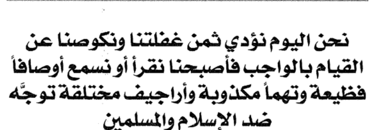
ثانياً: ينبغي التفكير في ربط جسور التعاون والتواصل بين وسائل الإعلام العربية والشبكات الإعلامية الغربية المهيمنة على مختلف وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية، وذلك في إطار اتفاقات تعاون وتفاهم مشتركة يندرج ضمنها الاتفاق على احترام مقومات ومقدسات كل حضارة، والعمل على تفادي أسباب الاستفزاز والازدراء وإثارة المشاعر، ولا شك أن هذا السبيل قمين بتحقيق نتائج مرضية خصوصاً إذا علمنا أن جُلَّ وزارات الإعلام في الدول العربية والإسلامية لها علاقات واتفاقات مع نظيراتها الغربية، لكن للأسف الشديد لم يتم التفكير حتى الآن في إثارة هذه القضية الحساسة.

ثالثاً: يجب تجنيد وتوفير الأطر والكفاءات الفكرية العاملة بالديار الغربية والتي يؤمل أن يكون لها دور فاعل في تصحيح المفاهيم حول الإسلام وتحسين صورته عن طريق التحاور والتفاهم، إذ من المعلوم أن القنوات الإعلامية الغربية كثيراً ما تخصص برامج ثقافية حول قضايا تهم الإسلام والمسلمين تكون في أكثر الأحيان قد نجمت وتمخضت عن أوقات أزمات معينة «أعمال عنف - قضية الحجاب - هجرة المسلمين إلى أوروبا - قضية المرأة... إلخ» ويعتبر المسلمون ذوو الأصول الأوروبية والأميركية أفضل الناس تحاوراً وتواصلاً في هذا المجال لأنهم أدرى بطبيعة المحاور الغربي وأقدر على الإقناع والإبانة عن حقائق الأمور. بالإضافة إلى كل هذا يجب أن تكون المراكز الثقافية الإسلامية بالغرب ذات دور فاعل في هذا



المجال سواء فيما يخص واجب إشاعة حقائق الإسلام وضرورة تبيان أصوله ومبادئه الأصلية أو على مستوى ربط علاقات وصلات مع المؤسسات والجمعيات الغربية والنفاذ إلى مختلف مؤسساتها، قصد إيجاد منابر تتيح الفرصة للتعبير عن وجهة النظر الإسلامية في بعض القضايا المثارة.

رابعاً: يجب استغلال شبكة «الإنترنت» في خدمة الإسلام، وفي مجال مواجهة حملات تشويه صورة ديننا تبدو الحاجة إلى توظيف هذه القناة ماسَّة وملحَّة، بل قد تكون من أجدى الوسائل لعرض صورة ناصعة وواضحة عن أسس الإسلام وتعاليمه وقيمه، في احتلال بعض المواقع داخل الشبكة يتم من خلالها تقديم معطيات ومعلومات دقيقة عن مختلف القضايا الإسلامية التي يكثر حولها الجدل والتعايش ويتردد ذكرها في الغرب بكثير من الازدراء والاستخفاف «الجهاد - قضايا المرأة - حقوق الإنسان في الإسلام.... إلخ».



نستطيع تحقيق مكاسب ذات بال من غير التجاء إلى أسلوب المواجهة أو الوقوف في موقع الدفاع والرد، بل يتم الاكتفاء بعرض الإسلام بطريقة بنائية تعتمد منهج التعريف والتوضيح، بحيث لا يكاد يشعر المواطن الغربي أنه المخاطَب بذلك، وهكذا يكون هذا العمل - بإذن الله - مجدياً ومفيداً على مستويات عدة، وسيحقق من دن شك نتائج فاعلة وواسعة النطاق سادامت «الإنترنت» قد غزت البيوت والمكاتب والمؤسسات، وأضحت اليوم في الديار الغربية الوسيلة الأولى والأقرب لاكتساب مفاتيح العلوم والفنون والمعارف المختلفة، ونشير بهذا الصدد إلى عزم منظمة «الاسيسكو» على اقتحام شبكة «الإنترنت» بهدف القيام بتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام وتقديم صورة شاملة عنه تبيِّن حقائقه الناصعة وتوضح مُثله وقيمه السامية، وإنه لعمري مشروع ضخم - كما أخبرني بذلك أحد خبراء المنظمة - يحتاج إلى تمويل كبير وجهود متكافئة نأمل أن تكون مختلف الدول الإسلامية المنضوية تحت لواء المنظمة مستعدة للإسهام فيه بما يعود بالنفع العميم على ديننا الحنيف.

هذه إذاً بعض الآليات والسبل الكفيلة بتصحيح صورة الإسلام ومواجهة حملات التشويه التي تتناوله، وقد يراها بعضهم بعيدة المنال، إلا أنها في رأيي ممكنة التطبيق - ولو نسبياً - مادامت لاتتطلب أكثر من توافر وتسخير طاقات عملية بارزة وفاعليات فكرية ذات مستوى عال فضلاً عن إيجاد مصادر التمويل المادي، وما كل هذا على همم علمائنا ومفكرينا من جهة وعزائم بلداننا ومنظماتنا الإسلامية من جهة أخرى بعزيز.

ومما لاشك فيه أن مسألة مواجهة الحملات الإعلامية الغربية تجاه الإسلام والمسلمين تعتبر في وقتنا الحاضر من فروض الكفاية لابد أن ينبري من بين المسلمين من يقوم بها ويسعى إلى ردِّ كل التوجهات العدوانية الهادفة إلى تشويه صورة الإسلام والساعية إلى تقديمه للغربيين على غير حقيقته وصورته الواقعية.

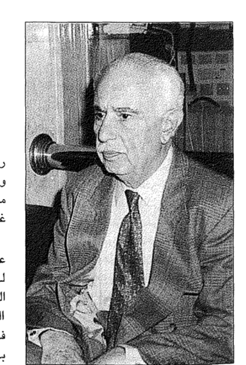
وذلك بهدف الحيلولة دون إقبال الغربيين على هذا الدين الحنيف الذي يعلم الجميع أن روحه السمحة هي التي اجتذبت وتجتذب دوماً أفواجاً من الناس إلى الإسلام، وهذه الروح هي التي يسَّرت له سبل الانسياح والانتشار في الأرض بتلك السرعة العجيبة المذهلة، حيث يفزع إليه الناس من أصحاب الديانات الأخرى مستظلين تحته بظلال السماحة والأمن والسلام التي تؤكد لهم بقوة أن الإسلام ليس دين العنف والإرهاب، كما يُراد أن يوصف في وسائل الإعلام الغربية وإنما دين السّلم والتسامح والحوار ●

حاوره: محمد عبدالشافي القوصي

هذا اللقاء مع شخصية ثرية في فكرها، غاية في الثراء، وغاية في الدقة والموضوعية، مع المفكر الإسلامي الدكتور ناصرالدين الأسد، الذي عرفته جماهير المثقفين من خلال أحاديثه ومحاضراته ومؤلفاته، التي يتناول فيها حاضر الأمة العربية والإسلامية ومستقبلها، ويشارك في إنعاشها من الغيبوبة الطويلة التي ألمت بها. إنها إغماءة مقلقة حقاً، ظنها أعداء الإسلام بوادر موت، ولكن. ضيف هذا اللقاء، هو المفكر البصير بتاريخ أمته ومقوماتها، انتفض مدافعاً عن كيان الأمة الثقافي وهويتها الفكرية ومستقبلها الحضاري، وريادتها في الماضي، وجدارتها في الحاضر والمستقبل لقيادة سفينة البشرية التائهة في خضم المحيط إلى مرفأ الأمان، وشاطئ السلامة... وإليكم التفاصيل:

المفكر الأردني الدكتور ناصر الدين الأسد:

العولمة إحدى حلقات التآمر الغربي على الشعوب الإسلامية



● سألته في البدء... عن معالم الحضارة الإسلامية ومقوماتها التي جعلتها ـ رغم كل العقبات ـ تتحدى المذاهب والأيديولوجيات والفلسفات والعقائد المناوئة ـ عبر خمسة عشر قرناً من الزمان؟!

ـ فقال: إن الحضارة الإسلامية حضارة ربانية إنسانية واقعية، صنعها الكتاب والسنة، جاءت «رحمة» للعباد، وإنقاذاً لهم من مهاوي الجهل والظلم الذين كانوا هم فيه غارقين.

ففي الوقت الذي كانت فيه البشرية عاكفة على عبادة الأصنام والكواكب، جاء الإسلام ليعيد للناس رشدهم وصوابهم إلى معرفة الله تعالى، وفي الوقت الذي كانت فيه البشرية تتعامل حسب شريعة الغاب بما فيها من تناحر واقتتال، جاء الإسلام ليؤلف بين العباد، ويرشدهم إلى حقيقتهم الأولى والغاية من وجودهم.

في الوقت الذي كانت أقوال الملوك وأفعالهم هي القانون وهي العدالة، إذ بالإسلام يأتي بقانونه السماوي فيخضع له العظيم والحقير.

تلك بعض المبادئ أو بعض المفاجآت التي أدهشت العالم وجذبت الناس أفواجاً لهذا الدين العظيم، وعندما جذب الإسلام الناس إليه لم يدعهم في حيرة من أمور دينهم ودنياهم، بل أمدهم بأرقى نظم الحكم وأرقى نظم الاقتصاد، ووضع أسمى الأسس لحياة اجتماعية صالحة.

والدليل على ذلك أن المسلمين كانوا يضعفون ويقوون، ولكن الإسلام كان قوياً في كلا الحالين، فالمسلمون ينهزمون وينتصرون ولكن الإسلام كان ينتصر دائماً، وأساس انتصاره هو أسسه ومبادئه.

• إذاً ما الأسباب أو العوامل التي أضعفت المجتمع الإسلامي وشلّت قواه بعد قفزاته الحضارية الواسعة؟!

ـ كثيرة جداً تلك العوامل أو المعاول الهدامة التي فتكت بجسد الحضارة الإسلامية وأرهقتها، منها فساد بعض الحكام المسلمين، وفساد أتباعهم من حين إلى آخر، كذلك كثرة الفرق والمذاهب والصراع فيما بينها، واختفاء الأخلاق الإسلامية في القرون المتأخرة، وانتشار الأندية والمؤسسات التي تكيد للإسلام في غفلة من المسلمين كـ «الروتاري والليونز»، وغيرها.

ولا ننسى ـ كذلك ـ أن العالم الإسلامي مُني بالعديد من الأعداء الذين تسلطوا عليه من خارجه، وهاجموه، وفتكوا بالعديد من المسلمين فتكاً قاسياً، وأنزلوا بهذا العالم صنوفاً من التنكيل، وكانوا من أقسى الأسباب التي غرست الضعف والهوان به، بدءاً من الحروب الصليبية الشهيرة مروراً بالزحف الصليبي على إسبانيا والمغرب العربي، ثم الحروب الأوروبية المتواصلة ضد الإمبراطورية العثمانية، واحتلال بلدان العرب والمسلمين وزرع إسرائيل والدولة الصهيونية في قلب الوطن العربي، وفرض المذاهب والنظريات الغربية على واقع المسلمين كالشيوعية والرأسمالية والحداثة حتى نصل في آخر المطاف إلى «العولمة» التي يريدون بها تذويب خصوصية الهوية الثقافية والفكرية للمسلمين!.

• هل تعتبرون العدوان الغربي على العالم الإسلامي كان يجري باسم الدين أم باسم السياسة؟

ـ لا شك أنه عداء ديني، وقد كان من الممكن أن يعلن الغربيون ذلك لولا أنهم خشوا أن تحس الدولة الإسلامية بالخطر يتهددها كلها فتتحد وتتعاون لمقابلة هذا العدوان، والغرب حريص على أن يثير الخلاف بين هذه الدول، وأن يبذر بينها بذور الشقاق بإيهامها أن هذا العداء لا صلة له بالناحية الدينية، وبذلك يتخطفها ويستذلها واحدة بعد واحدة، على أن كثيرين من الغربيين لم يستطيعوا إخفاء السبب الرئيس فراحوا يعلنونه ويجهرون به، كما يتضح ذلك في مذكراتهم.

والدليل على أن العداء الغربي كان هدفاً دينياً في المقام الأول، هو ما عرف من روح القسوة والتشفي التي كانت واضحة في انتصارات الغربيين، فقد كانت انتصاراتهم بدءاً لمجازر شنيعة، وإزهاق الأرواح، وطالما شملت القسوة الأطفال والنساء والعجائز، فلم تكن المسألة مجرد قتل وإنما كان يصحب ذلك تعذيب وتنكيل!.

وقد كتب المؤرخون الإفرنج هذا التاريخ المرير بنفسهم، وانتقدوا الأعمال البربرية التي قام بها الأوروبيون ضد المسلمين انتقاداً قاسياً، فهل بعد هذا يمكن أن نقول: إن العداء سياسي أو اقتصادي؟!.

كما أنه ليس من محض المصادفة أن جميع الدول الإسلامية دون استثناء تقريباً من المغرب إلى إندونيسيا كانت مستعمرة للدول الغربية حتى سنة ١٩٤٥م، وأنه لم تكن هناك دولة مسيحية واحدة مستعمرة.

ولا يمكن أن يتصور إنسان أن فرنسا كان يمكن أن توجه قواتها المبيدة وأسلحة الغرب المدمرة إلى الجزائر سنيناً طويلة تفتك فيها وتدمر أهلها لو كان سكان الجزائر شعباً مسيحياً!.

• هناك دعوى يرددها المستعمرون بأن احتلالهم هذه البلاد كان يقصد رفع مستواها وإنقاذها من التخلف؟!

ـ هذه دعوى واضحة البطلان بدليل كيف تركت إنكلترا الهند والباكستان بعد احتلال دام نحو ثلاثة قرون! وكيف تركت السودان بعد أن احتلته ثمانين عاماً؟ وما حال ليبيا بعد الاحتلال الإيطالي؟ ولماذا وعدت إنكلترا أن تجعل من فلسطين وطناً قومياً لليهود، ولم تخرج منها إلا بعد أن سلّمتها لعصابة الصهاينة؟!

• يزعم المستشرقون أن الإسلام انتشر بالسيف، ودائماً كانت تسبقه الجيوش المنتصرة ـ في رأيكم ما مدى صحة هذا القول؟!

ـ معروف أن القرآن الكريم يقرر بكل صراحة أنه (لا إكراه في الدين) و(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) و(فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمسيطر).

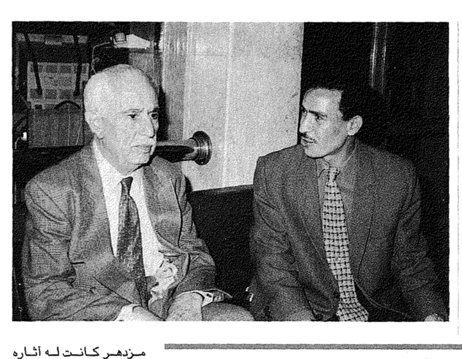
وبالنسبة للتطبيق العملي لهذا المنهج، يلاحظ أن المسلمين قد التزموا به إلى أبعد حد ممكن، ومن الأدلة الواضحة على ذلك:

ـ أنه في بدء نشأة الإسلام، آمن بهذا الدين عدد من الفقراء والصغار، وقد اقترف ضدهم شتى أنواع التعذيب الجسدي ليرجعوا عن دينهم، ولكنهم تمسكوا به، واضطر بعضهم إلى الهجرة بدينه إلى الحبشة أولاً، ثم إلى المدينة المنورة بعد ذلك، فأين السيف في هذه المرحلة؟

ـ أيضاً نجد من بين المسلمين الأوائل عدد من الشخصيات الكبيرة والقوية التي لم يكن يتصور أن يجبرها أحد على الدخول في الإسلام، من أمثال أبي بكر الصديق، وعمر ابن الخطاب، وطلحة والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، وحمزة بن عبدالمطلب، ومصعب بن عمير، وعبدالرحمن بن عوف، وغيرهم رضوان الله عليهم.

عندما انتقل المسلمون إلى المدينة وجدوا البيئة المناسبة لتكوين دولة مالبثت أن تعرضت لاعتداءات من الخارج والداخل ما اضطر المسلمون للدفاع عن أنفسهم، فشرع الله لهم القتال لردّ الظلم عنهم (أذن للذين يقاتلون

عندما انتقل المسلمون إلى المدينة وجدوا البيئة المناسبة لتكوين دولة مالبثت أن تعرضت لاعتداءات من الخارج والداخل ما اضطر المسلمون للدفاع عن أنفسهم، فشرع الله لهم القتال لردّ الظلم عنهم



بأنهم ظلموا. وإن الله على نصرهم لقدير).

وحين خرج المسلمون من الجزيرة العربية ليبلغوا الإسلام إلى الشعوب المجاورة وجدوها تعاني من اضطهاد قوي وكبير، فكان عليهم أن يدخلوا مع هذه الشعوب في حروب، أما عندما كانوا ينتصرون فإنهم كانوا يطبقون منهج الإسلام في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يحدث أنهم أجبروا واحداً على الدخول في الإسلام، والدليل على ذلك أن بعض أقباط مصر ظلوا على دينهم حتى اليوم، ولم يجبرهم المسلمون ذات يوم على تركه، وكذلك عاش اليهود في المجتمعات الإسلامية دون أن يجبرهم أحد على الإسلام!.

وبعد هذا هنالك كثير من البلاد التي لم يدخلها جيوش المسلمين - ومع ذلك اعتنقت الإسلام - وهي كثيرة جداً، كما في جنوب آسيا وشرق ووسط إفريقيا «إندونيسا مثلاً ١٨٠ مليون مسلم رغم أنه لم يصل إليها أي جندي مسلم».

ومما يدحض دعوى انتشار الإسلام بالسيف، أن المسلمين قد مروا بعد انتصاراتهم بفترات ضعف، ومع ذلك فقد استمر المسلمون على إسلامهم، وفي هذا أكبر دليل على أنهم اعتنقوه وتمسكوا به بمحض اختيارهم.

وأخيراً، فإن الإسلام مازال ينتشر حتى اليوم في كل قارات العالم، ومنها أوروبا وأميركا، دون أن يكون هناك أي إجبار لانتشاره، بل إن وسائل المسلمين في الوقت الحاضر ضعيفة كما هو واضح لدى الجميع.

● ما رأيكم في الادعاء بأن الفتوحات الإسلامية ليست في حقيقتها إلا توسعات استعمارية ذات طابع اقتصادي للحصول على الغنائم وفرض الجزية؟!

- لابد من التفريق الحاسم بين مبادئ الإسلام وبين تصرفات بعض المسلمين التي لا تتفق مع هذه المبادئ، فالإسلام يقرر بصراحة أنه دين رحمة، جاء لهداية البشر جميعاً وإخراجهم من عبودية الأصنام والأشخاص إلى توحيد الله تعالى وهو لم يدعُ أتباعه - قط - إلى الحرب إلا إذا اضطروا إليها دفاعاً عن النفس.

والفتوحات الإسلامية لم تكن استعمارية لنهب خيرات الشعوب، وإنما كانت لتبليغ الدعوة الإسلامية إلى هذه الشعوب، والحروب التي خاضها المسلمون كانت مع الجيوش التي كانت تعوق وصول الدعوة للناس.

الاستعمار الحديث له آثار سيئة على البلاد التي دخلها. أما فتوحات المسلمين فقد كانت تنقل البلاد من حال التخلف إلى حال الازدهار والحضارة، والدليل على ذلك ما حدث في إسبانيا والبرتغال اللتان تحولتا بعد الفتح الإسلامي إلى مركز حضاري مزدهر كانت له آثاره الايجابية على أوروبا كلها.

والفتوحات الإسلامية لم تكن استعمارية لنهب خيرات الشعوب، وإنما كانت لتبليغ الدعوة الإسلامية إلى هذه الشعوب، والحروب التي خاضها المسلمون كانت مع الجيوش التي كانت تعوق وصول الدعوة للناس

وما يشاع خطأ إن الجهاد الإسلامي يهدف إلى الحصول على الغنائم، فالإسلام يُعدُّ ذلك جريمة، فقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن رجل يريد الجهاد، وهو يبتغي عرضاً من الدنيا، فقال: لا أجر له.

وكان عمر بن عبدالعزيز يقول: «إن الله بعث محمداً هادياً، ولم يبعثه جابياً».

أما بالنسبة إلى الجزية فهي عبارة عن ضريبة بسيطة جداً يدفعها غير المسلمين من أهل البلاد المفتوحة مقابل حمايتهم والدفاع عنهم، لعدم اشتراكهم في الجيش، وفي حال اشتراك أحدهم تسقط عنه الجزية، ويلاحظ أن الجزية لم تكن مفروضة إلا على القادرين على القتال، ويعفى منها: الشيوخ وكبار السن والنساء والأطفال، ورجال الدين للأديان الأخرى.

ومايؤكد نزاهة المسلمين الأوائل كثيراً أن كثيراً منهم كانوا أغنياء قبل دخولهم في الإسلام، ومع ذلك وبعد تحقق الفتوحات في عهودهم، فقد كانوا زاهدين في الدنيا، يعيشون حياة بسيطة للغاية، أبعد ما تكون عن الترف أو الملذات المادية ●

بقلم: عطية فتحي الويشي

الخطاب الاستشراقي الجديد... ومنطق الاستفزاز!!

لعل المتابع لتطورات الحركة الاستشراقية منذ مطلع الثمانينيات، يلاحظ ملامح التحولات في توجُّهاتها العامة وفلسفتها التي أخذت تتخلى شيئاً فشيئاً عن مواقعها التقليدية لتسلم قيادها إلى الفكر المخابراتي الغربي الذي انعطف لتوه نحو إثارة زوابع الحقد والكراهية والتخويف الاستراتيجي من الإسلام بصورة أكثر شمولاً واتساعاً وتركيزاً غير مسبوق.

فقديماً كانت الدراسات الاستشراقية تعنى فيما تعنى به من بحث في العلوم وتحقيق للتراث... أو ترجمات لمعاني القرآن الكريم التي كانت تنطلق بطبيعتها من تصورها للاهوت المسيحي، بيد أنها كانت مرصودة الأخطاء بمقتضى كفالة الله تعالى بحفظ كتابه.!

ولئن تعددت المسارب الاستشراقية... بيد أن الدراسات الدينية هي التي حازت النصيب الأوفر من جملة تلك الأنشطة الدؤوبة!، وفضلاً عما يستند إليه بعض المنظِّرين في معامل الفكر الاستشراقي الاستراتيجي الغربي الجديد من ظواهر عنفوان وتخريب، تصدر في الشرق والغرب سواء عمن يزعم أنهم إسلاميون أصوليون أو غيرهم!، فإن ثمة تواطأ مشبوهاً بين أولئك المنظِّرين على ترويج سلعة الفكر الإسلامي مشوَّهة ومنقوصة بعيداً عن جو المبدئية والموضوعية والنزاهة... وليست أطاريح الشر «لبرنارد لويس، وهانتنغتون، وتوال، وروزنتال، وهارولد بلوم» وغيرهم كثير على نحو ما ذكرنا وما سنذكره بإذن الله... التي تغذِّي المخاوف الغربية وتقوي الهواجس الثائرة تجاه ما يزعمونه العدو الإسلامي الجديد... عنا ببعيد!!.

ولكن الملاحظ أن جيلاً استشراقياً جديداً من الصحفيين والكتَّاب وبعض الفلاسفة الذين تتسم أطاريحهم بالإغراق المفرط في الانفعال والاستفزاز والتعصب والجموح بعيداً حتى عن الموضوعية النسبية، جيل توارث منهج الاجتراء والافتراء الدعائي المتشنج عن حقبة الحرب الباردة!!، إنه جيل الاستشراق السياسي ـ المخابراتي، الذي اختلطت تصوراته وأفكاره وتوجهاته بمشاريع واستراتيجيات وزارات الخارجية في كل من أوروبا والولايات المتحدة!!.

ولعل ما يمخض رعب «الإسلاموفوبيا»: أن تاريخاً حافلاً بعدم الثقة وسوء الظن المؤسس على قناعات برفض ذلك الإسلام بوصفه ديناً غير شرعي وزائفاً! ومن ثمَّ فهو بالضرورة نقيض للمسيحية!!، يقول المستشرق الكندي ولفريد كانتول سميث: «كان الهجوم الإسلامي موجَّهاً إلى عالم النظريات كما هو موجَّه إلى عالم الواقع،

لعل المتابع لتطورات الحركة الاستشراقية منذ مطلع الثمانينيات، يلاحظ ملامح التحولات في توجُّهاتها العامة وفلسفتها التي أخذت تتخلى شيئاً فشيئاً عن مواقعها التقليدية لتسلم قيادها إلى الفكر المخابراتي الغربي الذي انعطف لتوه نحو إثارة زوابع الحقد والكراهية والتخويف الاستراتيجي من الإسلام بصورة أكثر شمولاً واتساعاً وتركيزاً غير مسبوق.

وقد عملت العقيدة الجديدة بإصرار على إنكار المبدأ الرئيس للعقيدة المسيحية، التي كانت بالنسبة لأوروبا: العقيدة السامية التي أخذت في بطء تبني حولها حضارتها، وكان التهديد الإسلامي موجهاً بقوة وعنف، وكان ناجحاً مكتسحاً نصف العالم المسيحي تقريباً، والإسلام هو القوة الإيجابية الوحيدة التي انتزعت من المسيحيين أناساً دخلوا في الدين الجديد وآمن به، عشرات الملايين».(١)

وعلى أساس هذا التصور التاريخي المتهيّج، والملبّد بالحساسية الحضارية والترقب... تتكون نفسيات الخوف وينبث التخويف من الإسلام... فنحن إزاء موقف غربي بلورته التراكمات التاريخية بما تطويه من متناقضات وأساطير وزيوف وافتراءات فجّة تعوزها العقلانية والتثبت، فإننا نجد على سبيل المثال من يذهبون إلى الاعتقاد بخطر الإسلام لمجرد أنه يحرِّم أكل الخنزير... هذا في الوقت الذي لا يقفون الموقف ذاته من الهند التي تحرِّم أكل لحوم البقر!.

وفي سياق الاعتقاد السائد لدى فلاسفة العرب المعاصرين، وما ترفده مقولاتهم من أن تقدم أو صعود إحدى الحضارتين - الغربية والإسلامية - مشروط بتراجع الأخرى أو سقوطها وإزالتها، وعلى الرغم من خطأ المعطيات الغربية حين تختزل كل ما لديها عن الإسلام من أفكار ومعارف في سلوك بعض المنحرفين من المنتسبين إلى الإسلام... تستخدم جميع الوسائل للنيل من الإسلام وأهله بدءاً من صياغة كل ما هو إسلامي عبر المقالات والدراسات والأبحاث والتحقيقات الصحفية، مروراً بالحملات الإعلامية المغرضة كلما جدَّت بعض الظواهر الجديدة مما يمارسه بعض من ينسبون إلى الإسلام... وانتهاء بالتشويه المنظم عبر شركات الإنتاج الإعلامي والسينمائي العالمية!.

ترسَّبت في الشارع الإسلامي والعربي مشاعر تكن العداء وتعاني هواجس العولمة الغربية المتغولة استناداً إلى خلفيات الحروب الصليبية وذكريات الاستعمار وواقع الهيمنة الجامحة

ومما زاد من تكريس هذه الأطاريح الاستشراقية داخل اللاشعور الغربي: أن تزامنت الأحداث في الربع الأخير من القرن العشرين مع بعض الظواهر التي بدت في آفاق الشرق الإسلامي، وكان أكثرها مرتبطاً بالغرب إلى حدٍّ بعيد، فنجد على سبيل المثال: بروز تيارات الإحياء الإسلامي منتصف السبعينيات، وانبساط روحها لتغمر العالم الإسلامي وامتداداته عبر الأقليات المسلمة في غرب أوروبا والولايات المتحدة، ثم ارتبطت هذه الظاهرة منذ بداياتها الأولى - على قياسات فاسدة وغير منطقية بالثورة الإيرانية في أواخر السبعينيات، وما صاحبها من مشاحنات إيرانية أميركية بفعل الضغط المكثَّف للإعلام الصهيوني، والذي ترك انطباعات خاطئة وغير مريحة عن الإسلام وأهله لدى سائر الغربيين كافة.

وبين هاتين الحالين الغربيتين: ترسَّبت في العقل الباطن الغربي مشاعر الخوف من العدو العربي الإسلامي الكامن انتظاراً للحظة الوثوب على الحضارة الغربية الحديثة والمتقدمة ليدمّرها، وبالمقابل ترسَّبت مشاعر مشابهة في الشارع الإسلامي والعربي، تكن العداء وتعاني هواجس العولمة الغربية المتغولة استناداً إلى خلفيات الحروب الصليبية وذكريات الاستعمار وواقع الهيمنة الجامحة!.

وعلى أي حال لا ينبغي أن يعزب عنَّا ما تلح بشأنه تلك النخبة في أطاريحها، التي تعدُّ إلهاماً حياً لصانع القرار الاستراتيجي الغربي، الذي تنصبُّ أهدافه نحو تكريس الهيمنة الغربية، مع ضرورة إزالة أي حواجز تحول دون التفوق الغربي المطلق: الحيلولة دون نهوض أي قوى حضارية من شأنها مضارعة الغرب في أي مجال من مجالات الحياة على اختلافها، ولعل من مؤشرات ذلك تلك الوثيقة التي أعدها «البنتاغون» الأميركي، والتي تدعو إلى: أن يكون دور الولايات المتحدة هو دور إقناع منافسيها المحتملين بأنهم ليسوا في حاجة إلى أن يلعبوا دوراً أكبر أو أن يسلكوا سياسة أعنف من أجل حماية مصالحهم المشروعة»(٢)، وفي تقدير الوثيقة ليس ثمة غير القوة العسكرية ضمانة وحيدة من تحدي الأغيار: الهيمنة الحضارية الغربية.

والعجيب في الأمر أن ثمة تيارات شرقية - تغريبية - مراكز بحثية ذات واجهات برَّاقة أخَّاذة... وشعارات فضفاضة!! تمارس دور الوسيط المغفَّل - والأجير أحياناً - لهذا التيار الاستشراقي الجديد الذي يحمل إلى العالم صورة مخيفة وغير مريحة عن الإسلام - الدولة - الحضارة... المسلمين - الأمة!.

الشاهد من السياق برمته: أنه بالرغم من كون هذه الأطاريح الاستشراقية الفلسفية وما في سياقها قد لا تصنع التاريخ ابتداء، كما أنها لا تحسمه ولا تنهيه، بيد أنها مع الأسف قد تنحو بالإنسانية في طور ما من أطوارها نحو مواقف بالغة الحرج، يكون الفصل فيها للسلاح لا للكلمات!!، وهذا ليس يعني أن الدماء ستصبح خضاب العلاقات الحضارية على الدوام، كلا، فلقد بات اغتيال المبادئ في عصر العولمة، وتلويث الأفكار، وغش المبادئ، وزعزعة العقائد، وتغبيش الهويات: أمضى من رمي السهام وضرب السيوف، (والفتنة أشد من القتل) البقرة:١٩١ ●

الهوامش

١ - نقلاً عن مجلة الرائد الهندية - ١٤١٧/١١/٦هـ ص٧.

٢ - الهيرالد تربيون ١٩٩٣/٣/٩م. نقلاً عن مجلة الاجتهاد - بيروت - العددان ٢٦ - ٢٧ - ص ٣٠٣.

د. التهامي محمد الوكيلي - عضو رابطة علماء المغرب



عملت البدعة، ولا تزال تعمل، على زحزحة الاعتقاد، فإن لم تستطع ذلك عملت على تحويل العمل الصالح عن مقاصده وخلط جيده ونافعه بما لا يصلح ولا ينفع، فإن لم تجد إلى ذلك سبيلاً اكتفت بزرع بذور الشك والفرقة وتيسير سبل الضلالة، حتى إذا لم تفلح في إفساد أعمال الجيل القائم أفسدت أعمال الأجيال اللاحقة!.

البدعة: تلبيس شيطاني لا ينتهي!!

ووسائل الاتصال الحديثة كفيلة بمقارعتها لو أردنا ذلك

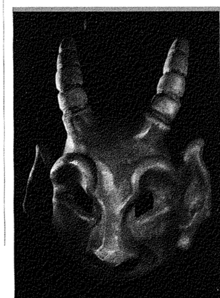
ولو أننا حاولنا ضبط تاريخ البدعة لما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، ذلك أنها تعود إلى ليل التاريخ البشري، حتى أن الدارس لا ينكبّ على حقبة من حقب هذا التاريخ إلا وجدها ملأى بالشبهات سواء على صعيد الاعتقادات أو على مستوى معاملات الناس فيما بينهم وعلاقاتهم وسلوكياتهم اليومية.

ولو أنّ الإنسان سأل عن أوّل بدعة في التاريخ الإنساني، بل في تاريخ الخلق كله، لما وجد أمثل من إبليس اللعين مثالاً يضرب في هذا المضمار!.

إن تعنت هذا المخلوق الناري واعتداده بخلقته وبما بلغ إليه من القرب لدى الحضرة الربانية، ورفضه بناء على ذلك للامتثال لأمر ربه بالسجود لآدم، إنما يعبّر بحق عن ميلاد أولى البدع حسب وعي الإنسان وعلمه، إذ لم يثبت قبل هذه الواقعة أي شيء من هذا القبيل فيما بين خلقة آدم عليه السلام ولحظة صدور الأمر الإلهي بالسجود له. وسنرى في معرض مناقشة هذا الموقف بالذات كيف أن إبليس اللعين جاء بأسئلة في غاية الغرابة والتلبيس أراد بها تعليل رفضه وجعلها سبعاً، وصاغها بأسلوب يرشحها لتكون بحق أصلاً وأساساً لكل البدع التي ظهرت في الخليقة بعد ذلك.

ولو أننا بحثنا في الانعكاسات الأولى لذلك الموقف الإبليسي، وفي الأسئلة المشبوهة التي شكّلت تبريراً مريباً لحدوثه، ونظرنا في ظهور ذلك على السلوك الإنساني، لوجدنا في نبأ ابني آدم عليه السلام، القاتل والمقتول، مثالاً غير مسبوق، وكيف لا، وقد قصّ علينا ذلك النبأ خبر أول جريمة دامية في تاريخ الإنسانية، أو بالأحرى، فيما قبل التاريخ، إذا اعتبرنا أن التاريخ لم يكن بعدُ مكتوباً في ذلك العهد السحيق.

تحضرني هنا ملاحظة لابد من تسجيلها وأن تأخذ طريقها نحو الدراسة والمناقشة والتمحيص:



إن القول بكتابة التاريخ أو عدمها، في هذا العهد أو ذاك، ينبغي مراجعته من وجهة النظر الدينية على الأقل، فلا يعقل أن يطالع المسلمون في كتاب الله العزيز قصص الأولين والآخرين، ويعلمون أنه القصص الحق، ثم يأتون بعد ذلك بما يقوله غير المسلمين أو غير المؤمنين: «إن التاريخ الإنساني مجهول قبل الفترة كذا أو الحقبة كذا»، ويردّون ذلك إلى آلاف معدودة يسيرة من السنين - كما يقول الفكر الغربي - وكأنهم بذلك يتنكّرون للأنباء الثابتة والفاصلة التي جاء بها القرآن الكريم عن حقب جد بعيدة من الزمن!.

إن ما يقصه كتاب الله هو القصص الحق، إذاً وهو التاريخ غير القابل للشك ولا للمجادلة، إذ ليس أعلم من الله عزَّ وجلَّ خبراً ولا أكمل خبرة بما وقف للإنسان وهو بعد في غلل من الفطرة يراها إبليس اللعين مجرد سذاجة وجهل يؤهلانه لأن يمارس إغراءاته وإملاءاته وتلبيساته فيقود بها الإنسان إلى متاهات الغواية والضلالة، وهل البدعة إلا عتبة من العتبات الأولى المؤدية إلى ذاك المصير المعتم؟!.

لنسأل الآن عن الأسئلة الإبليسية السبعة، ولنر كيف أن إبليس اللعين أجاد صياغتها، بحيث يجعلها تنطلي على أعتى العقول

وأقواها ذكاء وأوسعها علماً ومعرفة.

يقول الشهرستاني في «الملل والنحل» (ج١، طبعة أولى، تصحيح وتعليق الشيخ أحمد فهمي محمد، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ٦):

إن أول بدعة أو شبهة ظهرت عند بدء الخليقة هي شبهة إبليس اللعين، «ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خُلق منها، وهي النار، على مادة آدم عليه السلام، وهي الطين، وتشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليقة، وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة، إنجيل لوقا، ومارقوس، ويوحنا، ومتى «ماثيوس»، ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع عنه».

ويضيف الشهرستاني نقلاً عن هذه المصادر: «قال كما نقل عنه (يقصد إبليس لعنه الله): «إني سلمت أن البارئ تعالى إلهي وإله الخلق عالم قادر ولا يُسأل عن قدرته ومشيئته، فإنه مهما أراد شيئاً قال له كن فيكون، وهو حكيم، إلا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة، قالت الملائكة: ما هي وكم هي؟ قال لعنه الله: سبع».

ويُقال إن هذه الأسئلة هي أساس البدع التي ظهرت في كل الأزمنة ولأمكنة والعصور والأصقاع، وهي على النحو التالي:

السؤال الأول منها: «إنه (يقصد الحق عزَّ وجلَّ) علم قبل خلقي أي شيء يصدر عنِّي ويحصل منِّي فلِمَ خلقني أولاً وما الحكمة من خلقه إياي؟».

الثاني منها: «إذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته فلِمَ كلَّفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة من التكليف بعد ألا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية؟».

والثالث منها: «إذ خلقني وكلَّفني فالتزمتُ تكليفه بالمعرفة والطاعة فعزمتُ وأطعتُ فلِمَ كلَّفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي؟».

والرابع منها: «إذ خلقني وكلفني على الإطلاق (يقصد معرفة الله وطاعته) وكلَّفني بهذا التكليف على الخصوص (يقصد طاعة آدم والسجود له) فإذا لم أسجد فلِمَ لعنني وأخرجني من الجنة وما الحكمة في ذلك بعد أن لم ارتكب قبيحاً إلا قولي: لا أسجد إلا لك؟».

والخامس منها: «إذ خلقني وكلَّفني مطلقاً وخصوصاً فلم أُطِعْ فلعنني وطردني، فلِمَ طرَّقني إلى آدم (يقصد: جعل له طريقاً إليه) حتى دخلت الجنة ثانياً وغرَّرته بوسوستي فأكل من الشجرة المنهي عنها وأخرجه من الجنة معي وما الحكمة في ذلك بعد أن لو منعني من دخول الجنة استراح مني آدم وبقي خالداً فيها»؟.

القول بكتابة التاريخ أو عدمها ينبغي مراجعته من وجهة النظر الدينية فلا يعقل أن يطالع المسلمون في كتاب الله قصص الأولين والآخرين ويعلمون أنه القصص الحق ثم يأتون بعد ذلك بما يقوله غير المسلمين إن التاريخ الإنساني مجهول

والسادس منها: «إذ خلقني وكلَّفني عموماً وخصوصاً ولعنني ثم طرَّقني إلى الجنة (جعل لي طريقاً إليها) وكانت الخصومة بيني وبين آدم، فلِمَ سلَّطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني وتؤثر فيهم وسوستي ولا تؤثِّر في حولهم وقدرتهم واستطاعتهم، وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها (يحولّهم عنها بالحيلة) فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى بهم وأليق بالحكمة؟».

والسؤال السابع منها: «سلَّمت هذا كله (أي سلَّمت به وقبلته) خلقني وكلَّفني مطلقاً

ومقيَّداً وإذا لم أطع لعنني وطردني وإذا أردتُ دخول الجنة مكنني وطرَّقني وإذا عملت عملي أخرجني ثم سلَّطني على بني آدم فلِمَ إذا استمهلته أمهلني فقلتُ: أنظرني إلى يوم يبعثون، قال: إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال استراح آدم والخلق منّي وما بقي شر في العالم، أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشرّ؟».

ويزيد الشهرستاني، نقلاً عن شارح الإنجيل، إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى الملائكة فقالوا لإبليس: «إنك في تسليمك الأول إني إلهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص، إذ لو صدقت إني إله العالمين ما حكمت عليَّ بلِمَ، فأنا الله الذي لا إله إلا أنا لا أُسأل عمَّا أفعل والخلق مسؤولون».

إن هذه الأسئلة الإبليسية السبعة تنم منذ الوهلة الأولى عن خبث في السريرة ما بعده خبث، فالظاهر يقول: إن صاحب الأسئلة مسلم لربه مؤمن صادق في إيمانه، وقد ثبت هذا قبل خلقه آدم عليه السلام بدليل بلوغ إبليس اللعين إلى مدارج الملائكة العظام المقربين قبل حلول اللعنة على رأسه، وقد كان ذلك لحكمة يعلمها الله عزَّ وجل، وكان ذلك من بعض مكره سبحانه: (والله خير الماكرين)، إذ لولا تلك الحُظوة العظمى، التي لا حظوة بعدها، وذلك القرب الأكبر، ولولا المعرفة والطاعة الوافيتين اللتين كانتا وراء ذلك، لما وقع لإبليس اللعين ما وقع له من الزهو بالنفس والعُجْب والاستبداد بالرأي والاستكبار عن السجود لمن اعتقده بعد ذلك أقل منه منزلة وشأناً، بل إن ذلك كله أنساه بأن السجود لم يكن وارداً لذاته، بل هو أمر إليه كان يجب الامتثال له من غير مناقشة ولا مُساءلة!.

إن المتأمل في هذا الذي سبق ذكره يسعه أن يسجل الملاحظات التالية:

١ - إن الشبهة، وهي الرحم الذي تتبلج منه البدعة، لا تحدث إلا وهي ملفعة باللُّبس. ذلك أن الواقع في مزالق الشبهة لا يرى هذه المزالق أبداً، ولو رآها لما وقع فيها أصلاً. ومن ثمَّ فإن البدعة لا تتولد داخل الأفكار السوء لأن هذه بيِّنة وفاضحة يسهل اجتنابها والوقاية منها، وإنما تتولد في عرين الأفكار الخيِّرة والأعمال الصالحة والمقاصد النبيلة التي يسهل على المبتدع أن يلوّن بها غوايته ويلبسها لضلالاته، ويخفي في طياتها النقية أدرانه.

٢ - إن الشبهة ووليدتها البدعة لا تظهران إلا على يد أمرئ يتوسم الناس فيه الصلاح وينظرون إليه بعين الرضا ويجدون لديهم استعداداً لتقبل أفكاره وأعماله لما آنسوه فيه من حميد الخصال والصفات. وهذا بالذات ما يشير إليه موقع إبليس اللعين من الحضرة الربانية قبيل افتضاح أمره وظهور ما في سريرته من الكبر والعنت والعجب، ولو أن البدعة كانت تتولد على أيدي المفسدين المعروفين بفسادهم وفسوقهم وعدائهم للدين ولعباد الله المؤمنين لما تبعهم في ذلك أحد ولما اقتدى بهم مقتد ولما اغترَّ بدعواهم مغترّ.

٣ - إن البدعة من أبرز الأعمال التي تأتي في صورة حق يراد به باطل، أو باطل متلفع برداء الحق، ولذلك يستحسن البحث عن البدع ليس في الأفعال الباطلة، لأن هذه قد حُكم عليها شرعاً بالبطلان وبات على العبد المؤمن واجب إتقائها ومحاربتها، وإنما ينبغي أن تُطلب البدع بين الأعمال الصالحات للسببين المشار إليهما في الملاحظتين السابقتين.

٤ - إن الفرق المسلمة المشتهرة بالابتداع لا تخرجُ طروحاتها الأساسية عن الأصول السبعة التي تشتمل عليها الأسئلة الإبليسية السبعة السابقة الذكر، والتي تقدم بذوراً تولدت عنها أطروحات مذاهب كالقدرية، والجبرية، والمرجئة، والصفاتية، وغيرها من الفرق التي أحصاها الدارسون الأوائل نحو ثلاث وسبعين فرقة، مصداقاً لحديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبأ فيه بظهور هذا العدد من الفرق في صفوف أمته من بعده وتنبأ لفرقة واحدة منها بالنجاة كما يرد في كتب الفقه والحديث.

هكذا إذاً، عرف المجتمع المسلم البدعة بدوره منذ استتباب الأمر للدولة الإسلامية الأولى، وعلى عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وصار أمرها أكثر استحكاماً على عهد بني أمية ومن تلاهم من بني العباس، بعد أن اتسعت فضاءات التلاقي والاختلاط بالأمم العجمية وبأصحاب عقائد وديانات وثنية وإلحادية ومجوسية ولقيطة احتفظ هؤلاء ببعض من أفكارها وطقوسها ومفاهيمها بعد اعتناقهم الإسلام، وحملوا معهم الشيء الكثير منها إلى معتقدات المسلمين وأنماطهم الفكرية والسلوكية.

عرفت البدعة رواداً ومنظرين من مختلف المشارب والمدارس كالباطنية والشعوبية والزنادقة والقدرية والرافضة والمرجئة... فكان كل من هؤلاء يدفع عن نفسه تهمة الابتداع والمروق لما كانت شبهاته وبدعه تتلبس به من رداء الحق والفضيلة

وبطبيعة الحال، وكما يحدثنا عن ذلك تاريخ الدول الإسلامية ومجتمعاتها المسلمة، فإن البدعة عرفت رواداً ومنظِّرين من مختلف المشارب والمدارس كالباطنية والشعوبية والزنادقة والقدرية والرافضة والمرجئة... فكان كل من هؤلاء يدفع عن نفسه تهمة الابتداع والمروق لما كانت شبهاته وبدعه تتلبس به من رداء الحق والفضيلة.

ولم يلبث الحابل أن اختلط بالنابل في أذهان المسلمين، وزاد في ذلك دخول ممارسات على شعائرهم لم يكونوا يرون فيها أي إساءة ظاهرة وصريحة للإسلام والمسلمين، ومع ظهور أولى بوادر الضعف والانحطاط في دولة الإسلام بكل من المشرق «أواخر العصر العباسي» والمغرب «ملوك الطوائف بالأندلس»، بدا نجم البدعة وقد

صار شديد السطوع كما لم يكن أبداً من قبل، وبدت شوكتها أكثر «انغرازاً» في اعتقادات المسلمين وتطبيقاتهم، وصار أمرها أكثر خطورة مع تسرب الإسرائيليات ودخول أنماط الفكر الفلسفي، الشرقي والغربي، ولم يكد ينقضي عصر الظلمات في أوروبا والشمال من الكرة الأرضية حتى كانت هذه الظلمات تزحف إلى الجنوب وتلقي بكلكلها على ربوع دولة الإسلام وتلقي بها في متاهات كان من أبرزها ما عرفته هذه الدول من استحواذ القوى الاستعمارية على أراضيها وخيراتها، وما حصدته جرَّاء ذلك من ضعف ووهن مع كثرة العدد ووفرة الرساميل وضخامة الخيرات الطبيعية وحذاقة القوى النشيطة والعاملة... كل ذلك، لأن البون بين المسلمين وأصول دينهم ازداد اتساعاً، ولأن القابضين منهم على هذه الأصول أو على بعضها قلَّ أن يسلم أحدهم من سهام البدعة ومن تلونات الضلالة حتى صار من العسير التمييز بين الصالح والطالح في المعتقدات والممارسات، وبات سل شعرة البدعة من عجين الفكر الإسلامي من قبيل المستحيلات أو يكاد. وبقدر ما تعددت ضروب البدع وتنوعت أنماطها فتقاربت وتماثلت أو تباعدت واختلفت، بقدر ما تعددت وتنوعت أسباب محاربتها واختلفت الوسائل المستعملة في هذا السجال.

غير أن الدارس يسعه أن يميِّز من بين تلك الأسباب والوسائل أربع طرق رئيسة:

- الأولى، تقوم على السجال الفكري والكلامي، وتعتمد هذه على المناظرة والمجادلة الكلامية والنزال الفلسفي، وهذه الطريقة لم تخل من مساوئ لأنها كانت تضع الطرفين المتنازلين في خندقين متقابلين فيؤدي ذلك إلى افتتان الناس بدعاوى كل معسكر فيتوزعون بين هذا الطرف وذاك، ما يجعل أمر قطع دابر البدعة في صميم الاعتقاد والممارسة العامية صعب المنال، فضلاً عن ما يجرّه ذلك على الفكر الإسلامي من إسقاطات وتداعيات التراث الفلسفي الذي يبعد أساساً عن شرط الإيمان بالثوابت الدينية.

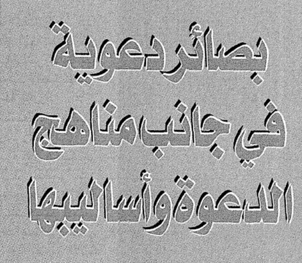
- الثانية، تقوم على الاستناد إلى الجهاز الحاكم، والاستعانة به واستنصاره، فكانت هذه الطريقة أكثر ضرراً وخطورة من سابقتها، لأن أهل البدع تساووا في هذا الأمر مع المصلحين، فكانت لهم أيامهم وكان البلاط الخلافي يمدّهم بما هم في حاجة إليه من الدعم أو من الصمت والتغاضي، لحسابات سياسية تفرضها الظروف.

الثالثة: تقوم على استعمال الإرهاب الفكري والجسدي، وقد زخر التاريخ الإسلامي بمواقف كثيرة كان العنف أو الإرهاب فيها أعجز من أن يقضي على البدعة، وذلك لسبب وجيه وبدهي من وجهة النظر الدينية: فالدين نفسه ينبذ العنف ويرفض الإرهاب، ويعتبرهما بدعة في مجالي الفكر والممارسة، ويفضل بديلاً عنهما: الأخذ بالموعظة الحسنة والدفع بالتي هي أحسن، إذ كيف يعقل أن يحارب المسلم منكراً وينهي عنه بإتيان فعل من الطينة نفسها، «العنف والإرهاب»؟؟.

وأما الطريقة الرابعة، فتقوم على العمل الموازي، أي بترك البدعة وأهلها فيما هم فيه خائضون، والتوجه بموازاة ذلك إلى العامة وباقي الفئات المستهدفة (بالفتح) بالموعظة والإرشاد والتنوير والتوعية والتصويب والتقويم والشرح والتبسيط... حتى لا يبقى لأهل البدع من يجالسونه ومن يبثون فيه سمومهم. وقد دلت التجارب الملموسة على مدى نجاعة هذه الطريقة ومدى فاعليتها، لأنها كانت دائماً تجعل العبد المؤمن الآخذ بناصيتها يمارس نضاله ضد البدع وأهلها بعيداً عن الجدل والتشويش وعن العنف، وعن تقلبات الأجهزة الحاكمة «الطرق الثلاث الأولى»فينكب على عمله الإصلاحي والتنويري بهدوء ودعة وطمأنينة، فيُحَارب البدعة في أذهان الناس وفي عمق تفكيرهم بعيداً عن أي صخب أو مصارعة.

لننظر الآن إلى فكرنا بدءاً بموروثنا الثقافي والعقدي، ولنبحث في ممارساتنا اليومية، نيةً وقولاً وفعلاً، ولنر كم صار ذلك فينا مخلوطاً بالبدع والشبهات من كل الأشكال والألوان والأنواع... ولننظر فيما ينبغي عمله على ضوء الطريقة الرابعة الأمثل والأنجع، خصوصاً أن تكنولوجيا الإعلام والاتصال تضع بين أيدينا أفضل ما يمكن أن يتصوره العقل من الوسائل والأدوات... وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ●





بصائر دعوية في جانب مناهج الدعوة وأساليبها

الحلقة (١٤)

نتناول اليوم بصيرة دعوية جديدة وجانباً من مناهج الدعوة وأساليبها، وكنا قد تناولنا في حلقات سابقة بصائر كثيرة بجانب أصول الدعوة وأركانها.



بقلم: د. محمد أبو الفتح البيانوني
كلية الشريعة. جامعة الكويت

ولعل من أولى البصائر الدعوية في جانب المنهج والأسلوب:

١ ـ ضرورة التفريق بين منهج الدعوة الرباني، ومنهج الدعوة البشري، ومعرفة العلاقة بينهما:

فقد وضع الشارع للدعوة الإسلامية مناهج قويمة، وقواعد سليمة عن طريق الكتاب والسنَّة، يستنير بها الدعاة، ويتمسك بها الهداة لتهديهم لما هو أقوم، قال تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) الإسراء:٩، وقال: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) المائدة:٤٨.

وهذه المناهج هي التي تسمى بالمناهج الربانية، نسبة للربِّ جلَّ جلاله الذي وضعها لعباده، وتعبدهم بها، فلا يجوز لهم بحال من الأحوال تجاوزها أو الخروج عليها، لأنها الأساس في كل دعوة، والأصل في كل خير.

كما قد يضع الدعاة العاملون، والعلماء الربانيون باجتهادهم مناهج تفصيلية، وخططاً مرحلية لدعوتهم، تطبيقاً للمناهج الربانية، واعتماداً عليها، وذلك بما يتناسب مع زمانهم ويتلاءم مع ظروف المدعوين من حولهم.

وتسمى هذه المناهج بالمناهج البشرية لأنها مهما كانت سليمة ومفيدة فقد وضعها البشر من عند أنفسهم، وبمقتضى علمهم وفهمهم لشريعتهم، فهي مناهج تحتمل الصواب والخطأ، فهي مثل أي مسألة اجتهادية، لا يعدم المجتهد فيها أجراً أو أجرين بحسب صوابه فيها أو خطئه.

وللناس جميعاً أن يأخذوا منها، أو يتركوا منها ما شاؤوا، اللهمّ إلا مناهج الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ والتي أمرنا بالتزامها والعضِّ عليها بالنواجذ ـ كما مر معنا في بصائر دعوية سابقة.

أما المناهج الربانية: فهي وحدها الملزمة للمؤمنين جميعاً بالأخذ بها، والتمسك بها، فقد جاء في الحديث الشريف، الذي رواه أبو داود والترمذي وقال عنه: حسن صحيح: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ».

ومن الغفلة عن مثل هذه البصيرة: أنزل بعض الناس مناهج علمائهم ودعاتهم منزلة المناهج الربانية، فتمسكوا بها تمسّكهم بالمناهج الربانية، وتحرجوا من الخروج عليها، والتغيير والتطوير فيها تحرّجهم من الخروج على النصوص الشرعية، والمناهج الربانية، وعاملوها معاملة الثوابت الشرعية والمعالم الربّانية!.

ناسين أن علماءهم هم الذين وضعوها لأنفسهم وللدعاة في زمانهم، وغافلين عن أن علماءهم هؤلاء لو كانوا في عصرهم، لغيّروا في هذه المناهج وبدّلوا فيها بما يتناسب مع عصرهم هذا، ويتلاءم مع أحوال المدعوين فيه!!، لأن لكل قوم وزمان

المنهج الذي يناسبهم، ويلبي احتياجاتهم.

ومن هنا: كان تعدد المناهج والشرائع الربَّانية نفسها، فجعل الله لكل أمة من الناس شريعة ومنهاجاً يتناسب مع أحوالهم، ويلبي متطلباتهم، ولم يجعل المناهج والشرائع منهجاً واحداً، ولا شريعة واحدة.

ومن الغفلة عن هذه البصيرة أيضاً: أنكر بعض الدعاة على غيرهم وضع مناهج لأنفسهم وإخوانهم، يطبِّقون بها منهج الله، اجتهاداً منهم في ذلك، واقتباساً من النصوص الشرعية والسيرة النبوية، ونظروا إليهم نظرتهم إلى الخارجين بذلك عن المنهج الربَّاني والمخالفين لشرع الله!.

ولو تبصَّر أمثال هؤلاء في أمر دعوتهم، لوقفوا من تلك المناهج التي يعارضونها أو يرون خلافها، موقفهم من أي مسألة اجتهادية، تقبل الحوار والمناقشة، والتصويب والتخطيء، دون إنكار أو تشنيع ـ كما هو واجب المسلم تجاه المسائل الاجتهادية.

٢ ـ والبصيرة الثانية في جانب المناهج والأساليب: ضرورة مراعاة الفوارق بين المدعوين في أثناء وضع المناهج البشرية، لأن المنهج والأسلوب في دعوة المسلم مثلاً يختلف كثيراً عن المنهج والأسلوب في دعوة الكافر.

والمنهج الذي يناسب دعوة المؤمن القوي السابق بالخيرات، يختلف عن منهج دعوة المؤمن المقتصد، والظالم لنفسه... وهكذا.

فلكل صنف من الناس ما يناسبه لهدايته، ويتدرج معه في سبيل الترقي والكمال...

مثلها في ذلك مثل المناهج التعليمية التي تضعها وزارات التربية والتعليم والمعارف والتعليم العالي، للمراحل الدراسية كلها، فتراها تختلف من حيث المستوى والأسلوب في كل مرحلة دراسية عن غيرها، فإن للدارسين في الجامعات مناهج وأساليب تختلف كثيراً عن مناهج الدارسين في المراحل الثانوية والإعدادية والابتدائية.

وإن لهؤلاء جميعاً مناهج تختلف عن مناهج التعليم الخاص بمحو الأمية... وهكذا، ولكن هذه المناهج جميعها تنطلق من الثوابت الأساسية، وتوضع في ضوء السياسات التعليمية التي تعتمدها تلك الدول.

٣ ـ والبصيرة الثالثة في جانب المنهج والأسلوب: ضرورة أن تتنوع الأساليب والمناهج الدعوية في ارتكازها على الأسس الفطرية، والركائز البشرية الشاملة لركائز القلب والعقل والحس.

ذلك لأن منافذ المعرفة البشرية لاتعدو هذه النوافذ من جهة، ولأن هذه المنافذ متشابكة متداخلة في النفوس البشرية، لا يمكن فصل بعضها عن بعض من جهة أخرى.

فلكل إنسان عواطف ومشاعر محلها القلب.

ولكل إنسان تدبّر وتفكّر محله العقل.

ولكل إنسان حواسّه التي يُحسّ بها من بصر وسمع، وشمّ ولمس، يتعرف بها إلى الأشياء.

فالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، والترغيب والترهيب.... كل ذلك وما شابهه أساليب تنفذ إلى القلب سريعاً، لأن القلب مركز العواطف والمشاعر الإنسانية.

وكل هذه الأساليب: بأشكالها وأنواعها الكثيرة تشكّل ما يمكن أن يُسمى بالمنهج العاطفي في الدعوة إلى الله.

والمحاكمات العقلية، والجدل والحوار، وضرب الأمثال وما إلى ذلك... كلها أساليب تنفذ إلى العقل سريعاً... لأن العقل مركز التفكر والتدبّر.

وكل هذه الأساليب بأشكالها وأنواعها الكثيرة، تشكل ما يمكن أن يُسمى بالمنهج العقلي في الدعوة إلى الله.

الحواس البشرية من أكبر نعم الله على عباده ومن أهم ما يسأل عنها الإنسان يوم القيامة

والحواس البشرية جميعها هي التي تنقل إلى القلب أو العقل، أو أليهما معاً تلك المعاني والمعارف، فالأساليب التي ترتكز على مخاطبة الحواس، فتدعو إلى المشاهدة والنظر والتفكّر في مخلوقات الله، كما تدعو إلى الاستماع واللَّمس باليد وما إلى ذلك، كلها يمكن أن تشكل معاً ما يسمى بالمنهج الحسي أوالتجريبي.

ومن هنا: كانت الحواس من أكبر نعم الله على عباده التي امتنَّ بها، فقال سبحانه: (ألم نجعل له عينين. ولساناً وشفتين. وهديناه النجدين) البلد:٨ ـ ١٠.

كما كانت من أهم ما يسأل عنها الإنسان يوم القيامة... قال تعالى: (ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً) الإسراء:٣٦.

من هنا: كان على الدعاة أن يتعرفوا إلى هذه المنافذ الثلاثة، ويبحثوا عن الأساليب المساعدة على النفوذ منها، لينفذوا بها إلى قلوب الناس وعقولهم، فيقوموا بوظيفتهم حق القيام. وإن لديهم في القرآن الكريم، وفي سيرة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم، وسيرة خلفائه الراشدين، وصحابته الأكرمين، وفي سيرة العلماء العاملين، والدعاة الربانيين منارات نور، ومعالم هدى.

وإلى حديث آخر مع بصائر دعوية أخرى بجانب المناهج والأساليب في حلقات مقبلة إن شاء الله ●

بقلم: د. الشفيع الماحي أحمد

معنى الألقاب المعربة في القرآن الكريم

الراهب

ظهرت بعد رفع عيسى - عليه السلام - بين النصارى بعض من الممارسات التعبدية لا أصل لها في دينهم، من بينها الرهبنة والرهبانية، أيّ المبالغة في الزهد، والغلو في التعبد، والانقطاع عن الناس، وشاعت بينهم حتى غدت من إعلام دينهم، وإلى حد اشتهر الدين نفسه بأنه يقوم في الأساس على الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة، وعرف المنقطع منهم للعبادة وحدها باسم الراهب.

والراهب يعود في اللغة العربية إلى أصل يدل على الخوف مطلقاً، أو خوف من تحرز واضطراب من المخوِّف منه، ومنه اشتق اسم الراهب. وهو من يخشى الله خشية تدفعه للتعبد على طريقة معينة، ووفقاً لنظام صارم، قوامه التخلي عن أشغال الدنيا وترك ملاذها ومباهجها، والعزلة بعيداً عن أهلها في الجبال والأودية.

إن اتخاذ الرهبنة والترهب شكل العبادة، والتقرب إلى الله على هذا النحو غير المألوف في المجتمعات العربية القديمة هو الذي جعل الكثير من المفسرين يدرجون لفظ الراهب والرهبانية ضمن غريب القرآن، ومنهم من رأى أنه يقابل كلمة أبيل في اللغة السريانية، ومعناها الحزين الباكي، ومنها اشتقت كلمة ابيلوثا بمعنى الرهبانية.

والأقرب إلى الصحة ويطابق حروف اللقب ودلالاته اللغوية أنه مأخوذ من كلمة فارسية ذات مقطعين «ره» بمعنى الصلاح و«بان» بمعنى صاحب، وذلك يفيد معنى صاحب الصلاح أو الرجل الزاهد، وعلى أساس هذين المقطعين أخذت اللغة العربية كلمة رهبان جمعاً، واشتقت لها مفرداً على وزن فاعل، أي راهب.

العزيز

لم يتخذ الهكسوس «الرعاة» الذين حكموا مصر القديمة ألقاب الفراعنة لشاغلي المناصب الدستورية في دولتهم، بل استخدموا الألقاب المألوفة في ثقافتهم ولسانهم العربي، واللقب الوحيد الذي حفظه لهم القرآن جاء في سياق قصة يوسف - عليه السلام - فقال تعالى: (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين) يوسف: ٣٠.

وأصول لقب العزيز يرد في معظم اللغات العربية القديمة بصور مختلفة منها على سبيل المثال اللغة السريانية التي جاء فيها الفعل اثعزز، بمعنى تعزز وتقوّى، وفي لغة الصابئة المندائيين أزز أي عز، ومنه الصفة أزيزا، أي عزيز، وفي اللغة الحبشية عزازى وعزاز بمعنى حاكم، وقاهر، ما يعني أن دلالة اللقب الأصلية تفيد معنى القوة والشدة وما يضاهيهما من غلبة وقهر.

فإذا عرفنا أن الذي اشترى يوسف - عليه السلام - اسمه «فوطيفار»، وكان يشغل في دولة الهكسوس منصباً دستورياً رفيع المستوى هو رئيس شرطة، ويقابل اليوم منصب الوالي أو المحافظ، اتضح بلا أدنى شك أن لقب العزيز يفيد في المعنى الحاكم الذي له مطلق الصلاحية في التصرف والإدارة بلا منازع.

الأحبار

إن الحاء والباء والراء ترد في اللغة الآرامية بمعنى أخذ وسحر ورقى وعزم، ومنها اشتق اسم «حبارا» وكان يطلق على العرّاف والساحر والحواء والرقاء، ومنها أيضاً الحبر بمعنى العالم الديني أو اللاهوتي أو القدسي، وعن طريق الآرامية دخل إلى العبرية والعربية، فأطلق على العلماء من اليهود الذين ينحدرون من هارون - عليه السلام - اسم الأحبار وهم الذين قال فيهم الحق عز وجل: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونورٌ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) المائدة: ٤٤.

أما أصول كلمة حبر في اللغة العربية فقد دلت دلالة قريبة من دلالاتها الآرامية، فهي تدل على الأثر الذي يظهر للعيان وفيه حسن وجمال، ومنها اشتق لقب الأحبار، وأطلق على العلماء إجمالاً، وذلك للبقية الباقية من آثار علومهم في قلوب الناس، وأيضاً لآثار أفعالهم المقتدى بها في الدين والدنيا.

الربانيون

كلمة رباني مفرد ربانيون هي من الأصل كلمة آرامية مشتقة من كلمة «رب» بمعنى الكبير أو الرئيس. ومنها تفرع لقب «ربونو»، وبالسريانية «ربوني» وكلاهما بياء النسبة للربِّ، واللقب كان يطلق في هاتين اللغتين على العلماء كاملي العلم، وبالتحديد العلماء بالحلال والحرام، والأمر والنهي، أي العلم الإلهي.

وعندما دخلت الكلمة إلى اللغة العربية، خضعت لقواعد وطرق نطقها، فأضيفت إليها الألف للتفخيم، والنون لسكون الألف مثل نصراني، محافظة منها على تلك النسبة لله تعالى، وتخصيصاً لحاملي اللقب بعلم الربِّ دون غيره من العلوم، ليعني في النهاية العالم بوحي الله أو العارف بالله.

ثم اتخذ اللقب وبناء على تلك الخلفية المعرفية معاني لا تبعده كثيراً عن تلك النسبة

فقيل عن الرباني إنه الشديد التمسك بدين الله وطاعته. أو العالم العامل المعلِّم، إلى غير ذلك من المعاني التي تحصر علمه فيما يُطاع فيه الله، وتجعل منه إماماً يقتدى به في اتباع شريعة الله.

القسيسون

دعت الحاجة أولئك الذين رأوا في أنفسهم خلفاء لحواريي عيسى - عليه السلام - وممثلين لهم، ومكلّفين مثلهم بوصايا عيسى وتعاليمه إلى تنظيم أنفسهم في جماعة «كنيسة» وفقاً لقواعد مرتبة وقوانين محددة تحافظ على كيانهم وتصون وحدتهم، وفي الوقت نفسه تظل أمينة على عهد عيسى للحواريين الأوائل ووصاياه لهم بانتظار مجيء من يخلفه فيهم ويقوم مقامه بينهم.

ومنذ ذلك الوقت برزت إلى الوجود فكرة التسلسل الوظيفي في بناء الجماعة تحت أسماء ومسميات كثيرة تختلف باختلاف المهام والأعمال التي تمارس داخل الجماعة، فمجموع الرهبان الذين يتشكل منهم بناء الجماعة سمى بالاسم اليوناني «اكليروس»، ومن هؤلاء تتوزع الرتب والدرجات والوظائف، وأعلاها هي رتبة القسيس التي ذكرها الله تعالى في قوله: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودَّة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسِّيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) المائدة:٨٢.

ولقب القسيس ينطق في الآرامية قشيشو وفي السريانية قسيسا ويعني الشيخ أو الكاهن المتقدم في السن الذي يتولى وضع القرارات المتعلقة بعلاقات الجماعة المسيحية، وإجراء الاحتفالات الدينية، وتعليم العقائد، والإشراف على سلوك المؤمنين، أو بعبارة أشمل هو عالم دين النصرانية، أو رئيس النصارى في العلم والدين.

الكاهن

يطلق لقب الكاهن على كل من يخبر بالأحداث المستقبلية «الغيب»، وأيضاً الأخبار والأحوال الماضية، وبعبارات ذات أسجاع قصيرة ومعبِّرة بدقة عن مراده. وكلمة كاهن وضعت أصلاً لهذا المعنى، فهي إذاً غير مشتقة، ولذلك عرفت في معظم اللغات العربية القديمة، فتنطق في اللغة الكنعانية كهن والمؤنث كهنت، وفي العبرية والآرامية كوهين وكاهانا.

وقد نزه الله تعالى رسوله الكريم عن صفة الكهانة ونفى عنه التكهن وعمل الكهان فقال: (فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون) الطور:٢٩.

ويفيد اللقب في الدين اليهودي معنى حافظ الشريعة والمفتي فيها، وقد يفيد أيضاً خدام الدين، ويطلق في اصطلاح العهد القديم على الشخص المخصص لتقديم الذبائح والقرابين، أما عند النصارى فيطلق على من ارتقى درجة الكهنوت وهي كما عرفنا درجة القسيس.

إن اتخاذ الرهبنة والترهب شكل العبادة والتقرب إلى الله على نحو غير مألوف في المجتمعات العربية القديمة هو الذي جعل الكثير من المفسرين يدرجون لفظ الراهب والرهبانية ضمن غريب القرآن

فرعون

يتكون لقب فرعون وبناء على أصوله اللغوية القديمة من مقطعين (بر) و(عا) أو (عو)، الأول (بر يرد) عادة بمعنى بيت أو معبد أو قصر وما في حكمها، و(عا أو عو) يتخذ في الأغلب مجردة عدة تدور حول العظمة والكبر فيأتي دوماً بمعنى العظيم أو الكبير أو المرتفع أو العالي، فيستفاد من اتحادهما معاً معنى البيت الكبير أو البيت الرفيع أو البيت العظيم أو المقام السامي، تماماً مثلما كان يُعبَّر عن السلطان التركي «بالباب العالي».

غير أن كلمة (بر) وكما ثبت في اللغة واللسان الفرعوني تنطق الباء فيها وتكتب كما ينطق حرف P في اللغة الإنكليزية، وتكتب في العربية باء بثلاث نقط تضخيماً وتثقيلاً للنطق.

وعندما نقلت إلى اللغة العبرية تحولت الباء إلى فاء، ومن ثمَّ نطقت الكلمة فر وليس پر، كما في الأصل، وبالنطق ذاته نقلت إلى اليونانية ومنها تلقته سائر اللغات اللاتينية وعلى رأسها الإنكليزية حيث تنطق بالفاء وتكتب (ph) (pharoa) اسوة باليونانية والتي تجعل حرفي (ph) مقابل حرف (F).

أما العربية فبمقارنة بسيطة لمفرداتها التي تبدأ بحرفي الباء والفاء نجد تبادلاً فيما بينهما في النطق والكتابة لا يمنع من إحلال أحدهما محل الآخر، ولذلك انقلبت الباء في الكلمة فاء، وهو ما أثبته القرآن الكريم للعبارة أو للقب كحقيقة بدهية درجت عليها اللغات العروبية واللسان العربي.

هامان

خاطب الله تعالى هامان وقارون ضمن سياق واحد مع فرعون في إشارة صريحة إلى قوة نفوذهما في المجتمع وسمو مكانتهما وعلو كلمتهما، فقال تعالى: (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين. إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذَّاب) غافر:٢٣-٢٤.

إن مادة اسم هامان الأصلية من أمن وآمون، وأضيفت إليه الهاء لإفادتها معنى يقرب من العلو والعظمة وسمو الرفعة، ليشكل مجموع الكلمتين (ها + مان) لقباً واسماً.

ويعني كاهن أمون الأعظم، أو كبير كهنة آمون، وكان يحمل حرفياً لقب الخادم الورع للإله آمون رع ملك الآلهة.

وكانت الكهانة بالفعل تعد أعلى سلطة دينية في الدولة والمجتمع، إلى حد أن الفرعون نفسه لا مفر له من الحصول على رضا الكاهن الأعظم ليرقى في العرش ويثبت فيه، ناهيك عن أن أجل أوجه الأنشطة الكهنوتية كانت تنحصر في العناية بشخص الفرعون وجسده، بدءاً من تغذيته واغتساله حتى العناية بشعره وذقنه المستعارين ●

بقلم: غازي التوبة

تناولت دراسات متعددة في الفترة الأخيرة الجانب العقلي(١) عند المسلم المعاصر، لكن الدراسات التي تناولت الجانب النفسي معدودة ومحدودة، وانطلاقاً من هذه الحاجة سألقي الضوء على بعض جوانب هذه الأزمة، لعلها تكون فاتحة لدراسات أخرى.

أزمة المسلم المعاصر النفسية: أبعاد وحقائق

برزت ظواهر سلبية عدة أخيراً في حياة المسلم المعاصر النفسية منها: التواكل، السلبية نحو المحيط الاجتماعي، بروز الفردية، ضعف التوجه الجماعي، الرغبة في الخلاص الفردي، القلق والانهزام أمام الحضارة الغربية إلخ... وقد أرجع كثير من المفكرين الإسلاميين وعلى رأسهم محمد عبده، ومالك بن نبي هذه الظواهر إلى انحطاط فهم القضاء والقدر، وإلى انتشار التصوف، وبينوا أن إيمان المسلمين الأوائل بالقضاء والقدر في صورته الصحيحة كان عامل امتياز وفاعلية، في حين أن إيمان المسلمين المتأخرين بالقضاء والقدر في صورته الخاطئة أصبح عامل انحطاط وتأخر، وذلك أن المسلمين الأوائل فهموا أن الإيمان بالقضاء لا يتناقض مع الأخذ بالأسباب، بل يأمر الفهم الصحيح والإيمان الصحيح بالقضاء والقدر بأن يأخذ المسلم بالأسباب، في حين أن المسلم الذي عاش في العصور الأخيرة فهم الإيمان بالقضاء والقدر على أنه ترك الأسباب، كما نددوا بالتصوف ووضحوا آثاره السلبية في حياة المسلمين الاجتماعية والعقلية والنفسية، وبينوا مخالفته للتعقل والحكمة في الإسلام.

وإن تقصي أسباب تلك الظواهر يجعلنا لا نقف عند ذلك التعليل فحسب، بل نسأل لماذا كان هناك خطأ في فهم القضاء والقدر في



مرحلة من التاريخ الإسلامي؟ ولماذا انتشر التصوف؟ ولماذا قبله المجتمع الإسلامي في وقت معين؟ إن الجواب على هذه الأسئلة وأمثالها يجعلنا نضع يدنا على السبب الجوهري لانتشار هذه الظواهر في المجتمع الإسلامي، ونحن من أجل أن نجيب على هذين السؤالين سنبحث عن جوابهما في فرعين رئيسين من البناء الثقافي الإسلامي: العقيدة، والفقه، وذلك ضمن الفقرات التالية:

أولاً: العقيدة

١ ـ دور العقيدة في البناء النفسي للمسلم حسب الطرح القرآني.

٢ ـ دور العقيدة في البناء النفسي للمسلم حسب طرح كتاب جوهرة التوحيد للباجوري.

٣ ـ مقارنة بين الدورين.

ثانياً: الفقه

١ ـ دور العبادات في البناء النفسي للمسلم حسب الطرح القرآني.

٢ ـ دور العبادات في البناء النفسي للمسلم حسب طرح كتاب الفقه على المذاهب الأربعة.

٣ ـ مقارنة بين الدورين.

أولاً: العقيدة

١ ـ دور العقيدة في البناء النفسي للمسلم حسب الطرح القرآني.

إن البناء العقائدي للمسلم يقوم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، وقد وضح هذه الأركان حديث جبريل المشهور الذي سأل فيه جبريل الرسول صلى الله عليه وسلم ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، ونحن اعتماداً على هذا الحديث سنوضح البناء العقائدي للمسلم.

أ ـ الإيمان بالله:

إن أبرز ما يميز القرآن الكريم في حديثه عن الله تعالى هو ليس الكلام المجرد، إنما كلامه من خلال أفعال لله لها علاقة بالكون كخلق الإنسان، وخلق السماوات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، وقد عرض القرآن كذلك صفات الله تعالى كالقدرة والعلم والرحمة والسمع والبصر من خلال آيات الكون ومظاهر الطبيعة وعالم الغيب والشهادة.

إن هذه الطريقة في الكلام كان لها أثرها في البناء النفسي، وأنا من أجل توضيح هذا الأثر في البناء النفسي سآخذ مثالاً هو كلام الله عن خلقه الإنسان وأبيِّن أثر هذه الطريقة القرآنية في البناء النفسي عند المسلم.

ب ـ كلام القرآن عن خلق الله تعالى للإنسان:

بين الله تعالى أنه خلق الإنسان من طين فقال تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) المؤمنون: ١٢.

وبينت الآيات استخلاف الله للإنسان وإخبار الملائكة بذلك وسؤالهم عن سر أحقيته في هذه الخلافة فقال تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبِّح بحمدك ونقدِّس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) البقرة: ٣٠.

وبين أنه طلب من الملائكة السجود لآدم فسجدوا إلا إبليس، فقال تعالى:

(ولقد خلقناكم ثم صوَّرناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين) الأعراف: ١١.

وبين تعالى أن الله خلق للإنسان زوجاً منه فقال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم: ٢١.

وقد بين الله تعالى أنه أنعم على هذا المخلوق بنعمة السمع والبصر والفؤاد فقال تعالى: (وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة) المؤمنون: ٧٨.

وقال تعالى: (قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) الملك: ٢٣.

وقال تعالى: (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) النحل: ٧٨.

وقد بين الله تعالى أنه هو الذي سخَّر للإنسان كل ما في الأرض، وسخَّر له الشمس والقمر والليل والنهار وسخَّر له البحار التي تجري الفلك فيها ويستخرج الحلية واللحم الطري منها، فقال تعالى:

(وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون. وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذَّكرون. وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) النحل: ١٢ ـ ١٤.

إن المسلم عندما يعلم تلك الحقائق، وأن الله خلقه من طين، فأصبح هذا الإنسان الذي يسمع ويحس ويعقل ويتحرك، لا شك أن الإنسان عندما يتأمل الهوة الكبيرة التي تفصل بين المادة التي ابتدأ منها والصورة التي انتهى إليها يعظِّم الله تعالى.

وعندما يعلم أن الله استخلفه دون بقية المخلوقات وأن الله تعالى أكرمه بأن طلب من الملائكة السجود له لا شك يجب أن يعظِّم الله تعالى ويحمده على هذا الإكرام.

العبادات لها ارتباط وثيق بالقلب وبالنفس حتى وإن كانت بدنية فقد قصد الشارع من فرضها توليد الخشوع والاطمئنان وقد بيَّنت بعض الآيات أن ذكر الله يجعل القلب مطمئناً

وعندما يعلم المسلم أن الله أنعم عليه بالسمع والبصر والفؤاد، وأنعم عليه بالزوجة عندما يعلم المسلم ذلك ويوقن به يعظِّم الله تعالى ويحبه ويحمده تعالى ويرجوه أن يستمر في تسخيره هذه النعم التي يستمتع بها.

وعندما يعلم المسلم أن الله تعالى سخَّر له الليل والنهار والشمس والقمر وسخَّر له البحار التي تجري السفن فوقها ويستخرج اللحم الطري من داخلها، وسخَّر له الأرض التي تخرج النبات والزرع الذي يأكل منه ويستفيد منه، عندما يسعر بكل ذلك يعظِّم الله لأنه خلق هذه المخلوقات العظيمة، ويحب الله تعالى لأنه سخرها له يستفيد منها ويستمتع بها، ويرجوه تعالى أن يستمر هذا التسخير.

ج ـ أركان الإيمان الأخرى

وكذلك الحديث عن بقية الإيمان: بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر، فقد كان للقرآن طريقة خاصة في تناولها ونهج خاص في عرضها وإبرازها، وقد أدى هذا الأسلوب الخاص في تناولها إلى إغناء البناء النفسي للمسلم، وأبرز معالم هذا التناول الخاص عرض هذه العناصر من خلال وقائع تدل على قدرة الله تعالى وعلمه ورحمته وقوته.

وبالنسبة للملائكة قد بين الله تعالى أنه خلقهم من نور وأن بعضهم يحف العرش مسبحاً بحمد الله تعالى، وأنهم يتعاقبون في

شهود صلاة المؤمنين وأنهم يشهدون صلاة الجمعة، وأن منهم مالكاً خازن النار، وأن منهم ملك الموت الموكل بقبض أرواح العباد، وأنهم يحفظون الناس بأمر الله، وأنهم يصلون على المؤمنين، وأنهم أغاثوا المسلمين في معركة بدر ... إلخ.وقد وردت آيات كريمة وأحاديث في كل المعاني السابقة، فعندما يعلم المسلم تلك الوقائع عن الملائكة ويوقن بها، فإنه يعظم الله لأنه خلق مخلوقات من نور لا تقع تحت بصره، عظيمة في قدرها، وفي المهام التي تؤديها مثل حمل العرش، وقبض الأرواح، والنزول بوحي الله، والنفخ في الصور يوم القيامة، وكتابة حسنات الناس وسيئاتهم، وكذلك يحب الملائكة لأنهم يبشرون المؤمنين ويستغفرون لهم، ويشهدون صلواتهم، وكذلك يحب الله الذي سخّر الملائكة التي تقف أمامه وخلفه وعلى جنبه لتحفظه من كل ما يضره.

وأما بالنسبة للركن الثالث من أركان الإيمان وهو الإيمان بالكتب فقد أخبرتنا الأحاديث الشريفة أن الله أنزل أربعة وعشرين ومئة كتاب، وقد ذكر القرآن منها: الصحف على إبراهيم، والتوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمد، صلوات الله عليهم جميعاً وقد امتدح القرآن هذه الكتب في أكثر من آية، وقد وصف الله تعالى القرآن بأحسن الصفات، وبيَّن آثاره العظيمة من هداية ونور، وليس من شك بأن الإيمان بالكتب بالصورة التي يعرضها القرآن والسنة الشريفة يجعل المسلم يعظِّم الله تعالى ويحبه لأنه أنزل الكتب التي أرشدت البشر إلى الخير في دنياهم وأخرتهم، كما تجعل المسلم يحب كتب الله لأنها مثلت منارات في ظلمات الطريق وبؤرة إشعاع في دياجير الضلال.

وبالنسبة للركن الرابع وهو الإيمان بالرسل فإن الله أخبرنا بأنه بعث أنبياء ورسلاً إلى مختلف الأقوام والشعوب، كما قصَّ علينا القرآن الكريم والسنة النبوية تفاصيل كثيرة عن حياتهم، ودعوتهم، ومعجزاتهم، وصراعهم مع أقوامهم، وعن اضطهاد المؤمنين لهم، ثم إنجاء الله لهم، وإهلاك المكذبين لهم والكافرين بهم، ولم تخل سورة تقريباً من حديث عن نبي أو أكثر.



ليس من شك بأن الركن الرابع له دوره في البناء النفسي بالصورة التي عرضته مصادر الإسلام ويتجلى ذلك بحب الله وتعظيمه لإرساله الرسل الذين مثلوا القدوة الحسنة للبشرية في سلوكهم وتصرفاتهم، كما يبعث الإيمان بالرسل والأنبياء الأمل في الانتصار، لأن الانتصار كان نهاية صراعاتهم مع الباطل، كما يعمق الإحساس بالانتماء ويطرد الإحساس بالغربة لأنه يسير على خطاهم، ويهتدي بهديهم.

أما بالنسبة للركن الخامس وهو الإيمان باليوم الآخر فإن القرآن والسنة حويا كثيراً من التفصيلات عن اليوم الآخر بدءاً من سكرات الموت إلى الدخول في القبر إلى البعث مرة ثانية والدخول في عالم الحشر ثم الانتهاء إلى نعيم الجنة أو عذاب النار، ليس من شك بأن هذه التفصيلات عن اليوم الآخر المقصود منها أن يوجه المسلم طاقة الخوف عنده إلى الخوف من نار الله تعالى، وأن يوجه طاقة الرجاء عنده إلى جنة الله تعالى.

أما بالنسبة للركن السادس (٢) فهو الإيمان بقضاء الله وقدره، وأن كل ما يحدث إنما هو بعلم الله تعالى وقدرته، وأنه مسجل ومكتوب في اللوح قبل أن يقع له وقبل أن يخلق الله السماوات والأرض، فليس من شك بأن هذا الإيمان بهذه الصورة يسهم في بناء الثقة في الله تعالى.

٢ ـ دور العقيدة في البناء النفسي للمسلم حسب كتاب «جوهرة التوحيد» للباجوري.

كيف عرض الباجوري في كتابه «شرح جوهرة التوحيد» «العقيدة الإسلامية»؟، علماً بأنه من أكثر الكتب شيوعاً واعتماداً للتدريس في العصور المتأخرة، وكيف تناول أركان الإيمان؟

تحدث كتاب شرح الجوهر عن الله من خلال إشكالية مستحدثة لم تعرفها مصادر الشرع الإسلامي وهي وجود الله، فطرح

السؤال التالي: ما الدليل على وجود الله؟ ويجيب على هذا السؤال فيقول: «إن أجاب هذا العالم بشكل مجمل دون التفصيل المعتبر عند المناطقة فقد جاء بالدليل الجملي، وإن فصَّل الجواب حسب ما يريده المناطقة فقد جاء بالدليل التفصيلي»(٣) ويقتضي الدليل التفصيلي أن يتكلم الباجوري عن العدم والوجود وأقسام الحكم العقلي: الواجب والجائز والمستحيل لينتهي أن الله واجب الوجود، ويعتبر الباجوري أن من لا يعرف وجود الله بهذه المقدمات والدلائل مؤمناً عاصياً إن قدر على النظر، وكافراً في رأي آخر كما ينقل عن السنوسي(٤).

ثم يبين الباجوري أن الواجب على المكلف أن يعرف عشرين صفة لله تعالى بأدلتها العقلية والنقلية والعادية بعد أن يعرف كل دليل منها(٥). ثم يتحدث عن هذه الصفات فيقسمها إلى ثبوتية وسلبية(٦)، ويعرف كلاً من الثبوتية والسلبية فيقول: «الثبوتية ما يدل على نفس الذات وهي الوجود، ومنها ما يدل على معنى زائد عن الذات وهي صفات المعاني والمعنوية، وكلا هي أربع عشرة»، ويبين أن السلبية تبلغ خمس صفات فقط، ثم يدلل على واجب الوجود ببطلان التسلسل والدور، ثم يتحدث عن الصفات السلبية وهي: المخالفة للحوادث التي يلحقها القدم، وقيامه بالنفس والمقصود: عدم افتقاره تعالى إلى المحل والمخصص، والوحدانية التي تعني: وحدانية الذات والصفات والأفعال.

ثم ينتقل إلى صفات المعنى فيذكر صفة القدرة ويشير إلى تعلقاتها السبع ويتحدث عن صفة الإرادة ويذكر أن لها تعلقاً صلوحياً قديماً بمعنى صلوحها في الأزل للإيجاد والإعدام، وأن لها تعلقاً تنجيزياً قديماً بمعنى الإيجاد والإعدام بالفعل، ثم يتحدث عن صفة العلم فيوجبها لله تعالى، وتعلق العلم تعلّق تنجيزي قديم، ثم يقرر صفتي الحياة والكلام لله تعالى، ويتبع ذلك بالكلام عن صفتي السمع والبصر، ويقرر أن لهما ثلاثة تعلقات: صلوحياً قديماً، وتنجيزياً قديماً، وتنجيزياً حادثاً، ثم يقرر صفة الإدراك وينقل الاختلاف في شأنها، ثم ينتقل إلى الحديث عن الصفات المعنوية وهي: حي، عليم، قادر، مريد، سميع، بصير، متكلِّم، ويوضح الفرق بين صفات المعاني والمعنوية: أن المعاني صفات وجودية، والمعنوية ثبوتية بمعنى أنها عبارة عن قيام المعنى بالذات، وأن المعاني ملزومة للمعنوية عقلاً، والمعنوية لازمة للمعاني بمعنى أنه يلزم من كونها قادراً أنه موصوف بالقدرة. ثم يتحدث عن علاقة صفات الذات بالذات فيقرر أنها ليست بعين الذات ولا غيرها.

وهناك شيء آخر نجد أنه مستحدث ومقرر في كتاب الباجوري وهو التأويل(٧)، ونجد أن كثيراً من صفات الله وأفعاله أو معظمها خضعت لقانون التأويل، وليس من شك بأن النتيجة المباشرة لمثل هذه العملية هو انعدام التأثير النفسي لكثير من أفعال الله وصفاته.

القرآن والسنة حويا كثيراً من التفصيلات عن اليوم الآخر بدءاً من سكرات الموت إلى الدخول في القبر إلى البعث مرة ثانية والدخول في عالم الحشر ثم الانتهاء إلى نعيم الجنة أو عذاب النار

أما الأركان الأخرى للإيمان فنجد أن الباجوري تحدث عن ركن الرسل فقال: «إن إرسال الرسل فضل من الله وليس واجباً كما ذكر الفلاسفة والمعتزلة، وليس مستحيلاً كما ذهب السمنيّة والبراهمة» ثم بيَّن الصفات التي تجب لهم وقرر عدم اكتساب النبوة وأفضلية محمد - صلى الله عليه وسلم - على جميع الأنبياء، ووضّح تأييد الأنبياء بالمعجزات، واستعرض معجزات محمد صلى الله عليه وسلم في النهاية.

أما الأركان الأخرى للإيمان، فبعضها لم يرد عنه حديث أصلاً: كالملائكة، والكتب، وبعضها الآخر ورد الحديث عن أجزاء منه مثل الإقرار أن هناك ميزاناً وصراطاً وحوضاً في معرض الحديث عن اليوم الآخر.

المقارنة بين الدورين

١ - رأينا أن الحديث عن الله وصفاته في القرآن والسنة من خلال الكون والطبيعة والإنسان يؤدي إلى إغناء البناء النفسي للمسلم، ولكن رأينا الحديث عن الله وصفاته في كتاب الباجوري يأتي بشكل مجرد أو من خلال مشاكل وإشكالات مثارة حول وجود الله وصفاته ما جعل الكتب المتأخرة تفقد أي إسهام في البناء النفسي للمسلم.

٢ - إقرار التأويل في كتاب الباجوري واعتباره الأصل في التعامل مع صفات الله وأفعاله، ضيق مساحة الإسهام في إغناء البناء النفسي للمسلم.

٣ - كان تناول أركان الإيمان الأخرى مثل: الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر في كتاب الباجوري من خلال صورتين:

الأولى: الإشكالات الفكرية الموجودة في المناخ الإسلامي ما سيؤدي إلى انعدام الأثر النفسي لها بالمقارنة مع تناولها في القرآن والسنة.

الثانية: الحديث الجزئي عن هذا الركن مما يقلل الأثر في البناء النفسي.

٤ - لا يوجد أي حديث عن بعض الأركان أحياناً ما يؤدي إلى خسارة البناء رافداً أو أكثر من روافد البناء النفسي.

ثانياً: الفقه

١ - دور العبادات في البناء النفسي حسب الطرح القرآني

ليس من شك بأن العبادات لها ارتباط وثيق بالقلب وبالنفس حتى وإن كانت بدنية، فقد قصد الشارع من فرضها توليد الخشوع والاطمئنان فقال تعالى: (قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون) المؤمنون:١-٢.

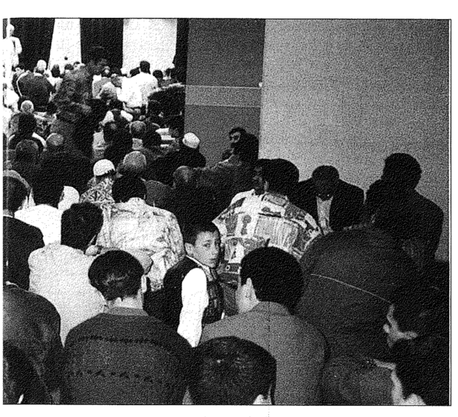
وقد بيَّنت بعض الآيات أن ذكر الله يجعل القلب مطمئناً فقال تعالى: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد:٢٨.

وقد بيَّنت آيات سورة المعارج أن الإنسان يكون في خوف دائم وفي بخل مستمر وتستثني الآيات من ذلك المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون قال تعالى: (إن الإنسان خلق هلوعاً. إذا مسّه الشر جزوعاً. وإذا مسّه الخير منوعاً. إلا المصلين. الذين هم على صلاتهم دائمون) المعارج:١٩ ـ ٢٣.

وقد بيَّن الله تعالى أن الصلاة كبيرة وثقيلة إلا على الخاشعين الذين يوقنون بلقاء الله تعالى، ويخافون عذابه، ويرجون جنته فقال تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين. الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) البقرة: ٤٥ ـ ٤٦.

وقد صرَّحت الآية التي أمرت بأخذ الزكاة من المسلمين أن القصد من ذلك هو التوصل إلى تطهير المسلمين وتزكيتهم، والمقصود من ذلك جعلهم يعظّمون الله عوضاً عن المال قال تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهِّرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم) التوبة:١٠٣، وقد صرَّحت الآية التي تحدثت عن الصيام بأن الله فرضه من أجل توليد التقوى قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة:١٨٣، وقد صرَّحت بعض الآيات أن الهدف من أحد أعمال الحج وهو ذبح الهدي توليد التقوى والخوف في قلوب العباد من الله، لأن الله لن يصل إليه شيء من لحوم الأضاحي ودمائها ولكن تصله التقوى التي تتمثل في الخوف منه تعالى، وفي الحرص على تنفيذ أمره قال تعالى: (والبُدْنَ جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صَوَافَّ فإذا وَجَبَت جُنُوبُها فكلوا منها وأطعموا القانع والمُعْتَر كذلك سخّرنها لكم لعلكم تشكرون. لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخَّرها لكم لتكبِّروا الله على ما هداكم وبشّر المحسنين) الحج:٣٦ ـ ٣٧.

ووصف الله الذين أوتوا العلم بالخشوع عندما يسمعون كلام الله يُتلى عليهم فقال تعالى: (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يُتلى عليهم يخرّون للأذقان سجداً. ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً. ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً) الإسراء: ١٠٧: ١٠٩.



إذاً توليد الخشوع والاطمئنان هدف رئيس من أهداف جميع العبادات حسب الطرح القرآني.

٢ ـ دور العبادات في البناء النفسي حسب طرح كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة»:

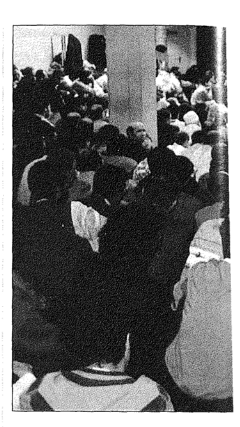
ليس من شك بأن الركوع والسجود مظهران رئيسان من مظاهر خضوع العبد المسلم لربه، ونستطيع أن نقول: إنهما قمتان من قمم عبادة المسلم لربه، ولنرى ماذا ذكر عنهما كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، ذكر الكتاب: «الحنفية، قالوا يحصل الركوع بطأطأة الرأس، بأن ينحني انحناءً يكون إلى حال الركوع أقرب، فلو فعل ذلك صحت صلاته، ثم بإكمال الركوع فهو انحناء الصلب حتى يستوي الرأس بالعجز، وهذا في ركوع القائم، أما القاعد فركوعه يحصل بطأطأة الرأس مع انحناء الظهر، ولا يكون كاملاً إلا إذا حاذت جبهته قدام ركبتيه»(٨)

وذكر الكتاب عن السجود: «قالوا: حد السجود المفروض هو أن يضع جزءاً، ولو قليلاً من جبهته على ما يصح السجود عليه، أما وضع جزء من الأنف فقط فإنه لا يكفي إلا لعذر على الراجح، أما وضع الخد أو الذقن فإنه لا يكفي مطلقاً لا لعذر ولا لغير عذر ولابد من وضع إحدى اليدين وإحدى الركبتين وشيء من أطراف إحدى القدمين، ولو كان إصبعاً واحداً على ما يصح السجود عليه، وأما وضع أكثر الجبهة فإنه واجب، ويتحقق السجود الكامل بوضع جميع اليدين والركبتين وأطراف القدمين والجبهة والأنف».(٩)

نلحظ من خلال الكلام السابق تركيز الكتاب على صورتي الركوع والسجود، ومظهرهما، ورسمهما، ونلحظ إغفاله للحديث عن عقلهما ووعيهما وعن الخشوع لله وتعظيمه الذي يجب أن يرافقهما والذي هو الهدف من فرضهما.

٣ ـ مقارنة الدورين

نجد بَوْناً شاسعاً فيما استهدفه القرآن من فرض العبادات وبين ما تحدث عنه كتاب الفقه على المذاهب الأربعة عن العبادات نفسها، فنجد أن الهدف من جميع العبادات حسب الطرح القرآني توليد أمور معنوية مثل



الخشوع والتقوى والتطهر، لكننا لا نجد لذلك أثراً في كتاب الفقه الذي يتحدث عن مظهرين من مظاهر العبادة وهما الركوع والسجود، بل نجد تركيزاً على صورة العبادة، ورسمها، وإطارها الخارجي، ولا نجد أي تركيز يذكر على عقل الصلاة الذي هو الخطوة الأولى لتوليد الخشوع، ولا نجد كذلك ذكراً للأمور المعنوية الأخرى التي تتولد عن أعمال الركوع والسجود مثل: التعظيم، والرجاء، والتقوى، والإنابة، والإخبات... إلخ، ناهيك عن الحديث عن تبيان الأهمية الشرعية للخشوع مثلاً وتوضيح كيفية زيادته، والعوامل التي تؤدي إلى نقصانه في الصلاة... إلخ، وليس هذا فحسب، لكننا نجد على النقيض من هذا تقليلاً لقيمة أي توجيهات مباشرة وصريحة في هذا المجال فنجد أن الأمر الواضح بالاطمئنان من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذي ورد في حديث المسيء صلاته يتحرَّف ليصبح ليس فرضاً أولاً، وليتحول تحديد الاطمئنان بالعمل الجسمي وليس بالحال النفسية، ثانياً كما هو واضح من أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالاطمئنان في الحديث المذكور الذي جاء فيه: «دخل رجل المسجد فصلى ثم جاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فردّ عليه السلام وقال: ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ، فرجع، ففعل ذلك ثلاث مرات، قال فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلّمني، فقال: إذا قمت إلى الصلاة فكبِّر ثم اقرأ ما تيسَّر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» رواه أحمد والبخاري ومسلم.

وقد جاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ما يلي:

«الفرض السابع: الرفع من الركوع، الثامن: الرفع من السجود، التاسع: الاعتدال، العاشر: الطمأنينة، هذه الفرائض الأربعة متصلة ببعضها بعضاً، وقد اتفق على فرضيتها ثلاثة من الأئمة، وخالف الحنفية في فرضيتها، بل قالوا: إن الرفع من الركوع والطمأنينة من واجبات الصلاة لا من فرائضها، بحيث لو تركها المصلي لا تبطل صلاته، ولكنه يأثم إثماً صغيراً، كما تقدم بيانه غير مرة»(١٠).

«الحنفية: قالوا: الطمأنينة: وهي تسكين الجوارح حتى تطمئن المفاصل، ويستوي كل عضو في مقره بقدر تسبيحة على الأقل، واجبة في الركوع والسجود، وكذلك في كل ركن قائم بنفسه».

«المالكية: وأما الطمأنينة فهي ركن مستقل في جميع أركان الصلاة، وحدّها استقرار الأعضاء زمناً زيادة على كل ما يحصل به الواجب من الاعتدال والانحناء، وكل ذلك لازم لابد منه في الصلاة عندهم»(١١).

النتيجة التي يمكن أن نقررها من هذه المقارنة أن الفقه ذهب بعيداً فركَّز على صورة العبادة ومظهرها، ورسمها، وأغفل الحديث عن الجانب النفسي الذي يجب أن يرافقها والذي هو المقصود من فرضها، والهدف من تشريعها كما وضّح القرآن الكريم(١٢)، ليس من شك بأن هذا التوجه جعل الفقه بصورته التي انتهى إليها يسهم في الإفقار النفسي للمسلم(١٣)، في حين أنه يفترض أن يكون عاملاً في الإغناء النفسي للمسلم.

الخلاصة: إن الصورة التي انتهت إليها كتب العقيدة والفقه كانت عاملاً رئيساً من عوامل توليد أزمة المسلم المعاصر النفسية، ومن أجل تجاوز هذه الأزمة لابد من إعادة عرض العقيدة والفقه بالصورة التي تعيد إغناء نفسية المسلم ملاحظين العوامل التي أدت إلى هذا الإفقار ●

الهوامش

١ ـ منها: أزمة العقل المسلم للدكتور عبدالحميد أبو سليمان، تشكيل العقل المسلم عماد الدين خليل، ومنها كتابا محمد عابد الجابري: نقد تكوين العقل العربي، وبنية العقل العربي.

٢ ـ انظر تفصيلات عن بناء أركان الإيمان الستة لنفسية المسلم في كتابي «جذور أزمة المسلم المعاصر: الجانب النفسي» الصفحات: ٥٧ ـ ١٠٠.

٣ ـ الباجوري، شرح جوهرة التوحيد ص٣٢.

الباجوري هو الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، شيخ الجامع الأزهر من فقهاء الشافعية نسبة إلى «الباجور» من قرية المنوفية بمصر، وهو شارح «جوهرة التوحيد»، وهذا الشرح من أكثر كتب العقائد شيوعاً وتدريساً ولهذا اخترته حتى يكون أساس المقارنة.

٤ ـ المرجع السابق ص ٣٧.

٥ ـ المرجع السابق ص ٤٣.

٦ ـ المرجع السابق ص ٧٠.

٧ ـ المرجع السابق ص ١٤٩.

٨ ـ الفقه على المذاهب الأربعة ج١ ص٢٣١.

٩ ـ المرجع السابق ج١ ص ٢٣٢.

١٠ ـ المرجع السابق ج١ ص٢٣٤.

١١ ـ المرجع السابق ج١ ص٢٣٤

١٢ ـ إن هذا الإغفال للجانب النفسي المعنوي كان النافذة التي دخل التصوف منها على الأمة الإسلامية، وخير دليل على ذلك كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي الذي أوهمها بأنه يلبي حاجتها تلك.

١٣ ـ هناك علماء لاحظوا هذا الخلل، وزاوجوا في تقديمهم الذي عرضوه بين صورة العبادة وحقيقتها وأبرزهم أحمد بن حنبل وابن القيم الجوزية في رسالتيهما حول الصلاة.

بقلم: إبراهيم نويري . جزائري

دور الثقافة الذاتية في بناء عالم المسلمين الثقافي



اعتقد من خلال قراءات مختلفة وتأملات متواصلة، أن هناك إجماعاً كاملاً بين أصحاب الشأن والاعتبار في عالم المعرفة وشؤون الفكر والرأي والتحليل، على أن التخلف الحضاري بمفهومه الشامل، إنما هو نتيجة موضوعية لجملة من الأسباب المتراكمة المعقدة، وأن الدوائر التي تتشكل من نسيجها العام هذه المعادلة ينبغي أن تخضع باستمرار للفحص الفكري والتنظير الهادئ المتزن، كما توضع بعض الجراثيم الفتاكة داخل المختبر للمراقبة، وتحت المجاهر الطبية المتخصصة الدقيقة.

ولعلنا لا نغالي في قليل أو كثير إذا قلنا: إن حجر الأساس المتفق عليه وعلى خطورة شأنه في هذا المضمار، مسألة الذات وانتماءاتها الفكرية والثقافية والحضارية... فمما لاريب فيه مطلقاً أن العامل الأول والفاعل الحيوي الذي يسوق إلى تأخير الأمم والشعوب ويؤدي بالضرورة إلى التبعية وإلى تدهورها الفكري والاقتصادي والاجتماعي والسياسي والحضاري والإنساني... إنما هو إنكارها لذاتها، وعدم معرفتها لتاريخها وجهلها برجالها وعظمائها... ولاشك أيضاً أن هذا الانفصام السرطاني المدمر إذا ما حدث في كيان أمة ما فإنه يباعد بين خلفها وسلفها، وبين حاضرها وماضيها، وبين ما هو ثابت، وما هو متطور في نظمها ومنظوماتها المختلفة. وبكلمة واحدة فإن أي أمة اكتسح هذا المرض العضال جسدها، فهو لا محالة سيعصف بمراكز القوة والحيوية، والعنفوان في أعماقها، ومن ثمَّة يرديها كياناً هامداً لا روح فيه ولا حياة، وما ذلك إلا لكون الموروث العقدي والثقافة الذاتية فقدا صلتهما العضوية الحية داخل هذا الكيان.

من هنا رأينا الأمم الكبيرة والشعوب النابهة في كل وقت وحين، تحافظ على جذورها الحضارية وتنطلق من القسمات المحددة لهويتها وشخصيتها المميزة في كل ما تأتيه من عمل وما تقوم به من إنجازات أو تحققه من مكاسب... لقد وعت الأمم المتقدمة والشعوب المثقفة الجادة هذه الحقيقة الرائعة، والبسيطة في الوقت ذاته، فتمهدت أمامها أسباب الازدهار، وانداحت لها أساليب النهوض والترقي، وليس أدل على كون هذه الحقيقة الرائعة البسيطة هي سر كل تقدم أو بناء وتغيير إيجابي فاعل، أن أي حركة استعمارية تتمكن من السيطرة على أي مكان مقهور أو بلد مستضعف هنا أو هناك إلا نراها تشرع في تنفيذ وتطبيق برنامج التبديل الثقافي وتغيير الخلفية الفكرية التي تتحكم في مقومات شخصية المجتمع وهويته العقدية والحضارية، ومن جهة أخرى فإن هذه الخلفية العقلية والنفسية والوجدانية هي التي أعيت المشرفين والقائمين على برامج ومحاولات غرس الكثير من المناهج الاقتصادية والتنموية والبنائية ونحوها في بيئات ومناخات غريبة عنها، لأن تلك المناهج وليدة نفسية وعقلية متمايزة في بنيتها التكوينية وخصوصياتها العامة الفكرية والعقدية منها خاصة، عن النفسية والعقلية السائدة في تلك البيئات التي يُراد تغييرها وتحويلها وتنفيذ تلك البرامج على ربوعها.

هذه القضية المهمة، والمركزية أيضاً في برامج التنمية والإقلاع الحضاري، تحاول الدوائر الاستعمارية وأجهزة الرصد المعادية للآخر المتمايز عنها فكرياً وحضارياً ـ ولاسيما إذا كان هذا الآخر يتمثل في العرب والمسلمين ـ إخفاءها وحجبها عن الوعي الجمعي، ومراكز التأثير والقرار في الأمة، أو التهوين من شأنها وجدواها في أضعف الأحوال والمواقف، بيد أنه وبالرغم من ذلك الكيد والتعتيم المقصود المدروس فإن هذه المسألة مع إطارها الفكري النظري، أضحت اليوم تأخذ حيزاً محترماً من الاهتمام والعناية داخل أدبيات الفكر الإسلامي المعاصر وأطاريح الثقافة العربية المعاصرة، وبخاصة بعد أن صارت قناعة مركوزة راسخة لدى قطاع عريض من علماء هذه الأمة ومفكريها وخبرائها.

ونحسب أن المفكر الإسلامي الجزائري الكبير مالك بن نبي هو أحد الرواد الذين أسهموا ـ ضمن نتاجهم الفكري والمعرفي ـ في جهود التشديد على أهمية وقيمة الثقافة الذاتية في عملية التغيير والاستنهاض والتنمية والإقلاع الحضاري، ومحاولات تخطي سدود التخلف والتردي والانحطاط، خصوصاً بالنسبة لوضعية العالم الإسلامي، من منطلق كونه مفكراً مسلماً عاش حياته يفكر في معادلة نهضة الأمة الإسلامية وإمكانية إحياء دورها الريادي المؤثر في نطاق الإسهام الحضاري والإنساني.

وفي سياق الحديث عن البعد الغائب في برامج التنمية التي طُبِّقت في الكثير من أنحاء العالم الإسلامي، وكان مصيرها الفشل الذريع بسبب البعد المغيَّب، نرى ابن نبي في بعض مؤلفاته يستشهد ببرنامج الخبير «شاخت» الذي يسعى في هذا البرنامج الاقتصادي لتنمية إندونيسيا ووضع المجتمع الأندونيسي المسلم على عتبتي الانطلاق الصناعي والحضاري الشاملين.

إن ابن نبي سارع بإلهامه الفكري النافذ إلى تنبيه المهتمين بالشأن التنموي والحضاري، القائمين على مهمات وأد التخلف في بلدانهم، بكون الخلل لم يكن في برنامج «شاخت» بقدر ما كان في طيات المعادلة نفسها، أي في العلاقة النفسية والفكرية بين بواعث البرنامج وبين تركيبة وخصوصية المجتمع الإندونيسي وهكذا ساقت هذه الملاحظة المفصلية في معادلة البناء والتغيير الاجتماعيين، ابن نبي إلى ضبط جزئيات وعناصر نظرية «التماهي المطرد» بين الإنسان

الدوافع الذاتية والاجتماعية للحركة، والمحرضة على الإسهام في العطاء والبناء العام، أو العكس. أي دراسة العوامل التي تجعل من الفرد عنصراً منتجاً فعالاً في مناخ اجتماعي ومؤثرات نفسية وحضارية معينة، بينما يصبح ذاك الفرد نفسه - دون متغيرات ذاتية - عنصراً سلبياً خاملاً غير مسهم أو منتج أو حتى عنصر هدم وإفساد، تحت وقع مؤثرات مناخ اجتماعي آخر له نسق مغاير لنسق مؤسسات المجتمع الأول.

الأمم الكبيرة والشعوب النابهة في كل وقت وحين، تحافظ على جذورها الحضارية وتنطلق من القسمات المحددة لهويتها وشخصيتها المميزة في كل ما تأتيه من عمل وما تقوم به من إنجازات أو تحققه من مكاسب

إن سر الانطلاق الحضاري يستحيل إذاً أن يكون من البساطة إلى درجة أنه يختزل في مجرد اختيار وتركيب بعض جزئيات برامج التنمية، كما هو الحال في عملية تلفيق بعض قطع الغيار، التي نلجأ إليها أحياناً عندما تدفعنا ظروف معينة لذلك، بل هو أعقد وأحكم مما نتصور في الكثير من الحالات والمناسبات. وإذا تم التسليم بأن سر أي انطلاق حضاري أو نهضة فاعلة، هو معادلة صعبة تتجاذب فيها المواقع أرقاماً حسابية عدة، فإن الثقافة الذاتية تمثل دون شك أحد أهم أرقام تلك المعادلة وأكثرها خطورة. إن هذه الثقافة، كما يؤكد المفكر الإسلامي الراحل الشيخ محمد الغزالي - يرحمه الله - «هي التي تصور شخصية الأمة وملامحها الفكرية والنفسية، وتشرح عقائدها التي تنطلق منها، وأهدافها التي تنطلق إليها، وتقاليدها وأخلاقها وشرائعها بدءاً من الأسرة إلى علائقها الدولية، إن هذه الثقافة الذاتية هي إكسير الحياة للأمة، والمجدد الدائم لطاقاتها الأدبية والمادية، ومن هنا اتجه الاستعمار العالمي إلى ضرب هذه الثقافة وتوهين معاهدها، فإما أجهز عليها وإما شلّ حركاتها وأبقاها صورة هامدة أو اسماً بلا مضمون».

وفي هذه العقود الأولى للقرن الخامس عشر الهجري بدأ مفكرون وساسة ومؤسسات فكرية لها وزنها وثقلها في العالم الإسلامي، يولون هذه المسألة بعض الاهتمام والعناية، وهو مسلك يشير إلى وجود صحوة فكرية محترمة في أعماق الضمير الجمعي للأمة الإسلامية، ولا يمكن الجزم في هذا المضمار بأن الرجّة التي أحدثتها هيمنة الحضارة الغربية واستفزازها الثقافي النمطي المتعطش للصراع - لا إلى التدافع - هي السبب الوحيد لتبلور هذه الصحوة وظهور بعض آثارها وانعكاساتها في نطاق أصعدة وأطر كثيرة مختلفة.

بكل موضوعية ونزاهة في التعامل مع الأفكار وحقائق الصيرورة التاريخية، أجدني لا أنكر، بل لا استهين بأثر القهر الحضاري الغربي على مستوى ردود الفعل والحركة داخل مؤسسات الأمة الإسلامية المختلفة الاجتماعية والفكرية وغيرها، وانعكاسات هذه الدوائر والحلقات المتفاعلة المتوترة، على انبثاق وبروز إرهاصات الصحوة الذاتية في كيان أمتنا، ثم تبلورها - في مرحلة لاحقة - من خلال التعابير والمواقف المطردة على شتى الأصعدة.

إن الأمل الذي أضحى يحدونا على طريق العودة إلى الذات ليس نابعاً من فراغ أو مغالطة وغرور، وإنما هو أمل يجيء بعد رحلة مرهقة مضنية من المتاهات الضالة الحائرة التي عاشتها أمتنا في سبيل البحث عن مسالك ومناهج رشيدة تتجاوز بهديها واستنطاق معطياتها، واقعها المتردي الذي كان حصيلة عوامل متشابكة معقدة فعلت فعلها الزمني القاهر في جنبات كيانها.

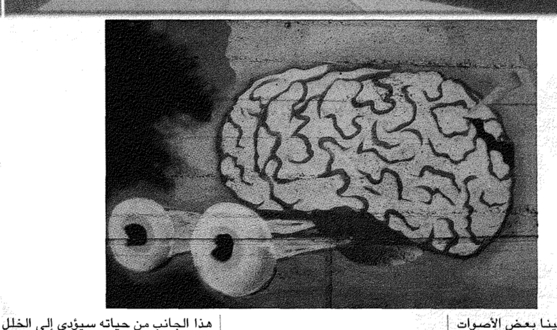
من أجل ذلك كله ينبغي أن ننبه إلى حقيقة المحاولات المتعاقبة التي ما تكاد تختفي أو يضعف أثرها إلا لتكشف عن وجودها القارُّ من جديد وبأساليب أكثر حدة وجرأة ودهاءً، وهي تعمل دون كلل أو تثاؤب من أجل إبعادنا عن منابعنا الحضارية وجذورنا الثقافية.

ولا شك أن المقصد الذي تروم تلك الدوائر ترسيخه في الواقع الماثل، أن يُلقى في روع الأجيال المسلمة المعاصرة واللاحقة وهمٌ كبير مفاده أن النهضة الحقيقية والتنمية النموذجيتين لا يمكن أن تقوما في بلاد العرب والمسلمين، سوى بوساطة الإلحاق والتبعية الشاملة القائمة على قاعدة استلهام ومحاكاة تجربة ونموذج الحضارة الغربية المهيمنة.

ولايخفى أبداً على خبراء الأفكار أو الواعين الحقيقيين من أبناء هذه الأمة خطر مثل هذه الأطاريح المعلّبة، المتضمنة جراثيم سامة لا حصر لها، لأن قاعدة الإسلام وفكريته، في البناء والإنجاز الحضاريين، لم تتنكر يوماً لتجارب الحضارات الأخرى، ولم يُعرف أبداً عن المسلمين الأوائل عبر تاريخهم، وهم يشيدون معالم الحضارة الإسلامية أنهم ضيَّقوا على أنفسهم في الإفادة والأخذ بثمار حضارات الأمم الأخرى، مادامت ضمن دائرة المشترك الإنساني العام، فقد استوعبوا تجارب ومعطيات الآخر الحضاري، وأخضعوها للمعايير الإسلامية الضابطة لمقاصد وأصول حضارتنا... فاصطبغت تلك النتائج بالصبغة الذاتية وحملت اللون الإسلامي للحياة.

إن البون شاسع بين من ينطلقون في بناء وتنمية مجتمعاتهم من قواعد الثقافة الذاتية والانتماء الحضاري الخاص، مع الإفادة من تجارب الآخرين، وبين ما يلغون الأصول منذ البدء، ويعتمدون منهج الإلحاق والذوبان في نموذج الآخر الحضاري، منطلقاً وقاعدة للبناء الاجتماعي والحضاري.

ومن ثمة فإنه يجب علينا - ونحن نتشوق إلى إقلاع حضاري وبناء راشد نابع من ذاتنا وأصولنا - أن نحسم مكونات هذه المعادلة، فإذا تنافست التوجهات المتباينة في الاستيلاء على زمام الأمة وتحديد وجهتها، فلابد حينئذ أن تنهزم جميعاً، وأن ترجح بوصلة الثقافة الذاتية والأصول الثابتة في عملية التوجيه رجحاناً حاسماً مكيناً.... فذلك طريق العالم الإسلامي للتمكين ومعاودة دوره في خدمة الحضارة الإنسانية الراشدة ●



إشكالية العلاقة بين الدين والفن



بقلم:
أ.د. محيي الدين عبدالحليم
أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الأزهر

تخرج علينا بعض الأصوات الغريبة بين حين وآخر تطالب بتحريم الفنون كلها، وتأتي اجتهاداتهم دون سند شرعي، أو منطق عقلي، وهم في هذه الاجتهادات يحملون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فوق ما تحتمل، وينطلقون في مزاعمهم من أن الغناء في كثير من جوانبه هو من بقايا العصر الجاهلي، وفي الحقيقة أن اجتهاداتهم جاءت مجرد ردود أفعال لما يشاهدونه من تجاوزات أحياناً على الشاشة الصغيرة أو الكبيرة، لقد أثاروا الشبهات حول كلِّ الأغاني المعاصرة، والأغاني العاطفية منها بوجه خاص، ورأوها ضرباً من الخلاعة والمجون والاستهتار، والانحطاط بالقيم والمثل والأخلاق والانغماس في اللهو والملذات، إنهم يجهضون جهود العلماء والمفكرين للوصول إلى الأسلوب الأمثل الذي يصلح لتقديم الفن المعقول والترويج المقبول الذي يستهدف وضع صيغة مقبولة تحقق التوازن، وتعكس وسطية الإسلام الذي اهتم بهذا الجانب من الحياة اهتماماً خاصاً ووضعه في إطاره الصحيح.

وفي الحقيقة أن الإنسان بقدر ما يحتاج إلى تغذية جسمية وروحية وذهنية، فإنه يحتاج أيضاً إلى تغذية نفسية، لأن إهمال هذا الجانب من حياته سيؤدي إلى الخلل النفسي أو الركود الفكري، والباحث المدقق إذا نظر إلى الدين الإسلامي بقيمه ومثله العليا، يجد أنه يعمل على الحيلولة دون تعطيل ملكاته أو تدمير ميوله أو دفن مواهبه، ويتحرى إشباع ميوله ورغباته بما لا يؤدي إلى خلل في الوظائف العضوية، وينمي مواهبه بالشكل الذي يعود على الفرد والمجتمع بأعظم النتائج، ولذا فإنه ليس من حق أحد أن ينكر عليه هذا الحق جملة وتفصيلاً، أو يعتبره من ترف الحياة الذي لا لزوم له بدعوى أنه يشغل الإنسان عن عبادة الله، ويلهيه عن التفرغ لإحياء شعائره وأداء فرائضه، مما يرسخ ظاهرة التطرف بصورة واسعة بين قطاع عريض من الشباب الذي يجهل الحكمة الإلهية من وراء خلق الإنسان، فهل يريدون أن يغرق المسلمون في حياة عابسة، فلا ترى في وجوههم إلا التبرُّم والاكتئاب، فهذا مقطب الوجه، وذاك مكشر الأنياب، وتلك عابسة الجبين، والجميع في وجوم قاتل، فهل هذا هو المجتمع المسلم الذي يتطلع هؤلاء إلى إقامته؟

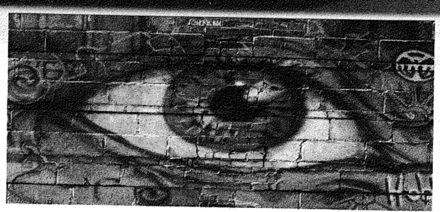
وهل يمكن أن يعيش مجتمع بشري وسط هذه الصور المتشائمة والأشباح المتراكمة؟

إن هؤلاء الذين يعملون وهم مقهورون ومحبطون من غير أن تجد أنفسهم راحتها

اطمئنانها وسعادتها يقل إنتاجهم وتتبلد ذهانهم، لأن المحطمين نفسياً والمنهارين اجتماعياً لا يستطيعون الإسهام في حاضر أممهم ومستقبلها.

لقد أباح الإسلام كلَّ ما يدعم الشخصية الإنسانية من جميع الجوانب العقلية والنفسية والدينية، ومن هنا جاء الاهتمام بالآداب والفنون - كالشعر والغناء، والموسيقا والفروسية -، ولم ينه إلا عن الألوان الضارة من الترويح كالغزل الفاضح، والعلاقات المحرَّمة بين الذكر والأنثى، وشرب الخمر، محققاً بذلك التوازن والملاءمة بين احتياجات الإنسان ومطالبه، فأباح كل ما خلا من الفحش والفساد، واشتمل على الفضائل ومكارم الأخلاق، أي أن الإسلام لا يعارض الترويح المقبول، أو الفن الملتزم الذي يلتزم بثوابت العقيدة ويحقق الإسعاد للجماهير، أو يمنع التخنث والميوعة والفساد، ولا يأخذ منه موقفاً سلبياً، بل يدعو إليه، ويعدّه أحياناً مما يتقرب به العبد إلى ربه، يؤكد ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على قلب المسلم»، والباحث المدقق إذا نظر إلى هذا الدين يجده يحرص كل الحرص على ألا يعطل ملكات الإنسان أو يدمر ميوله لأنه يسعى إلى الاستجابة لفطرته بما لا يخل بالسلوك الإنساني الفاضل، ويتحرى إشباع الميول والرغبات بما لا يؤدي إلى حدوث اختلال في الوظائف العضوية، هذا في الوقت الذي ينمّي مواهبه بالصورة التي تعود عليه وعلى مجتمعه بأعظم النتائج.

وما أكثر الوقائع في حياة النبي التي تؤكد أنه كان يحفل بالترويح مستخدماً في ذلك أساليب شتى، حتى عرف عنه أنه كان يملأ بيته سعادة وسروراً، وسرت تلك الروح بين أصحابه، فكانوا يفرحون ويمرحون، وهذا يدل على اهتمامه بإسعاد الجماهير المسلمة، والارتقاء بالذوق العام دون أن يتعارض ذلك مع مقاصد الشريعة وأهدافها العليا، ولذلك حضّ النبي، صلى الله عليه وسلم، على التغني بالقرآن الكريم قائلاً: «ليس منّا من لم يتغن بالقرآن»، بل إنه كان يسمع الغناء في بيته أيام العيد، وكان صحابته يروون الشعر الغنائي في المسجد الحرام، وينشدونه في الطرقات والمنعطفات في شعاب مكة وضواحيها، بل إن بعضهم كان يرقص طرباً عند سماع هذا النوع الطاهر والراقي والعفيف والهادف من الغناء الدافع إلى مكارم الأخلاق ومحمود الخصال والأفعال.



وقد أحدث الإسلام تحولاً كبيراً في اهتمامات الشعراء فتم استبدال أشعارهم المفيدة والمثمرة بما كان سائداً في الجاهلية من شعر ماجن وقول فاحش وكلام كاذب، أي أن شعراء الإسلام قد بدّلوا القول المأثور عند الجاهلين بأن «أعذب الشعر أكذبه» بقول آخر يؤكد أن «أعذب الشعر أصدقه»، وهو الشعر الذي يعكس الصدق في القول والحكمة في المعنى، والرقة في المبنى، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام»، وأكد أبوبكر الصديق هذا المعنى بقوله: «وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي، فحسنه حسن وقبيحه قبيح»، والمطلوب هنا هو الأخذ بالحسن وترك القبيح الذي يعرض المدح والهجاء في غير محله، والفخر بما لم يفعله الإنسان، والنواح المذموم، والغزل الفاضح المكشوف ليتم استبدال كل ذلك بالغناء المحمود الذي يبعث على البهجة دون انفلات، والذي يسمو بالنفس البشرية إلى مدارج كمالاتها فيرقق القلوب، ويلين العريكة وييسرُ النفوس، ويفرّج الكرب، ولا سيما في المناسبات كالأعياد والأفراح وعند قدوم الغائب، وعند الولادة والعقيقة والوليمة والختان وختم القرآن، ومن ثمَّ فإن الانفعال بالجمال محبوب ومطلوب، والله تعالى «جميل يحب الجمال».

وفي ضوء ذلك فإن الفن الغنائي بصفة عامة ظاهرة بشرية نشأت في أحضان الأديان القديمة شأنه في ذلك شأن الفنون الأخرى، ومن ثمَّ فمن باب أولى أن يتوافق هذا الفن مع التدين الصحيح، وأن ينشط في إطاره، ولا يصطدم معه، وبهذا يلتقي الطرب بالقرآن الكريم مع الطرب بالألحان والأصوات الجميلة، لأن الإسلام لم يحارب الترويح أو يحرِّمه، ولكنه يهذّبه، ويجعل منه ذريعة لتجديد النشاط كلما كلَّ الإنسان أو ضعف، إلا أنه يرفض الغلوَّ في الطاعات، ويحرص على الفن الملتزم باعتباره مطلباً إنسانياً، ووقوداً يدفع عجلة الحياة في الأمة نحو العمل والإنتاج، ويزيل ما يعلق بالنفس البشرية من الهموم والأحزان، فهو كالماء والهواء لايستطيع المرء أن يعيش من دونه، وهو فطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها، ودونه تمل النفس، ويسأم القلب، وتتعطل المواهب.

ومن هنا تأتي أهمية الدور الحيوي الذي يمكن أن تلعبه أجهزة الإعلام الحديثة في هذا الميدان، ذلك أن هذه الأجهزة إذا أسقطت من حسابها هذا الجانب باعتباره ملهاة لا مبرر لها، ومضيعة للجهد والوقت لا فائدة من ورائها، فقد حكمت على نفسها بالموت، وقضت على أسباب وجودها، لأن من مهامها الأساسية إلى جانب الإخبار والتثقيف والتعليم، فإنها لابد أن تؤدي دورها في الترفيه، والترويح عن الجماهير

بقلم: عبدالله بدران

تزكية النفس بين الأمانة والمسؤولية في ضوء الكتاب والسنة



تحت هذا العنوان ناقش الباحث الكويتي عماد دعيج النهابة رسالة الماجستير في جامعة الجنان اللبنانية بطرابلس «لبنان» ونال عليها درجة الامتياز.

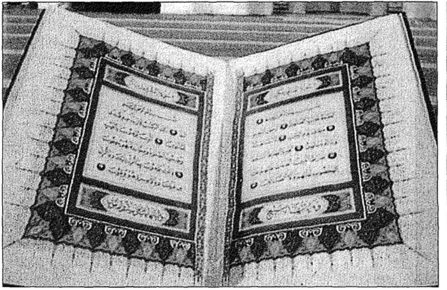
وأوضح الباحث في رسالته التي جاءت في (٥٠٠) صفحة من القطع المتوسط أن سبب اختياره لهذا الموضوع يعود لكونه موضوعاً متعلقاً بالنفس البشرية مع الخالق سبحانه وتعالى، وبين النفس البشرية وسائر البشر من حيث المعاملات والعلاقات اليومية التي يشوبها النقص، وأنه لما كانت النفس تظلم وتطغى وتتطلع إلى ما هو أعلى سواء كان فيه خيراً أو مضرة كان لابد من سلوك معين يقف الإنسان عند مشارفه لتقويم هذه النفس بجميع أنواعها وأقسامها وصورها ويروضها لكي تكون رائدة في ذاتها ومجتمعها.

وذكر أنه من هذا المنطلق تمت المقارنة بين تزكية الإنسان لنفسه والاهتمام بها نحو الرقي والبناء الدنيوي والأخروي، وبين الأمانة التي هي مناط التعامل في العلاقات والمعاملات، والتي ترتكز ارتكازاً كبيراً ووثيقاً على بناء الذات الإنسانية وتزكيتها من الشوائب والخيانات.

وتحدث عن العلاقة بين تزكية الإنسان لنفسه وبين المسؤولية التي هي مناط التعامل الإداري في الحكم والتقرير على الآخرين وضرورة تطلع الإنسان المسلم إلى المسؤولية في جو من التواضع والتجرد وذم النفس وعدم تركها لأصحاب النفوس المريضة والضعيفة.

حلول وضوابط

وقال النهابة في مقدمة رسالته التي أشرف عليها الدكتور أسامة الرفاعي: إن اختياره لهذا الموضوع هدف إلى تحقيق أمور عدة منها :



- إيجاد حلول شرعية مستقاة من الكتاب والسنة تعين الرموز الإسلامية على الأخذ بزمام الأمور ومنابر التأثير.
- تظهر أهمية الموضوع في كونه يدمج بين ثلاثة مفاهيم تتعلق بالفرد والمجتمع.
- يخاطب الموضوع أهل الإيمان الذين آثروا الغمور على الظهور.

حينما نقف أمام أثر العبادات وأسرارها الخفية والجلية نجد أنها المناهج التربوية الصالحة لتربية النفس

- يبين الموضوع أن هناك ضوابط تحد من الإفراط فيه لما لذلك الإفراط من آفات تضر بالفرد والمجتمع.

وبعد أن تعرض الباحث لتفاصيل الرسالة توصل إلى عدد من النتائج والتوصيات والمقترحات أهمها:

- إن التزكية زاد للقادة والجنود والحكام والمحكومين، وأن هذا الزاد يهدف إلى تحقيق مثل عليا وإيجاد سبل راقية للبناء والتأثير.
- إن الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة في الإنسان وإن كانت فطرية جبل عليها إلا أنه إذا فقدها بالإثم والعصيان يستطيع أن يكتسبها بالترويض والتزكية.
- إن النفس الإنسانية هي موضع الوحي «كتاباً وسنَّة» والمخاطب به، وما إرسال الرسل إلا لتهذيب النفس وتزكيتها وهدايتها إلى طريق الحق والخير والصلاح وتحذيرها من الوقوع في الضلال وطرق الفساد.
- إن التصوير القرآني لمراحل النفس

تصنيفها يوضح للإنسان حقيقة النفس.

- إن للنفس أمراضاً باطنية وظاهرية وقف الإسلام منها موقف المعالج وأوضح كيفية التخلص والوقاية منها.

مدرسة العبادة

وقال الباحث: إن العبادة مدرسة، ولها أثر بالغ في تربية النفس، كما أنها حصن لها إذا دارت النفس في فلكها «فحينما نقف أمام أثر هذه العبادات وأسرارها الخفية والجلية نجد أنها المناهج التربوية الصالحة لتربية النفس، فالصلاة سياج يقي المؤمن من الوقوع في المخالفات والعصيان، والصيام يربي الوجدان والضمير الحي والإرادة القوية التي تعصم الإنسان من الانقياد لرغباته وشهواته، والزكاة شاهد صدق على قوة الإيمان والعطاء، والحج ترفع عن التكبر ومظاهر الاستعلاء».

وذكر أن العمل الوظيفي الذي يزاوله الإنسان جزء من الأمانة التي كلف بحفظها والمسؤولية التي أمر بأدائها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، وأن الأمانة من خصال الخير التي جبل الإنسان وفطر عليها.

وأوضح النهابه أن المسؤولية تقوم على أسس ثلاثة هي:

١ - الأساس الإيماني: وهو الإيمان بأركان هذا الدين، وهو أثبت الأسس وأقواها لأنه يثبت المفاصلة بين أهل الإيمان وأهل الكفر، كما أنه مناط الجزاء والعقاب والمطالبة والمحاسبة ومنبع الأوامر والنواهي الإلهية.

٢ - الأساس العقلي: وهو القدرة على فهم الخطاب وأدائه.

٣ - الأساس الدعوي: وهو الترجمة الحقيقية والواضحة للإيمان والفهم والقيام بالتكاليف.

أربعة أبواب

جاءت رسالة «تزكية النفس بين الأمانة والمسؤولية في ضوء الكتاب والسنَّة» في أربعة أبواب رئيسة تضمن كل منها عدداً من الفصول، وألحق الباحث في نهايتها عدداً من الفهارس العلمية.

وحمل الباب الأول عنوان «تزكية النفس» وضم فصلين تناول في الأول «التزكية والنفس» وفي الثاني «أمراض النفس الواردة في القرآن الكريم».

وشمل الفصل الأول مبحثين، جاء الأول بعنوان «التزكية» واستعرض فيه التزكية في اللغة والاصطلاح وفي القرآن الكريم والسنَّة النبوية، فيما جاء المبحث الثاني بعنوان «النفس» وتناول فيه النفس في اللغة والاصطلاح، والنفس في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأنواع النفس في القرآن الكريم.

واستعرض الباحث في الفصل الثاني من هذا الباب ثلاثة مباحث هي:

- الأمراض الباطنية للنفس.
- الأمراض الظاهرية للنفس.

للنفس أمراضاً باطنية وظاهرية وقف الإسلام منها موقف المعالج وأوضح كيفية التخلص والوقاية منها

- طرق معرفة أمراض النفوس.

وجاء الباب الثاني بعنوان: «التربية العلاجية والعملية للنفس» وضم فصلين جاء أولهما بعنوان «معالم تزكية النفس وثمراتها» والثاني بعنوان: «صور من التزكية المباركة».

الأمانة والمسؤولية

وتناول الباحث في الباب الثالث مفهومي «الأمانة والمسؤولية» فخصص الفصل الأول للمفهوم الأول، والفصل الثاني لنماذج من الأمناء، والثالث لمفهوم المسؤولية.

وجاء الفصل الأول بعنوان «مفهوم الأمانة» وتضمن مبحثان عرَّف في الأول مفهوم الأمانة وشرح في الثاني موقف الإسلام من الأمانة في حين عرض في الفصل الثاني ثلاثة مباحث تناولت أمانة الرسل عليهم السلام كما تناولها القرآن الكريم، وخُلُق الأمانة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقصص من الأمناء.

وحمل الفصل الثالث عنوان «المسؤولية» وجاء في أربعة مباحث تناولت المسؤولية في اللغة والاصطلاح، والأهلية، والمسؤولية في القرآن والسنة.

أما الفصل الرابع فقد جاء بعنوان «شمولية المسؤولية» وضم مبحثين تناول الباحث فيهما مناطق المسؤولية وأنواعها وشمولها، وأسس المسؤولية في القرآن الكريم.

وعنون الباحث الباب الرابع بـ«المدح والثناء» وضم فصلين رئيسين تناول الأول «تزكية النفس بمعنى مدحها» مستعرضاً من خلال ثلاثة مباحث موضوعات عدة منا المدح لغة واصطلاحاً، وأحكام متعلقة بالمدح، ومدح الله سبحانه وتعالى، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ومدح عموم البشر، وتزكية الإنسان لنفسه، وتزكية الآخرين له، ومدح الإنسان بعد مماته.

وجاء الفصل الثاني بعنوان «ضوابط المدح وآفاته» واستعرض فيه من خلال مبحثين ضوابط المدح والآفات الواقعة على المادح والآفات الواقعة على الممدوح.

رسائل وأطاريح

- «الإسرائيليات في تفسير الزهراوين» أطروحة دكتوراه قدمها الطالب محمد فتحي راشد الحريري إلى كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بإشراف الدكتور محمد الزحيلي.

- «الفتوى: نشأتها وتطورها وأصولها وتطبيقاتها» أطروحة دكتوراه قدمها الطالب حسين الملاح إلى كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بإشراف الدكتور كامل موسى.

«التربية الجمالية في القرآن والسنة والفكر الإنساني» رسالة ماجستير قدمتها الطالبة مها محمد العلي إلى كلية الشريعة بجامعة الكويت، بإشراف الدكتور الأحمدي أبو النور.

- «نظرية جديدة لتفسير التخطيط والتصميم الهندسي لقبة الصخرة... الفكر التخطيطي الهندسي الإسلامي في الفترة الإسلامية المبكرة» رسالة ماجستير قدمها الطالب هيثم الرطروط إلى جامعة القدس في فلسطين ●



البيت القديم المهجور

بقلم:
د. طارق البكري
E-Mail: docbakri@yahoo.com

تنحَّت جانباً خلف عمود يرفع على هامته سقفاً تزيِّنه خيوط عنكبوتية، بعضها اهترأ من مرور السنين، وأخرى حديثة جداً لم يكمل صاحبهانشر أوصالها... شعَّ في عينيها بريقٌ خافت مسكون بأحلام الماضي بعد غياب طويل اقتضته ظروف قاسية لم تمح آثارها بعد.

تنهَّدت خلف زجاج المنزل المكسور والمكسوِّ بغلالة ناعمة من الغبار السَّاكن في هذا البهو الواسع الممتد، واهتزت أصابعها وهي تحاول الإمساك بمقبض الباب فأصابها ارتعاش ينبض بتلك الأيام المحمَّلة بالألم والملونة بالدماء.

أشاحت عينيها لوهلة، واستجمعت كل قواها الخائرة، وعندما همَّت بالدخول تفرست بعلامة قديمة كانت قد حفرتها بمفتاح قديم قبل أكثر من ٤٠ سنة، فزعت، ولم تقوَ قدماها الثقيلتان على الانتقال ولو خطوة واحدة للدوس على تراب المكان، حسبته شيئاً شريفاً لا ينبغي مسه لسكناه في مكان عزيز عليها... وربما كان اعتداء على حرمة المكان المحفور في الذاكرة مثل نقش على صخر مصقول.

عادت بها الذاكرة إلى أيام الطفولة، لاتزال تذكر بعض الكلمات العربية، أمها المسكينة رفضت الانصياع لأمر إخلاء المنزل، ظلَّت معسكرة فيه حتى ماتت من الجوع.. خرجت الطفلة تبكي لتجد نفسها بعد ذلك في بلاد بعيدة.. تعيش في أسرة طيبة عوَّضتها فقدانها للأم والأب ولم تعوض الدين والوطن والقيم..

وقفت مذعورة أمام المشاهد الترابية مثل خيالات تتراقص حول أعمدة متهالكة، وعادت الذاكرة إلى الماضي، يوم كانت طفلة تملأ الدار ضجيجاً وتطبيلاً، هناك كانت تضع لعبتها الصغيرة، آه... مازالت تذكر عندما تعثرت قدمها ووقعت على العتبة وسال الدم في أنفها وتلطَّخ ثوب أمها الأخضر وهي تحملها لترضيها وتمسح عن عينيها دموع البكاء.

هنالك... تحت الدرج، كانت تجلس لساعات، تعتبره مكاناً خاصاً... تعتبره ملكها.. لا يجسر أحد على الدنو منه دون إذنها... كان الجميع يحترم اعتبارها... حتى والدها لم يعترض، رغم أنها جعلت المكان مخزناً دائماً لأشيائها «الثمينة».

كانت تعيش حياة رغيدة وسعيدة، فجأة اختفى أبوها، ورأت أمها تبكي... لم تكشف لها سر البكاء، لكن الصغيرة أدركت أن أباها رحل إلى الجنَّة شهيداً بعدما تصدى لعصابات مجرمة أتت من بعيد.. ثم طلبوا من أمِّها إخلاء المنزل لكنها رفضت وتحصَّنت لأيَّام دون طعام، تحمل بندقية قديمة تهدِّد بها من يحاول اقتحام المنزل، وبقي قليل من الطعام تركته لطفلتها... فعاشت الطفلة وماتت الأم بعد أيام من الجوع والعطش.

تذكرت (الطفلة الكبيرة) كل ذلك بعدما قررت العودة إلى وطنها بجواز غربي واسم غربي، إلا أنَّ كل ما هو غربيّ اشتعل في نفسها عندما جاءت ضمن وفد سياحي، كانت تسعى للوصول إلى قريتها البعيدة، تفاجأت أن بيتها القديم لا يزال جاثماً على ربوة عالية، ربما هجره الصهاينة لشدة بساطته ولمكانه البعيد عن المدينة.

واشترت (الطفلة ـ الكبيرة) بيتها من الإدارة المدنية في المنطقة، لم تكشف لأحد سرَّ هذا الشراء... بل إن أحد الصهاينة استهزأ بها وظنّ أنها مغفلة.

لكن... هل تستطيع ولوج المكان والدوس على بساط الغبار؟!

إنه أمر عسير جداً، فهذا الغبار احتضن بلاط الأرض سنوات طويلة، وعايش نسمات الماضي.

قفلت الباب بمفتاح قديم ووضعت لوحة كبيرة عليها اسمها... ليس اسمها الغربي الموجود على جواز السفر... بل اسمها القديم... وتحته عبارة: «هنا استشهد أبي وأمي... وليس لي ذكرى إلا هذا البيت القديم المهجور...» ●

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

العدد (425) محرم 1422هـ

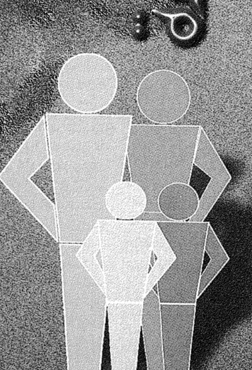
الأسرة المسلمة



كيف نكوّن خلفية الطفل المسلم الحضارية







بقلم: إبراهيم نويري

كيف نكوّن خلفية الطفل المسلم الحضارية

الأسرة المسلمة

أولاً: إن جلَّ الحضارات التي عرفها التاريخ البشري أولت بدرجات متفاوتة عناية واهتماماً ملحوظين بالطفل، واعتبرته مخلوقاً له عالمه الخاص، بمعنى أنه كائن له قابليات واستعدادات معينة، وكذا رؤى وأذواق ومعايير للأشياء التي تحيط به تتناسب وقدارته الفكرية والعقلية.

ويؤكد الأستاذ أحمد سويلم في دراسة له عن أدب الطفل بعنوان «أطفالنا في عيون الشعراء» أن قدماء المصريين كانوا ينظرون إلى الطفل على أنه رجل صغير، له حقوقه وواجباته التي تتناسب وعمره الصغير، وقد أثر شيء من هذا أيضاً عن اليونانيين والرومان والفرس وغيرهم... أما العرب في العصر الجاهلي - قبل الإسلام - فقد كانوا شديدي الرعاية والاهتمام بالطفل، وكانوا يرون فيه صورة لشاعر القبيلة، أو فارس القوم، أو صنديداً من صناديد الديار.

وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم:

إذا بلغ الفطام لنا صبي

تخرُّ الجبابر له ساجدينا

أما الإسلام فإنه يساوي بين الطفل والمستقبل، فالطفل في المنظور الإسلامي هو المستقبل، وهذا حق، فنحن حينما نعدُّ المناهج الدارسية للطفل، ونضع المخططات والبرامج التعليمية والتثقيفية، فإننا - في الواقع - نروم ونتطلع لتحقق صورة محددة المعالم للمستقبل وفق ما نريد ونأمل.

وقد ورد في الآثار النبوية الشريفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان مولعاً بملاعبة الصبيان والعطف عليهم، ويُروى عنه أنه كان يلاعب الحسن ويقول له: «حُزُقَّة حُزُقَّة تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّة»، ويشرح المعجم لفظة «حُزُقَّة» بأنه الضعيف الذي يقارب خَطْوَهُ من ضَعْفٍ، ويُقصد به «الرجل الصغير»، أما ترق: بمعنى أصعد، وعين بقة: كناية عن صغر السن، وقيل كذلك كناية عن صغر العين.(*)

والمهم هنا، في هذا الموقف، أن الإسلام - وعلى رأس دعوته محمد صلى الله عليه وسلم - يهتم بالطفل وإن كان ضعيفاً صغيراً.(١)

وتشكل وجهة النظر الإسلامية في تربية الأطفال منظومة متكاملة تشمل الجوانب النفسية والعقلية والجسمية وغيرها، كما أن الثقافة الإسلامية من أغنى الثقافات المكتوبة من جهة المحصول المعرفي والعلمي المتعلق بعالم الطفل الخاص، وبشؤون ذلك العالم الطريف.

ثقافة الطفل في جو متغير

إن ثقافة الطفل في عالمنا اليوم ليست ببعيدة أو بمنأى عن الصِّراع الفكري والتدافع الحضاري الذي نلمسه ونعيش آثاره يومياً وفي كل آن عن طريق وسائل الإعلام المختلفة،

وبخاصة برامج التلفاز، وكذلك مما تقذف به المطابع ودور النشر من كتب ومجلات وصحف، بل حتى عبر دلالات اللعب أو الصفحات الإشهارية الموجهة للطفل مباشرة، أو لوسائل تربيته وإعداده.

إن الإقرار بهذه الحقيقة وتأكيدها «هي قطعاً مؤكدة بالواقع المعيش» يدفع بأصحاب القرار في العالم العربي والإسلامي إلى اتخاذ الحيطة اللازمة لما ينطوي عليه هذا الأمر من مخاطر تهدد مستقبلنا.

كما يجعل كذلك المفكرين والقائمين على شؤون التربية والتوجيه والإعداد عندنا، يضاعفون الجهود، ويستثيرون الهمم قصد النجاح في مسعى تجنيب أطفالنا وناشئتنا تلك المخاطر الثقافية ذات التأثير السلبي على الهوية الحضارية للطفل، وبنية تكوينه العقدي والفكري والوجداني.

الطفل ووسائل الإعلام

تلعب وسائل الإعلام المختلفة في عصرنا هذا دوراً خطيراً وليس من شك أن الخطورة في هذا المقام تنبع من المكانة التي باتت تحظى بها هذه الوسائل حيث إنها أصبحت توصف بأنها ضرورة قصوى من ضرورات هذا العصر، ولا يمكن لأيٍّ كان أن يعيش بعيداً عن تأثيراتها وتوجيهاتها المباشرة وغير المباشرة.

ويعتبر الطفل أكثر قنوات المجتمع تأثراً بوسائل الإعلام، حيث إنه يكون في مرحلة من أبرز مواصفاتها الشغف باكتشاف غوامض المحيط الذي يعيش فيه، وحب التعرف إلى كل ما يقع عليه التصرف، وانطلاقاً من هذه الحقيقة العلمية والتربوية، وَجَبَ الأخذ بعين الاعتبار مسألة التشدد بخصوص برامج الأطفال، وانتقاء المضامين المناسبة وفق معطيات علمية مدروسة بأمانة ودقة واقتدار.

وكم يقع الخطأ والبعد عن حسن التقدير أولئك الذين يعتقدون بأنه لا جدوى من النظر إلى الأطفال باعتبارهم «جمهوراً» يمكن أن تقدم له وسائل إعلامية خاصة به، فالواقع عكس ذلك تماماً، لأن نتائج قياسات الرأي العام تشهد وتثبت بأن الأطفال هم جمهور جيد، فضلاً عن أنه جمهور مقلد.

والدراسات التي أُجريت على الأطفال الذين نشأوا في عصر التلفاز - أي الأطفال من كل الطبقات الاجتماعية - الذين اعتادوا الحصول على معلوماتهم أساساً بوساطة التلفاز، تبيَّن أن الجيل الجديد لا يركِّز على الصورة كلها، كما يفعل الفرد المتعلّم الناضج حينما يشاهد فيلم «رعاة البقر» مثلاً، بل يمرون بأعينهم بسرعة على الشاشة، ويركّزون أساساً على «جراب المسدس» و«رؤوس الجياد» و«شكل القبعات»، وكل التفاصيل الصغيرة الأخرى، وحتى في أشد معارك المسدسات، فإن الطفل يراقب التلفاز والسينما بالطريقة نفسها التي يراقب بها الإنسان البدائي «غير المتعلم» في أدغال إفريقيا.

وتعلق المربية الأستاذة الداعية «منى حداد يكن» على ذلك بقولها: «إن هذا الكلام يوضح لنا أن المرئيات المصوّرة هي أهم ما تتعلق به عين الطفل في سنواته الأولى، حيث نجد الأطفال مغرمين في بداية تفتحهم بمطالعة الكتب والكراسات المصورة لما فيها من جاذبية تشدهم بألوانها الزاهية وحروفها الكبيرة وصورها البراقة الخاطفة».(٢)



وفي هذا المقام يقول الباحث «بلو مري»: «إن التلفاز والفيلم يستحوذان على اهتمام كامل من جانب الجماهير، وبخاصة الأطفال، فقد كشفت بعض الدراسات أن أغلب الأطفال يميلون إلى أن يقبلوا - دون أي تساؤل - جميع المعلومات التي تظهر في الأفلام، وتبدو واقعية، ويتذكروا تلك المواد بشكل أفضل».

أما الدكتور «سبوك» فيقول: «لايمكن أن تجتمع الأمهات في حديث عن الأطفال دون أن يعلو وجه أكثر من أُمٍّ حالة الحزن والغضب، لأن التلفاز يسرق من الأبناء وقت المذاكرة ويمنع المراهقين من القراءة المفيدة».

وفي التقرير الذي نشرته مجلة اليونسكو عن نتائج الاستطلاع الياباني المتعلّق بأثر وسائل الإعلام على الطفل، جاء ما يلي: إن فيض المعلومات التي تقدمها وسائل الإعلام، يعطل تطور القدرات التأملية الخلاّقة لدى الأطفال».

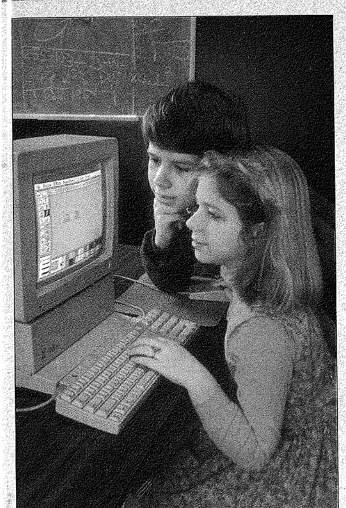
وأوضح التقرير أن الأطفال: «كانوا ضحية لبرامج التلفاز والمجلات الهزلية... وذكر الآباء والمدرسون الذين شملهم الاستطلاع أن وسائل الإعلام أشد ضرراً بالنسبة للأطفال،

الأسرة المسلمة

وبخاصة البرامج الترفيهية الساقطة، والمجلات الهزلية التي تَرِدُ إليهم».

دور البيت في التوجيه

يمثل البيت المحيط الأول بالنسبة للطفل، وبين جوانبه وفي ردهاته يتلقى الطفل الجرعات الأولى في التوجيه والتربية، ومعنى ذلك أن الأم والأب أمامهما مسؤولية خطيرة في عملية التنشئة والإعداد والتوجيه، فقد يأخذ الطفل - حين يصبح يافعاً - مساره الفكري والأخلاقي وفق تلك القاعدة الأولى التي تكوَّنت لديه وامتزجت عنده بالشعور وعدم الشعور.



وفي هذا الخصوص كذلك، تقول المربية «منى يكن»: «إن الطفل يكوِّن قيمه الأساسية عن الحياة من تقليده لوالديه... إن الأبوين اللذين يرتبطان معاً بالحب لا تواجههما مشكلة من هذا النوع، لأن الابن ينشأ على الحب والفهم، ثم إن موقف الآباء والأمهات - أمام أدوات الإعلام التي تنحرف عن رسالتها، وتدمر نفسية المجتمع ببطء - هو الذي يحدِّد مدى تأثر الطفل بهذه الأشياء التي يراها أو يقرؤها، إن احتقار الوالد لأحد البرامج التلفازية، ينقل هذا الاحتقار، حيث يصبح موقفاً للابن من هذا البرنامج.

إن الابن يتعالى بدوره عن مشاهدة أي شيء لا يرضي عنه والده، وكذلك الأمر بالنسبة للبنت... إنني لا أدعو للتزمت، ولكني أدعو إلى الجدية، والمسافة بين الاثنين متروكة لاتساع أفق الآباء والأمهات أنفسهم.(٣)

وهكذا تتبين معالم الدور الذي يلعبه البيت في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل - بما في ذلك تكوين الخلفية الثقافية - حتى إن العديد من علماء التربية والنفس، يذهبون في دراساتهم لسلوكيات المنحرفين إلى أن دور البيت يظل حاضراً ومؤثراً لدى بعض أولئك المنحرفين، وعليه فإن الذين كان حظهم معتبراً في التربية المنزلية تسهل معالجة حالتهم وإمكانية استردادهم إلى وتيرة السلوك الاجتماعي القويم.

الطفل والخلفية الثقافية

تُعتبر مسألة تكون «الخلفية الثقافية» لدى الطفل «مربط الفرس» في العملية التربوية، فالحديث إذاً عن هذه المسألة هو حديث في الأصل عن جوهر التربية وغايات التنشئة الاجتماعية، إذ إن كلَّ منظومة تربوية لديها أهداف وتطلعات تروم تحقيقها وقطف ثمارها، سواء على المدى القريب المتوسط أو البعيد، ومن ذلك دون شك صنع الشخصية الديناميكية الفاعلة... المتناغمة مع قيم المجتمع، وآمال الوطن، وانتمائه الحضاري، وهذا ما يلزمنا بتوضيح وجهة نظر التربية الإسلامية في هذا الخصوص، ولاسيما إذا استقر في وعينا أن أغلب مشاعر الطفل، وعواطفه وأحاسيسه تبدأ في التشكل -

ومن ثمَّ في الترسُّب في العقل الباطن - في السنوات الحاسمة الأولى من عمره.

يقول المفكر الدكتور رشدي فكار - رحمه الله -: «أرى أن قضية الطفل حتى عمر الثانية عشرة، ينبغي أن تنحصر في تحقيق انتمائه، وأتمنى أن يُمنع منعاً باتاً إعطاء أطفال هذه الأمة حتى تلك السن أي انتماء أو نموذج أو قدوة، عدا انتمائه الحضاري كما تفعل ذلك الأمم الأخرى، والدول التي تواجهنا الآن في حلبة الصِّراع الحضاري. كما أنه ليس من الحكمة أبداً أن نحدّث أطفالنا قبل هذه السن عن «سقراط، وجان جاك روسو، ولوك، وشكسبير، وغوتيه، وغاريبالدي، ونابليون وغيرهم من رجالات الغرب»... إن هذا لايكون إلا بعد أن تنضج كلُّ مدارك الطفل وتصبح المرجعية الإحالية، أو قيم المرجعية لديه واضحة وثابتة. وبعد أن يفهم قيم رجالاتنا الذين رسَّخوا دعائم الإسلام ووضعوا حضارته».(٤)

وإزاء هذه الرؤية الفكرية الدقيقة، فإنه يمكننا القول: إن أي منظومة تربوية لاتمتلك منهاجاً واضحاً ومفردات محددة فيما يتعلق بمسألة تكوين الخلفية الثقافية للناشئة، وبخاصة في سنوات التلقي الأولى هي منظومة فاقدة لمبررات وجودها، لأنها ستسبب الكثير من الحرج والحيرة لأطفالنا وناشئتنا، فضلاً عن الأولياء بزجّهم في متاهات الصِّراع الحضاري، أو محاولات الهيمنة الثقافية باعتبارها واقعاً مفروضاً دون امتلاك رؤية فكرية واضحة، أو الوقوف على أرضية صلبة في انتمائهم الحضاري تحفظ خصوصياتهم ومقوِّمات شخصيتهم وانتمائهم وتعصمهم من الضعف أو مغبة الذوبان في الآخر الثقافي والحضاري.

إن التشبث بهذه الرؤية الفكرية، وهذا الموقف التربوي لا يعني الانغلاق في شيء، وإنما يعني الاستجابة الطبيعية الفكرية لمتطلبات الذات، ولاشك أن فهم الآخرين لا يمكن أن يتأتى إلا بفهم الذات، وهذا في الواقع هو ما تؤمن به كلُّ الشعوب والأمم المتقدمة في دنيانا هذه، وفي شتى ربوع وآفاق عالمنا المعاصر.

إن الذات الآن تمثل «الشفرة» التي تعني التميّز بالقدر الذي يصح معه فهم الآخر الحضاري والتواصل معه من منطلق أرضية صلبة لا تميد ●

المراجع

١ - رناد يوسف الخطيب، رياض الأطفال واقع ومنهاج، مؤسسة دار الجنان، عمان، الأردن، ١٩٨٧م، ص ١٩.

٢ - منى حداد يكن، أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٥٠.

٣ - المرجع نفسه، ص ٦٣ - ٦٤.

٤ - مجلة الإصلاح الإماراتية، رقم العدد ١١٤.

(*) يمكن للقارئ الكريم مراجعة بقية معاني لفظة «حُزُقّة» في لسان العرب لابن منظور، تحت مادة «حزق»... أما المعنى الوارد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم للحسن - وقيل للحسين - فهو القصير الذي يقارب الخَطْو... وقد استعمل امرؤ القيس هذه الكلمة بهذا المعنى في قوله:

وأعجبني مشيُ الحُزُقّة خالدٍ
كمشي أتانٍ حُلّئتْ بالمناهل

من فيض الخواطر

بقلم: محمود عبدالحميد خليفة



عندما أخلو بنفسي متحدثاً إليها منقباً في أغوارها، في محاولة للملمة أوراقي، ينفطر القلب ألماً، وتستعر لواعج المرارة والأسى على واقعي الأليم، فيبدو وكأنه اتسع الخرق على الراقع. يهيم في شعوري - جل الأوقات - بأني أحمل بين جنباتي شخصية غير واضحة المعالم، مطموسة أفكارها، واسعة خيالاتها، أنهكت طموحاتها منعطفات الأيام وتصاريف القدر. يكاد الخجل يقتلني والحسرة تعتصرني إذا ما تصفحت حصيلتي مع نفسي أو مع أهل الخير من حولي، وعندئذ.. لو أطبقت عليَّ الأرض تحت ثراها لكان ذلك من أسمى أمانيَّ. لكم ظللت أنوء بحمل آمال طويلة وأمان تليدة فما أظن إلا أنها ذهبت أدراج رياح عاتية في ليال نحسات. أتربص التوفيق في أعمال فما أجده، فليت شعري ما أشد مخاصمة النجاح لي!

أبغي الفضيلة محاولاً وأسعى لأن أكون من أهلها. وأنشد المثالية وأجدني ناقما أغض الطرف عن كل أمر يحيد عن النواميس العلا، وأضرب بالذكر صفحا عن كل قول لا يوافق الجادة. بيد أني لا أبخل بالنصيحة إذا ما ارتأيت ذلك أنجع. أميل إلى مجالسة النفس، وآنس وطأها، ولست شغوفا بملاقاة البشر، غير من يحاكيه هواي، أو يضاهي فيَّ طبعاً، أو آنس منه سجية وخلقا.

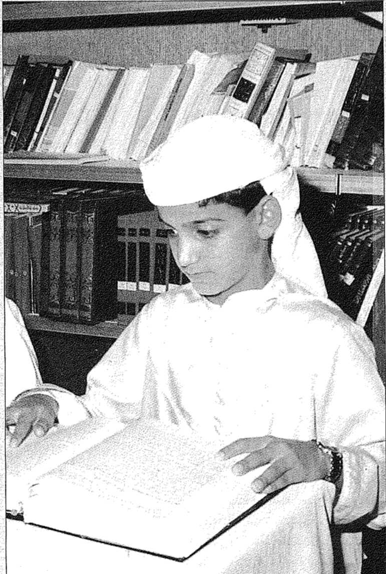
أتفرس الناس فألحظ أني أفتقد احتراما واجباً لي لدى طائفة منهم، فأرجع ذلك بأني قد أكون ضعيف البيان ضئيل البنيان، فيُحدث هذا الأمر لديَّ حرج شديد كأني طعنت على غرة بخنجر هتك جدران فؤادي، فكأني عاينت الهزاهز «أي الفتن»، ولوددت لو وكل إليَّ حمل جبال الأرض لكان أهون عليَّ من ذلك. لقد افتقدت نفسي بين القوم فلست منهم، ولا هم على شاكلتي. ولقد سئمت هذه الحياة الرتيبة، وتلك الشخوص الكالحة التي لا يغادر البؤس مرآها، ولا تأتي بخير أو تدل عليه.

لعل أصعب ما يؤرق دنيا المرء شدة ما يلاقيه من صنوف البلايا التي تطوق حياته كتطويق السوار للمعصم. ومع كل هذه الخطوب وتلك المعامع يطيب لي دائما بأن أرتكن إلى ركن شديد، فأجد انفراجة وانسجاما ما كنت لأعانق نسيمها وأرتشف من معينها إلا في حماها ●

الأسرة والمجتمع

الثقافة الدينية وقاية للطفل المسلم من الأفكار الضارة

بقلم: آمال عبدالرحمن محمد



لاشك أن أبناء المجتمع الإسلامي في أمسّ الحاجة إلى الثقافة الدينية، تلك التي تمثل حصناً منيعاً ضد مفاسد الغزو الفكري الوافد إلينا، وما أشد حاجة أطفالنا على وجه الخصوص إلى التسلح بقدر من الوعي الديني والثقافة الدينية التي تقيهم شر الغزو الشرس.

فالدين الإسلامي بمبادئه السمحة يعد أفضل منهج للحياة في عصورها المختلفة، وهو القادر على التصدي لكل مزاعم المدنية الهشة، (ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) النحل:٨٩.

لذا ينبغي على المؤسسات التربوية بدءاً من الأسرة غرس القيم الدينية لدى أبنائها بحيث تترجم إلى سلوك فعلي لا إلى ألفاظ جوفاء، فقضية ثقافة الطفل تحظى في المجتمع الإسلامي باهتمام كبير، ذلك المجتمع الذي يشكل فيه الإسلام وعاءً حضارياً وثقافياً يحفظ وحدة الأمة وتماسكها ويضفي عليها سمات فكرية مميزة ومعيناً تستمد منه أسباب عزتها وتميزها بين الأمم ومنهلاً تستقي منه رؤاها الفكرية والفلسفية، ووفقاً لهذا المنظور الذي يجعل تنمية الفرد شرطاً أساسياً لتنمية المجتمع، فإن الطفل باعتباره اللبنة الأساسية التي تشكل الفرد والمجتمع ينبغي أن يكون المحور الأساس في قضية التنمية على أن الإسلام لا يعتبر التنمية في حد ذاتها هدفاً ينطلق من مبدأ تكريم الإنسان وتفضيله.

إن ثقافة الطفل العربي والمسلم اليوم هي التي تحدد صورة الأمة وموقعها في المستقبل القريب

البعيد، فأطفال اليوم هم شباب الغد ورجال المستقبل، ويزيد من هذه الحقيقة أن ثقافتنا عموماً بما فيها ثقافة الأطفال لا تنشأ ولا تعيش داخل أسوار وطنية وقومية كما كان الحال قديماً.

لقد أصبح عالمنا قرية صغيرة سكانها وبيوتها ليسوا سواء، فهي مهتمة دائماً بالإرسال الفكري الثقافي والبث المباشر في عقول ووجدان الصغار والكبار معاً، هذه الحقيقة الحديثة تفرض علينا ونحن نختار ثقافة الطفولة أن تقدم الثقافة البديلة التي تعني بالعقل والقلب ووضوح الشخصية الوطنية والقومية والإسلامية وتقاوم في ذات الوقت الطوفان الذي ينهال علينا من كل مكان، ويضيف الدكتور محمد عمارة المفكر الإسلامي:

إنه من المحبب لو كانت لدينا المؤسسات التي تعين على فن الكتابة للطفولة، فليس كل كاتب قادراً على أن يكتب للأطفال وحبذا لو كان هناك اهتمام كبير بأن تكون منظومة القيم الإيمانية والإسلامية على وجه الخصوص هي الروح السارية في كل ما يكتب للأطفال.

فقيمة الإيمان الديني مطلوب إشاعتها في ثقافة الطفل وكذلك قيم التدين والصدق والتعاون والأبوة والأمومة والإيثار وقيمة المربي والمعلم والمدرسة. كل هذه قيم مطلوب من ثقافة الطفل أن تجعلها عالية وحاكمة فيما يكتب للأطفال، وهناك التاريخ والتراث، وما فيه من بطولات ومعارك وما فيه من محن وتحديات، وهناك اللغة العربية «لغة القرآن الكريم» فمطلوب من ثقافة الطفل أن تضعها في مكانها اللائق وأن تدرب هذه الثقافة ألسنة الأطفال على النطق السليم.

الثقافة البديلة

إنه مطلوب من ثقافة الطفل أن نعرفه على الكون كله أيضاً بعولمته وقاراته وشعوبه وحضاراته وثقافاته كي ينشأ الطفل وهو يتواصل مع الآخر ويتفاعل معه ومطلوب من ثقافة الطفل أيضاً - أن تعلمه احترام العقلية العلمية المقابلة للشعوذة والخرافة، وأن تكون هذه العقلية متدفقة مع الإيمان الديني فيصبح العقل نعمة من نعم الله وليس ثورة على الإيمان بالله ومطلوب من ثقافة الطفل كذلك أن تقدم له الترفيه الحلال والمرح المشروع لتكون شخصيته متوازنة تجمع بين الجد واللعب وبين العمل والراحة.

إننا لانستطيع أن ننعزل عن تقنيات وسائل الاتصال الحديثة مثل شبكة المعلومات والإنترنت ولكن المطلوب أن تكون لنا مواضع على الشبكة تقدم الثقافة البديلة كثقافة الانحلال التي تقدمها تيارات واتجاهات أخرى، كذلك أن أطفال اليوم يتعاملون مع الكمبيوتر ومع شبكة المعلومات، ونحن لانريد لهم الوقوع في براثن الثقافة الضارة، والمطلوب من ثقافة الطفل أن يقدمها لتكون زاداً وطنياً وقومياً وإسلامياً يغني أطفالنا عن السموم التي تقدم لهم من خلال كثير من وسائل الإعلام في هذا العصر الذي سقطت فيه الحواجز والحدود والحماية اليوم من هذه الأفكار الضارة هي تقديم الثقافة البديلة والثقافة التي تعين ثقافة الطفل.

ثم يقول الدكتور سيد صبحي.. ينبغي أن نغرس المبادئ الدينية كوسيلة لنجاح ثقافة الطفل لأن الطفل على مر العصور يتطلع إلى من يفهمه ويحاول أن يواكب طاقاته واستعداداته فإذا كانت المدنية المعاصرة قد علمتنا السرعة في التعامل مع معطيات الحياة فإن جلاد التقدم الذي أخذ يلسعنا على ظهورنا بسياطه القاسية يطالبنا بأن نعيد النظر في حكمنا على الطفل وأن نفرج عنه ونخرجه من قفص العناية المشددة وما يصاحبها من تحكم وتسلط ليعبر الطفل بحرية عن طاقاته واستعداداته وحتى يتفرغ للحياة والتطور ويعيد لتلقائيته حق الظهور والنماء، وتعد ثقافة الطفل ومعارفه من الأمور المهمة التي ستحميه في سيره على هذا العصر وما يحتويه من مفاهيم دخيلة على ثقافتنا.

ومن هنا وجب التنبيه والتحذير، فثقافة العصر الراهن قد تبتعد بشكل ما من الأشكال وبمعنى ما من المعاني عن أمور الدين والقيم الأخلاقية وما يتبعهما من أعراف وتقاليد ينبغي أن نحرص على غرسها في نفوس أطفالنا.

ويشير إلى حرص الأسرة بوصفها الحضن الاجتماعي الأول للطفل على غرس المبادئ الدينية وما تحمله من معان خصبة تتعلق بالنظافة والوعي والتعاون وحسن الانتقاء والطاعة والبر والانتماء والأصالة وحب العمل وآداب السلوك وغيرها من المبادئ هي المدخل الرئيس لغرس ثقافة دينية منذ مرحلة الطفولة الباكرة لأن من شب على شيء شاب عليه بحيث تصبح هذه المبادئ هي المكون الرئيس لثقافة الطفل يدعمها قراءة القرآن الكريم والاقتداء بالأحاديث النبوية المطهرة. صيانة للسلوك وتدعيماً للوعي الديني، فالمناخ الأسري متمثلاً في الوالد والوالدة ودورهما الرشيد في أمر تكوين الاتجاهات السليمة نحو الانتقاء الثقافي سواء على مستوى المادة المقروءة أو المسموعة أو المرئية - فهذا لحرص من قبل الوالدين يرسخ دعائم الاتجاهات السليمةنحو الانتقاء الثقافي فيعرف الطفل كيف يختار ما يقرأه وما يسمعه وما يراه.

وتلك القضية مهمة خاصة عندما يكون الآباء والأمهات قدوة في هذا المضمار فهم الذين يقتنون الكتب المفيدة وهم الذين يحضرون السمعيات المهذبة والموجهة وهم أيضاً الذين يشاهدون البرامج التي يتعلم من خلالها أولادهم الأدب والحياء والحشمة والأخلاق الرفيعة والبعد الحضاري القويم وتلك قضايا ثقافية يحثنا عليها الإسلام.

فالأسرة في ظل هذا الإطار قد قدمت مجموعة من الاتجاهات النابعة من كتاب الله وسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وتكون قد حصنت أولادها ضد التيارات الأجنبية الوافدة والتي لا تتفق مع قيمنا الدينية الراسخة، وقد حبا الله الأمة الإسلامية بما يكفل لها حياة كريمة كتاب الله وسنة رسوله الكريم. فهم منبعان لا ينضبان. من سار على هديهما هدي إلى صراط مستقيم ●

المراجع

١ - القرآن الكريم.
٢ - رياض الصالحين.
٣ - محمد عمارة - الأهرام القاهرية - ٢٠٠٠/٣/٢٤م.
٤ - سيد صبحي - الأهرام القاهرة - ٢٠٠٠/٣/٢٤م.
٥ - محمد محمد عيسوي الفيومي - فاعلية العلاج المتمركز حول العميل في تحسين بعض حالات الاضطرابات السيكوسوماتية - دكتوراه تربية بنها ١٩٩٥م.

الأسرة المسلمة

بقلم: أشرف سعد





كلنا بشر معرضون للخطأ والمهم هو اعترافنا بالخطأ والرجوع عنه وأكثر تلك الأخطاء تكون في حق أطفالنا الصغار. بأن نسيء إليهم والاعتقاد منذ قديم الزمان هو أن الأطفال الذين يتعرضون للإساءة أو الإهمال أو الضرب الجسدي في طفولتهم، يتسمون في الكبر بالعنف والعدوانية وقد نُشر الكثير من الأبحاث التي تؤيد هذا الفرض. ومن المعلوم أن الأطفال الذين يتعرضون إلى الإساءة في الصغر يتولد لديهم مشاكل سلوكية تظهر في تصرفاتهم وتظهر نزعة تمردية فيما بعد، فالأطفال ضحايا العنف يتعرضون لارتكاب الجرائم ودخول السجن معظم حياتهم.

والإساءة هي أي تصرف منحرف أو مضر من قبل مجموعة لها من الحجم والقوة ما يجعلها قادرة على تطبيق هذا النظام من الإساءة، ولكي نمنع الإساءة لابد من تعريف الأفراد بكيفية حماية الطفل من المعاملة السيئة التي تصل أحياناً لدرجة الوحشية، وقد تتطلب التربية تدخلاً سريعاً لكي لا يتعرض الطفل لمزيد من الإساءة وعامة ما يصاحب الإساءة العمد الإصرار على التصرف العنيف أو المهمل ويتضح هذا العمد من تكرار الإساءة للأطفال في فترات زمنية متقاربة كما يصاحبها أضرار جسمية بالأطفال.

دور الأبوين في إساءة معاملة الأطفال

ربما يكون الأبوان هما السبب المباشر في حدوث التصرف المسيء في معاملة الأطفال وأكثر من نصف الحالات تحدث من الأب وهي تحدث في جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية.

ومن أسباب إساءة الوالدين للطفل

١ - السمات النفسية للأبوين أو أحدهما، فالآباء المضطربوا السلوك يكونون أكثر قسوة مع أبنائهم وذلك لعدم قدرتهم على مواجهة الضغوط النفسية التي يعانون منها أحياناً، ومن ثمَّ ينهجون للقسوة والعدوان على أطفالهم.

٢ - الظروف الحياتية الصعبة كأن يكون الأب عاطلاً عن العمل، أو لوجود خلافات زوجية وكونه ضحية للإساءة وهو طفل صغير فمثل هذه الضغوط تزيد من الضغط على راعي الطفل بحيث لايستطيع تحمل أي ضغط أتى من مصدر ضعيف مثل الطفل، فينصب ردّ الفعل المتراكم على الطفل الذي لم يُقدِّر مثل هذه المواقف التي يعاني منها الأب.

٣ - التدني في المهارات الأبوية، بحيث لايجد الأب وسيلة للتحكم في سلوك طفله إلا في عدد ضئيل من المهارات وربما تتسم بالعنف والسلبية.

٤ - الأب المسيطر، هناك نوع من الآباء يميلون لزرع أكثر الخصائص سلبية في أبنائهم، فهم يعطون تعليمات شديدة الصرامة لأطفالهم مع قليل من الشرح والتفهم.

وإذا كان الطفل يرفض مسامحة هذا الأب فربما لأن الإساءة أعمق من الضرب، لذلك على الأب الاعتراف بالخطأ، فمثلاً قد أضرب طفلي لأنه يستحق ذلك، ولكن إذا ضربته من دون سبب فإني لابد أن اعترف بخطئي.

ومن الدراسات النفسية للأطفال لوحظ ما يلي:

- الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الولادة والسنة الخامسة يكون المسؤول عن الإساءة الأم في أغلب الأحيان، ثم يليها الأب.

- الطفل الذي جاء من حمل غير مرغوب فيه لأسباب اقتصادية أو حياتية أو قانونية يكون أكثر عرضة للإساءة.

- قد تحدث الإساءة للطفل المعاق من الخارج وهذا ما يزيد أعباء الوالدين.

- الطفل الذي يكون جنسه مخالف للمأمول من الأبوين خصوصاً إذا كانت أنثى وكان المأمول ذكراً تتعرض أكثر من غيرها للإساءة.

الآباء المضطربوا السلوك يكونون أكثر قسوة مع أبنائهم وذلك لعدم قدرتهم على مواجهة الضغوط النفسية التي يعانون منها أحياناً ومن ثمَّ ينهجون للقسوة والعدوان على أطفالهم

- الطفل الصعب الكثير الصياح الشديد الانفعال القليل النوم هو الذي لا تجدي معه أي طريقة للتهدئة.

- الطفل المشاكس هو الذي لا يستجيب للتعليمات ويتصرف بشراسة مع غيره بما فيهم الوالدين.

ولكي لا نسيء معاملة الأطفال يجب اتباع ما يلي حين يستخدم الضرب كوسيلة عقاب:

١ - أن نعطي الطفل تحذيراً واضحاً، فالأطفال يحتاجون أن يفهموا لماذا نضربهم وبذلك يكون التحذير فعالاً.

٢ - إثبات مسؤولية الطفل لعدم طاعته، فحين يعصي الطفل التعليمات فيجب علينا أن نعرِّفه مسؤولية مافعله.

٣ - تجنب الإحراج في معاقبة الطفل أمام زملائه فعند ضرب أحد الأطفال يجب أن يكون وحده لأن هذا النوع من العقاب يؤثر على نفسية الطفل أمام زملائه.

٤ - إبلاغه بالحزن الأبوي بسبب إساءته ليأخذ الطفل فرصة في التفكير ولا يعيد الخطأ مرة أخرى.

٥ - ربط المحبة بالضرب، بأن نوضح له أن الضرب يؤلمنا أيضاً.

٦ - استخدام أداة للضرب فلا تستخدم اليد التي نقدم بها الحنان كوسيلة للضرب.

٧ - الضرب يكون في غير قسوة أو في غضب شديد.

٨ - مواساة الطفل بعد ضربه بأن نقبّله أو نحضنه لنشعره بدفء قلوبنا رغم خطئه.

٩ - لابد أن نقوِّم عقابنا وردود أفعال أطفالنا حتى لانترك عند الطفل إحساساً عارماً بالظلم والكره.

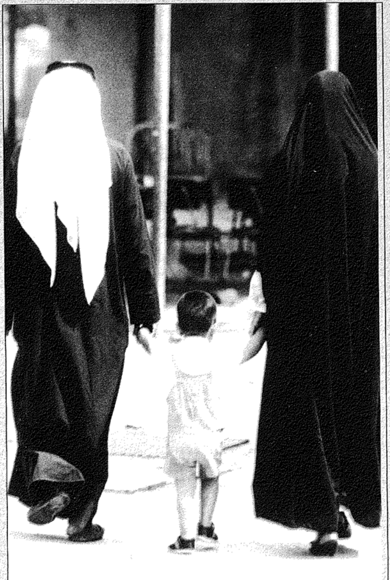
ولا شك أن القسوة والتربية الصارمتين يؤديان إلى خلق ضمير أرعن ويولد الكراهية للسلطة ولكل من يمثلها وتجعل الطفل يقف من المجتمع عامة موقفاً عدائياً، لذلك علينا الا نلجأ للضرب إلا في نهاية المطاف. ومن أشد الأمور خطراً على الطفل التقلب في المعاملة بين اللين والشدة، فيثاب على عمل مرة ويعاقب على العمل نفسه مرة أخرى، ويجاب طلبه مرة ثالثة، ويُحرم منه مرة رابعة، ودون سبب معقول فالتقلب في المعاملة، يجعل الطفل في حال من القلق والحيرة وتهتز ثقته بوالديه، وقد يدفعه ذلك للكذب وللاضطرابات السلوكية.

وشعور الطفل بتقدير الكبار من أفراد أسرته وفي مدرسته لما يفعله، ذلك يبعث لديه الحماس للقيام بخير ما يستطيع، أما إذا لقي الاستهانة والتحقير والضرب، فلن ينبت ذلك إلا شعوراً بالمرارة والعجز وفقدان الثقة بالنفس ذلك لأن قدرات الطفل تتغذى وتنمو على التشجيع، وتضمر وتموت بالتقريع والقسوة والضرب. ومن هنا يجب أن يوازن الآباء بين الحب والعقاب، فالأطفال يحتاجون إلى المعاملة الحسنة، فهي تترك أثراً طيباً في نفس الطفل لن ينساه طوال حياته ●

الأسرة المسلمة

المرأة التي شتتوها بين الدروب

بقلم: منى السعيد الشريف



ماذا يريدون من المرأة؟! وماذا يُراد بها؟! سؤال قتلني وقتلته حيرة، فلقد شتتوها وحيروها معهم منذ زمن بعيد بين الهجوم والدفاع، والعداوة والصداقة... فمنهم من عاداها وعارضها وتفنن في الهجوم عليها نثراً وشعراً وقصة وذاع صيته ونال الشهرة بذلك... وخرجت الأقوال اللاذعة في مهاجمة المرأة وذمها والمبالغة في إظهار عيوبها، وتصوير العلاقة بين الرجل والمرأة بأنها علاقة نديّة وصراع في كثير من الأحوال، واقترن بذلك ذم الزواج، وأنه قيد وسجن واغتيال لسعادة الرجل وحريته، وإن كانت مثل تلك الدعوة يمكن أن تكون ذات صدى ومبررة في مجتمع غربي يمارس أفراده ما يطلقون عليه الحرية الجنسية ويحيون حياة الانحلال والمجون والتفكك الأسري، فهي ليست مقبولة على الإطلاق في مجتمع إسلامي جُعل فيه الزواج حصناً من الغواية واتباع سبل الهلاك، كما أنها مخالفة واضحة لسنة الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي أوصى الشباب قائلاً: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» رواه البخاري، وعن عثمان بن خالد قال شداد بن أوس: «زوجوني فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاني ألا ألقى الله عزباً» فما الهدف من نشر تلك الأفكار؟!.

ـ هذه المرأة هناك من ساندها ونادى بتحررها واستقلالها ومساواتها بالرجل في نيل

حقوقها وهناك من غالى بها كثيراً في تحديد كينونة تلك الحقوق والمساواة إلى الحد الذي حدى ببعض النساء أنفسهن إلى رفض تلك الدعوة لأنهن شعرن أن هذه الدعوات تحاول سلخهن عن طبيعتهن الأنثوية بل تحولهن إلى أشباه رجال... وعلى الجانب الآخر انقادت الكثيرات وراء تلك الأصوات وبهرجة مبادئها البراقة التي تخلص المرأة من ظلم اجتماعي عانت منه لسنوات طويلة، والذي ارتبط خطأ في كثير من الأذهان بالدين، رغم أن المنصف لابد وأن يقرَّ بما منح الإسلام المرأة من حقوق وكيف كرَّمها أماً وزوجة وابنةً وأوصى بها وجعل لها ذمةً ماليةً مستقلةً وغيرها من الحقوق التي قد تعجز عنها القوانين الوضعية.

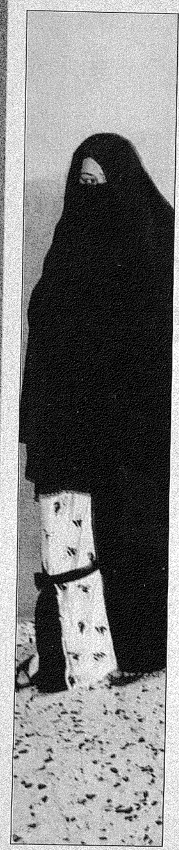
وفي تصوري أن المعاناة التي عانتها المرأة في الماضي كانت - على عكس مما هو متصور - بسبب البعد عن المنهج الإسلامي الصحيح وسيطرة عادات وتقاليد موروثة أساء بعضهم استخدامها كانت ترى في حرمان الفتاة من التعليم وعزلتها نوعاً من الحشمة وصوناً لها ولعفافها، لذا فقد انجذبت النساء لتلك الدعوة انجذاب الفراش للنور.

ثم ماذا بعد... أن نالت المرأة كل حقوقها المزعومة فهل تحققت لها السعادة وشعرت بالرضا عن نفسها والرضا من الآخرين؟ لا أعتقد ذلك... فكثيراً ما يُرجع المحللون للمشكلات والظواهر الاجتماعية إلى خروج المرأة للعمل وانشغالها بحياتها العملية كأحد أهم أسباب تلك المشكلات... ونتعجب أليس هذا ما أردتموه لها؟! أليس هذا هو ما ناديتم به وحاربتم من أجله سنوات وسنوات؟! ألم يعتبر بعضهم أن المرأة التي تبقى في بيتها لرعاية أبنائها دون الخروج للعمل امرأة من الدرجة الثانية حتى وإن كانت متعلِّمة وحاصلة على أعلى الدرجات العلمية؟... أليس هناك وإلى الآن بعض الرجال يرى أنه عندما يفرِّغ زوجته لرعاية البيت والأبناء إنما هو متفضل عليها بذلك، ويجب أن يذكِّرها بهذا الفضل والجميل من آن لآخر، لتجد المرأة نفسها في النهاية مدانة دائماً، ملامة دائماً مقصِّرة دائماً، وتشعر أنها وقعت في شرك لا خلاص منه.

ونجد أنفسنا نعود لنسائلهم ماذا تريدون من المرأة على وجه التحديد؟! ولماذا جعلتم منها قضية ومشكلة معضلة حيرتكم وحيرتموها معكم وشتتموها في دروب الحياة فكانت في النهاية هي الخاسرة والبيت المسلم أكثر خسارة.

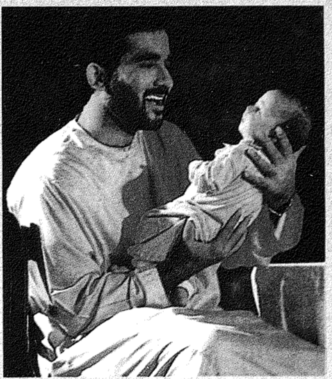
إن المرأة يا سادة إنسان.. مخلوق من مخلوقات الله يجوز عليها الخطأ والصواب ومن الطبيعي أن يكون منها الحسن والرديء والصالح والطالح، وقد شرع الله لها من التشريعات ما يتوافق وطبيعتها التي هي أكثر خبرة بها لأنه خالقها وبارئها ولو أخضعنا كل قضاياها التي أرهقتمونا ضجيجاً من أجلها لتلك التشريعات وللمنهج الإسلامي الصحيح لوجدنا فيه الداء الشافي والحل الكافي حتى في أحرج القضايا التي اختلف عليها الكثيرون، فعندما نتناول قضية عمل المرأة نجد أن الإسلام قد أباح للمرأة العمل إذا فقدت كل عائل لها، وكانت هناك حاجة ماسة لذلك شرط أن تلتزم الحجاب والحشمة والسلوك القويم، وألا يكون هذا العمل فيه ما يخالف شرع الله أو يتنافى مع طبيعتها الأنثوية... وهكذا دون أي عصبية أو تشنج نستطيع تحليل أي قضية مادامت غايتنا الأولى هي تقوى الله وابتغاء رضاه قبل أي شيء، فلماذا نحيد عن منهجه تعالى؟ ولماذا عندما تفضل بعض فتياتنا عدم الخروج للعمل والاكتفاء بدورها كزوجة وأم تخرج علينا الصيحات المتشنجة المتقززة بأن هذا ارتداد ونكوص فكري وتخلف... أليس في ذلك حجر على حريتها التي نادوا بها كثيراً؟!

- إن هذه المتاهة أختاه يمكن أن تنأي بنفسك عنها إذا أحصنت نفسك بدرع صلب من مبادئ دينك الحنيف وأيقنت أنك على الحق وهجرت السعي وراء رضا الناس طلباً لرضا رب الناس: (يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) المائدة: ١٠٥، وقد سئل الرسول عن تلك الآية فقال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن كالقبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم» أخرجه الترمذي، إن طريق الحق واضح المعالم وإن أحاطت به الغيوم يبقى وميضه نبراساً في القلوب التي لم تعدم البصيرة بعد، وإنما ضل عنه من أغمض عينه وأوصد قلبه وفتح أذنيه تستقبل دون وعي أو تمحيص ●



الأسرة الصالحة

بقلم: إيمان القدوسي



محاكمات عائلية

ينمو الطفل في حضن والديه واضعاً ثقته المطلقة فيهما، مستمداً قيمه وأخلاقه ورؤيته للعالم من خلالهما، تدريجياً، ومع احتكاكه بالعالم الخارجي تنمو في داخله تساؤلات شتى تلقي بذرة الشك في أرض طمأنينيته، لماذا يفضل أبي أخي الأكبر؟ لماذا تدلل أمي أختي أكثر مني؟ لماذا لا أملك سوى ثوبين بينما يمتلك غيري ما لاحصر له من الثياب؟ لماذا تزوج أبي بغير أمي وأهملنا؟ لماذا طلبت أمي الطلاق وتركتنا؟ كمٌ لا حصر له من التساؤلات التي يجب أن تتم تسويتها بما يريح النفس ولا يخدش جلال الصورة الروحية الرمزية للأبوين داخلنا، ليحدث تصالح داخلي ولنواجه الحياة بقلب سليم ونفس سوية. أحياناً لا يحدث ذلك، بل يحدث العكس فمع الانفصال عن الأسرة يبدأ بعضنا في التشبه بإخوة يوسف فيقوم بعقد مقارنات ظالمة تدفعه إلى أن يجأر بالشكوى، كأن يقول: لقد ظلمني أبي فلم يجهزني مثل أختي، لقد قصّرت أمي في حقي فلم استكمل دراستي، إن أبي يفضل إخوتي الذكور ويدللهم ويكون أسوأ ما يفعله المرء منّا هو مواجهة أسرته بتلك الشكوى موجهاً طعنات النقد إلى الأسس التي بنيت عليها أسرته، فلكل عائلة نظامها الخاص الذي تشكل على مدار السنين وتحت وطأة الكثير من العوامل والظروف وبمرور الوقت يصبح هناك عرف عائلي ملزم ينبغي احترامه وعدم الإخلال به.

أحياناً يكون عطاء الأبوين للابن المتشكي هو الأغزر والأعظم لو أحسن تقدير ظروفهما وقتها، فالثياب التي يشكو قلتها لا يعلم كيف كافح أبوه ليمنحه إياها، والبيت المتواضع الذي كان يأويه وإخوته ظل قائماً بفضل شجاعة أمه وبسالتها في تثبيت دعائمه حتى لاينهار على رؤوسهم، وفي النهاية تأتي سهام نقد الأبناء طعنات نافذة إلى قلوب قدمت عصارتها لتقوية السواعد التي تمسك بتلك السهام. لايعني هذا أن الآباء منزهون عن الخطأ والتقصير، ولكنهم فعلوا ما استطاعوا وحسابهم على الله وجاء دور الأبناء ليقدموا للحياة الأداء الأفضل، ولقد أمرهم الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين ولم يأمرهم بمحاكمتهم، بل نهاهم عن الشكوى والتأفف وإدانتهم للحياة ومحاسبتهم بأثر رجعي. قال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً. ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً) الإسراء:٢٣-٢٥. هذا هو دستور التعامل مع الآباء في حال الاختلاف، لا شكوى ولا تأفف، بل قول كريم ورحمة تخفض جناح الكبر، ودعاء لهم بالخير وحسن الجزاء على ما بذلوه في تربيتنا وعفا الله عمّا سلف، وأمامنا الحياة ممتدة فلنجتهد حتى نكون من عباد الله الصالحين الأوابين ●

بقلم: نعيم محمود السلاموني

عقوق الأبناء
قصور تربية أم غياب أخلاق



شغلت الناس في الآونة الأخيرة جرائم قتل الأقارب وذوي الأرحام وأصبحت مشكلة تشغل بال التربويين وعلماء النفس والاجتماع وعلماء الدين، إن هذه القضية الخطيرة التي تمسُّ أبناء اليوم ورجال الغد لم تعد أمراً يمكن تجاهله بل تتطلب من جميع المؤسسات التصدي لهذه المشكلة بأسلوب علمي. لقد فقد كثير من الأبناء ضمائرهم وأحاسيسهم الإنسانية، بل أبجدياتهم الدينية وبتنا نرى من يقدم بكل جسارة وتحجر وجحود على إزهاق روح أبيه وأمه وسفك دمائهما أو دم أحدهما وهما اللذان أسبغا عليه على مدى سنوات طويلة من حبهما وحنانهما حتى كبر وأصبح فتى قادراً على التجاسر على قتل أبيه أو أمه!!

والسؤال ما التحول من السلوك الحسن إلى جرائم القتل؟

١ ـ في بعض البيوت فقدت التربية كثيراً من تأهلها للمرء بسبب غياب الأب وخروج المرأة للعمل وأصبح القصور واضحاً في رعاية الأبناء.

٢ ـ الصراع داخل البيت بين الأب والأم.

٣ ـ الثقافات العالمية الوافدة تساعد على الانحراف لدى كثير من الأبناء.

٤ ـ أزمة الإسكان وضيق المساحات وتكدس الأسر في مساحة محدودة يؤدي لمشاعر الضيق والتوتر.

٥ ـ ازدحام الفصول الدراسية يؤدي للتشاجر المستمر.

٦ ـ قصور أجهزة شغل أوقات الفراغ.

٧ ـ تفشي الأخلاق غير الحميدة في محيط الأسرة من خيانة ـ كذب ـ غش ـ إفشاء الأسرار يؤدي إلى مفارقة الأخلاق الجماعية.

٨ ـ ضعف الوازع الديني والأخلاقي.

٩ ـ تسلط بعض الأزواج وعدم تقديرهم للمسؤولية بسبب البطالة أو الإدمان أو عدم تحمل الزوج المسؤولية تجاه زوجته وأولاده.

١٠ ـ التفاوت الطبقي وزيادة التطلعات لدى الأصدقاء والزملاء سواء كانوا فقراء أو أغنياء.

١١ ـ التدليل الزائد للأبناء أو القسوة الزائدة.

١٢ ـ أصدقاء السوء.

١٣ ـ فقد الشباب عنصر الأسوة الحسنة القدوة، وهي الطريق الوحيد للحماية والنشأة الصالحة.

١٤ ـ الفقر وحرمان الأولاد، يدفعهم إلى الخروج إلى الشوارع فيختلطون بالرفاق المنحرفين.

١٥ ـ وسائل الإعلام وما تعرض من تفاصيل الجرائم وإضافة مواقف بطولية على بعض المجرمين.

الوقاية خير من العلاج

١ ـ الأبناء هم الأمانة التي أمر الله بصونها والحفاظ عليها بقوله عز وجل: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً...).

ويخبرنا الصادق الأمين في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما في قوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها».

٢ ـ تبصير الأزواج بأسلوب التعامل المناسب والتمسك بالاحترام المتبادل وإشاعة الثقة بين جميع أفراد الأسرة وبخاصة الأب والأم وتجنب التسلط والسيطرة من جانب واحد.

٣ ـ تعميق القيم الدينية والأخلاقية لدى أفراد المجتمع عن طريق أجهزة الإعلام.

٤ ـ الاهتمام بوسائل شغل الفراغ.

٥ ـ تجنب أساليب التدليل وتجنب القسوة في معاملته الأطفال.

٦ ـ أن يكون الآباء قدوة حسنة ويجب عليهم التحلي بالخلق القويم، وإكساب الأبناء المعايير الأخلاقية للتعامل مع الآخرين.

٧ ـ الرقابة الأسرية على الأبناء، والتأكد من دور المدرسة ومتابعة نوعية أصدقاء الأطفال.

٨ ـ رجال الدين لهم دور مهم

في «ترسيخ» القيم والمبادئ الأخلاقية والحماية من الانحراف وبخاصة في غرس قيم الخير والحق والجمال والعدل والمساواة والرحمة والسلام والأمانة والصدق والعفو والرضا والزهد.

٩ - تربية الأبناء وفقاً لمبادئ الدين ومبادئ التربية القويمة التي هي الحصن المنيع للآباء، من عقوق الأبناء.

١٠ - التواد والتراحم والصداقة بين أفراد الأسرة وهذا من العوامل التي تعمل على إيجاد أسرة متكاملة صحيحة الآباء والأبناء.

١١ - مطلوب تشديد العقوبة على الأبناء الذين يتنكرون أو يسيؤون معاملة الآباء والأمهات ويعتدون عليهم بالقول أو بالايذاء لمخالفتهم ما جاء بالقرآن الكريم: (فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً) الإسراء:٢٣.

وقول الحق عز وجل في سورة لقمان: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير) لقمان:١٤.

- إن الإسلام دين الرحمة والخلق فقد فرض على الأبناء احترام شيخوخة الآباء، بل أورد أسس هذا الاحترام وأمر لها مشدداً حيث جعلها مما قضى به وجمعها مع عبادة الله وتوحيده بقوله تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) الإسراء:٢٣.

- وأمر الله سبحانه وتعالى أن يقف الأبناء أمام شيخوخة الآباء موقف الذل زيادة في الرحمة لهما والعطف عليها وأن يدعو الأبناء لهم بالرحمة، ويذكر فضلهما بتربيته صغيراً.

(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) الإسراء:٢٤.

- وقد عرض القرآن الكريم حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه عابد الأوثان وصانع الأصنام، حيث تقول الآيات الشريفة من سورة مريم: (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً. إذ قال لأبيه يا أبت لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يغني عنك شيئاً. يا أبتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً. يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً. يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) مريم:٤١ - ٤٥.

مع تكرار النداء زيادة في الود والحب.

- هكذا فرض الإسلام على الأبناء الإحسان إلى الوالدين والتذلل لهما والصبر عليهما.

- إن الدين والأخلاق هما أنجع الطرق لتحقيق الغاية التي ننشدها في تربية أبنائنا.

- ولقد قدمت الأسرة المسلمة أجيالاً قوية من البشر حين تمسكت بالوصايا السابقة، فاستطاعت أن تنشر الحضارة الإسلامية وتقدم للإنسانية نهضة علمية وثقافية لا مثيل لها ●

بقلم: د.زيد بن محمد الرماني

اقتصادات الزواج



إنّ أول من بيّن أهمية رأس المال البشري أي أهمية المعارف والطاقات التي تعطيها الأسرة للفرد ويكتسبها من خلال التربية والتعليم، هو الاقتصادي الأميركي «غاري بيكر» الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد.

وقد اهتم «بيكر» بالأزواج وبخاصة حالات الزواج والطلاق، وذلك من خلال بحثه الرائد حول «الأسرة». إذ عرض بعض الأفكار التي أزعجت أنصار الحركات النسائية.

خصوصاً وأنه يعتبر الزواج بمثابة عقد لتوزيع العمل، فكل من الزوجين يتخصص في مجال ما. وطبقاً للعادات والتقاليد الاجتماعية، فإن الرجل هو الذي يعمل في الخارج وتبقى المرأة في المنزل للقيام بالأعمال المنزلية وممارسة الأمومة.

وقد بيّن الاقتصادي الإنكليزي «دافيد ريكاردو» في عصره «القرن التاسع عشر الميلادي» ومن خلال نظرية «المزايا المتوازنة» لماذا يجب أن تتخصص دولتان في التبادل التجاري للحصول على أقصى الفوائد.

ويطبّق «بيكر» النظرية نفسها في التبادل غير التجاري الذي يربط الزوج بالزوجة، حيث يؤكد أن التخصص فقط هو الذي ينظم موارد الأزواج ويحقق لهم الرفاه.

لقد أدى دخول المرأة الواسع في مجال السوق الخارجية إلى إنقاص الربح الاقتصادي للزوج من جهة، وسهولة الطلاق من جهة أخرى.

يقول فيليب ثورو: نستطيع أن نقول بتعبير اقتصادي إن خروج أحد الشركاء في الزواج من السوق لم يعد يكلّف غالياً، وبما أن الأزواج الشبان يتوقعون أن ينتهي زواجهم بالطلاق، فإنهم لا يحرصون على الإسراع في الإنجاب كما كان في الماضي.

ويقول «دنجان»: يبدو جلياً أن الزواج لم يعد ربحاً كبيراً، ويؤكد ذلك العدد الكبير من الارتباطات الحرة وزيادة عدد النساء المسؤولات عن الأسرة، وكذلك ارتفاع عدد المواليد دون زواج.

يبدو - وللأسف - أن هذا التطور يتوارث ذاتياً، فترغب الزوجات في العمل كحماية لهن ولأولادهن من مصيبة أيّ طلاق محتمل.

ومن الملاحظ أن أجور النساء العاملات أقل من أجور الرجال، وربما كان ذلك لأن الزوجات يكنّ مشغولات بالمهام المنزلية، فلا يعطين الجهد نفسه في نشاطهن المهني، ولذلك فهن يستثمرن أقل في الخارج، ويخترن أعمالاً تتطلب جهداً أقل ولذلك فإن أجورهن تكون أقل.

إنّ عوامل اقتصادية واجتماعية وصحية تؤثر في عدد المواليد، إذ لا تقتصر على عمل المرأة فقط، بل تشمل التقدم التقني.

ومثلما يحدث في فترة التغيرات التقنية السريعة، فإن كثيراً من الأسر تفضّل تجديد أثاثها أو سياراتها، مما يؤدي إلى انخفاض الميزانية المخصصة لأطفالها، وينتج عن ذلك انخفاض في نسبة المواليد.

ولذا، قام «جاري بيكر» و«روبرت باردو» ببناء نموذج حسابي يسمح بتحليل تطور معدل الخصوبة، إضافة إلى التقدم التقني فظهرت عوامل كثيرة مثل درجة تضحية الوالدين، والنمو، ومعدلات الفائدة والأعباء الاجتماعية تؤثر في نسبة المواليد.

وذلك لأن وجود الأطفال يضع المرء في النهاية في موقف اختياري بين الاستهلاك الفوري والاستهلاك المؤجل لصالح الأطفال.

وكلما ارتفعت معدلات الفائدة الفعلية حرصت الأسرة على الادخار، وخفضت الاستهلاك مما يؤثر إيجابياً على عدد المواليد.

وعلى العكس، فإن زيادة الأعباء الاجتماعية على الموظفين يخفّض الادخار ويؤدي إلى فقدان الرغبة في إنجاب الأطفال. ومع ذلك، فإن عصرنا هذا يشهد أكبر عدد من زيجات الحب، ومن المفارقات أنه يشهد أيضاً أكبر عدد من حالات الطلاق.

وختاماً أقول: إن زيجات الماضي التي نظّمتها الأسر كانت تقلل من فرص الخطأ وحالات القلق والتفكك الاجتماعي ●

الملاحظ أن أجور النساء العاملات أقل من أجور الرجال ذلك لأن الزوجات يكنّ مشغولات بالمهام المنزلية فلا يعطين الجهد نفسه في نشاطهن المهني

بقلم: مليكة الصوطي

السراب

الاحتراق الصامت



أحسَّ بنوع من الخجل، وهو يخطو عتبة المنزل الذي تنبعث منه روائح البخور الزكية سامعاً كلمات المباركة والتهنئة، مضطراً للإجابة كعادة كل العرسان ليلة الزفاف:

بارك الله فيكم، جزاكم الله عني كل خير.

كان يعلم أن عيون كل المدعوين تتجه نحو شعيراته البيض التي بدأت بجرأة عنيدة تكتسح رأسه. هو نفسه يحرجه ذلك، لأنها تذكره بأحلى سني العمر المنقضية التي انفلتت من بين يديه دون أن يحس بها. أمضاها في تلك المدينة الباردة هناك مع كارولين التي كان زواجه منها حلاً لمشكلة الإقامة في ذلك البلد، بعد أن أتم دراسته الجامعية... كارولين التي كانت تحمل في ملامحها شيئاً، بل أشياء من مدينتها، بأساريرها الجامدة، بصمتها التي يختفي كل انفعالاتها، بلونها الشاحب، ببرودها... كثيراً ما كان يخال أنها تضع قناعاً وحيداً على وجهها لا تغيره أبداً، هو يذكر أنه لم ير ابتسامتها طوال حياتهما معاً سوى مرتين: الأولى يوم عرض عليها الزواج في مقصف الجامعة، والثانية يوم أنجبت طفلها الوحيد يوسف أو جوزيف كما كان يحلو لها أن تناديه، هو أيضاً أحس أنه بمرور الزمن تغيَّر، ربما هي العاشرة التي حوَّلته من رجل تغلي في عروقه الدماء العربية الثائرة إلى رجل هادئ ساكن في كثير من الأحيان ومع كل هذا كان يحسُّ أن كارولين تلك امرأة مختلفة عن النساء الأوروبيات، فقد رضيت أن تستغني عن العمل بمجرد أن تيقنت من وجود جنين في أحشائها، الفكرة في الأصل فكرته، فلطالما حلم بزوجة تلزم المنزل، وترعى أبناءها وفي المقابل هو مستعد لبذل كل جهده من أجل إسعادهما، ولكنه ما كان ليحقق حلمه ذاك لولا تفهم كارولين التي كفته مشقة رعاية الطفل بتوفيرها كل وسائل الراحة والاهتمام له. أما هو فقد كان العمل يقتطع معظم وقته من أجل أن يلبي طلبات زوجته وابنه الذي بدت ملامح النجابة تبدو عليه. علم ذلك من خلال نتائج آخر السنة التي كانت تخبره بها... كبر الطفل وتعلَّم أشياء كثيرة تحت إشراف والدته، تعلَّم لعبة التنس، والسباحة، وتعلَّم تشغيل الإنترنت وأشياء أخرى كثيرة.

بالصدفة يوماً، حضر باكراً وأراد الاطمئنان على ابنه الذي لم يره منذ الأسبوع الماضي، طرق الباب ودخل غرفة نوم يوسف حيث وجده أمام أيقونة العذراء يرتل أدعية ويرسم صليباً على جسده بإيماءة من يده... تسمَّر في مكانه، أحسَّ بالدم القديم يجري في عروقه... بلغة مرتجفة خاطب ابنه يوسف:

- ماذا تفعل؟

أجابه: أصلي!

ما كان صراخه كثور هائج، ولا وسائل إقناعه التي حاول تقديمها للأم والابن لتجدي نفعاً بعد أن فات الأوان... فهم متأخراً أنه لم ينجب يوسف، وإنما أنجب جوزيف، كما قالت كارولين التي غرست في طفلها بذرة تغلغلت جذورها لأبعد مما تصور.

كان عليه أن يعود إلى أرض الوطن بعد أن لملم حقائبه، وأتمَّ إجراءات الطلاق، وبعد أن فضل جوزيف البقاء هناك إلى جانب كارولين... عاد إلى هنا ليبدأ حياة جديدة، بشعيراته البيض، وليسمع كلمات المباركة والتهنئة في خجل بعد أن عزم على الزواج من ابنة عمه العانس التي كانت يوم رحل إلى أوروبا من أتقى بنات العائلة وأجملهن. عاد آملاً أن ينجب هنا يوسف من جديد، وأن يعيش حياة كان عليه أن يعيشها منذ زمن قبل أن يتيه ويخلف ظلاً شارداً في الضفة الأخرى ●

إعداد: تمام أحمد

١٠ نصائح لاستخدام الكمبيوتر



حتى العام ١٩٨٣ ظل الكومبيوتر من دون تطوير فعلي. أحرف باللون الأخضر أو الأصفر أو الأبيض على شاشة سوداء، ومن دون إمكانات لتعديل الإضاءة فيما مفاتيح القيادة غير سلسة. وباختصار هو جهاز يرهق الجسم. كذلك كان لظهور كومبيوتر ماكنتوش في العام ١٩٨٣ وقع القنبلة، نظراً لسهولة استعماله، وبخاصة الراحة الجسدية التي يشعر بها مستخدمه، ومن المسلم به اليوم أن وضعاً سيئاً لمستخدم الكومبيوتر أو للجهاز نفسه يؤدي إلى أمراض عدة، منها التهابات الذراعين والمعصمين، وظهور عوارض «الديسك» في الظهر، والتهاب الكتفين والعنق، والأعراض العصبية التي يسببها الضغط النفسي وتكرار حركات اليدين والرجلين، ولتجنب زيارة الطبيب وضع المختصون النصائح التالية:

١ - المقعد يجب أن يكون قابلاً للارتفاع والانخفاض، وأن يكون له مسند ظهر ومسندان جانبيان للذراعين، وعجلات لتسهيل التحرك، أما المقعد المنخفض جداً، والذي يفتقر إلى مسند ظهر، فهو عاجلاً أو آجلاً سيسبب أوجاعاً في العضلات والمفاصل تنتهي بمشاكل صحية جدية.

٢ - وضعية الجلوس. يجب أن يكون الظهر مستقيماً باتكائه على السند الخلفي، وأن تلامس القدمان بالكامل الأرض، وتكون الكتفان متراخيتين ومقدم الذراعين بشكل أفقي. أما الظهر المقوس أو المنحني والكتفان المشدودتان، والقدمان المرفوعتان، فهي الوضعية الأسوأ للمفاصل والعضلات وفقرات الظهر.

٣ - الإضاءة. يجب أن تكون غير مباشرة، فالمصباح الكهربائي القريب من العينين أو من الشاشة يضاعف تعب العينين ويحول دون قراءة سهلة للشاشة.

٤ - الصوت. يجب أن يكون مكبرا الصوت منحرفين قليلاً نحو الداخل ليضمنا استماعاً طبيعياً، خصوصاً في ألعاب الفيديو. أما العكس فإنه يقود إلى اللعب باستمرار بمفتاح الصوت لتعديله لكن من دون نتيجة.

٥ - لوحة القيادة يجب أن تكون مؤخرتها مرتفعة قليلاً، أما إذا كانت مسطحة فإن أوجاع المعصمين والذراعين آتية لا محالة.

٦ - الفأرة. يجب وضعها فوق بساط خاص وقريباً من لوحة القيادة، ليسهل استخدامها من دون إجهاد المعصم، أما إذا كانت في مكان مرتفع، بلا بساط ولا مساحة كافية لها لتسهيل حركتها، فإن هذه الوضعية هي الأفضل لاستدراج التوتر العصبي وآلام المعصمين ومفصلي الذراعين.

٧ - الشاشة. المسافة الأفضل بين العينين والشاشة تتراوح بين ٥٠ و٧٠ سنتيمتراً، وهذا شرط لمنع الانعكاسات الضوئية، خصوصاً التي تسببها النوافذ، أما إذا كانت الشاشة منحنية أو مائلة إلى الوراء أو إلى الأمام، فلا مفر من تعب النظر.

٨ - الأسلاك. يجب أن تكون منفصلة عن بعضها بعضاً وبعيدة عن اليدين والقدمين لئلا تلتف حولها وتسبب توتراً عصبياً، ولكي لا تحدث احتكاكاً غير مضمون العواقب.

٩ - الأدوات الإضافية. مثل الطابعة و«السكانير»، يجب أن تكون في متناول اليد، فلا تحجبها الأوراق أو الكتب أو غيرها، وإلا فإنها تصبح مصدراً لإضاعة الوقت وأحياناً للنرفزة.

١٠ - القرص الصلب. يجب أن يكون في متناول اليد، ومن الأفضل أن يكون مرتفعاً عن الأرض ليسهل وضع الاسطوانات فيه، فلا يضطر مستخدمه إلى الانحناء ●

مواقع مهمة في شبكة الإنترنت

● موقع تبديل العملات

http://www.konouz.com/revista/

من أهم المواقع التي تُقدم يوماً بيوم وساعة بساعة آخر أسعار العملات العالمية والعربية وتحويلها من عملة إلى أخرى يستمد هذا الموقع سعر الصرف والتحويل من مواقع مالية مهمة في العالم ويقدم بدقة قيمة التحويل من وإلى أي عملة في العالم.

● موقع الأطفال العرب:

http://www.horus.ics.org.eg\arabic

موقع مصمم خصيصاً للأطفال. تتنوع خدماته، فيه معلومات تاريخية مفيدة وألعاب لتسلية الأطفال. وهو مترجم إلى ثلاث لغات عربية وإنكليزية وفرنسية، ترافق الزائر لهذا الموقع شروح صوتية عن كل قسم من أقسام الموقع مسجلة بصوت طفل مما يشد إليه اهتمام الأطفال العرب، خصوصاً الذين يرغبون في المشاركة بألعابه وتساليه.

● مفكرة الإنترنت:

http://www.anyday.com

يقدم هذا الموقع مفكرة مجانية لاستخدامها في حفظ المواعيد ولرسم مخطط عملي يومي لما تريد القيام به، كما يقدم مفكرة للعناوين وأرقام الهواتف وروزنامة «تقويم» مع منبه يقوم بتذكيرك بالمواعيد أولاً بأول، وجميع هذه الخدمات بالمجان، ضع مفكرتك على الإنترنت واحصل على العناوين التي تريد أينما كنت.

٢٠٠ بليون دولار خسائر هجرة العلماء

قدَّر تقرير أعدته جامعة الدول العربية خسائر الدول العربية جراء هجرة علمائها إلى الخارج بما يزيد على ٢٠٠ بليون دولار، مشيراً إلى أن الدول الغربية هي المستفيد الأكبر من «احتضان» أكثر من ٤٥٠ ألف عربي من حملة الشهادات والمؤهلات العليا.

وحذَّر التقرير الذي نشرت صحيفة «الراية» القطرية مقتطفات منه من أن هجرة العلماء العرب تمثل «كارثة جديدة» تهدد مستقبل الدول العربية في ساحة السباق العلمي التكنولوجي مع إسرائيل.

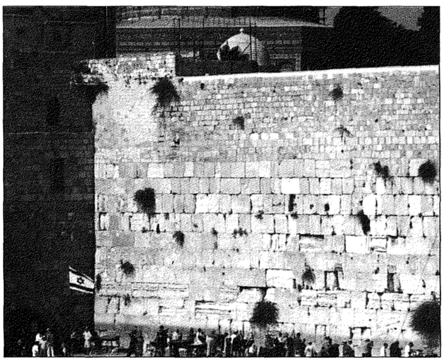
وقال التقرير: إن إسرائيل تفوقت في ساحة الصراع العلمي مع العرب عن طريق إغراء العلماء الأوروبيين والأميركيين وتوطينهم داخل إسرائيل، في الوقت الذي تزايدت فيه هجرة العلماء العرب إلى الخارج، وفشلت الدول العربية حتى الآن في استعادتهم أو الاستفادة منهم.

وأضاف التقرير أن إسرائيل احتلت المرتبة ٢٤ بين الدول المتقدمة والمرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأميركية في مجال الأبحاث والقدرات العلمية.

وكانت هيئة اليونسكو نبهت في تقريرها العلمي الأخير إلى تدنِّي نصيب الدول العربية من براءات الاختراع التكنولوجي على مستوى العالم، حيث بلغ نصيب أوروبا من هذه البراءات ٤٧,٤٪ وأميركا الشمالية ٣٣,٤٪، واليابان والدول الصناعية الجديدة ١٦,٦٪.

غير أن الصحيفة لم تشر إلى نصيب العرب تحديداً من تلك البراءات ●

مفتي مصر: حائط البراق وقف إسلامي



أكد مفتي مصر الشيخ نصر فريد أن الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف ملك للمسلمين ويجب عدم تسميته بحائط المبكى.

وأصدر واصل فتواه تعزيزاً لفتوى المفتي العام للقدس الشيخ عكرمة صبري بهذا الشأن يوم الثلاثاء.

وأكد واصل أنه لا يمكن الاعتراف بأي ملكية لليهود لهذا الحائط وأن وضع اليد من قبل السلطات الإسرائيلية هو تصرف احتلالي لا يعطيها الصفة الشرعية مهما طال الزمن. وقالت الصحيفة: إن واصل كان يعقب على تقارير صحفية ذكرت أن السلطات الاسرائيلية تحاول ترميم الحائط بعد تساقط بعض أحجاره قائلاً «لا يجوز شرعاً التصرف فيه فهذا شأن إسلامي وأن ترميمه من واجبات الأوقاف الإسلامية» ●

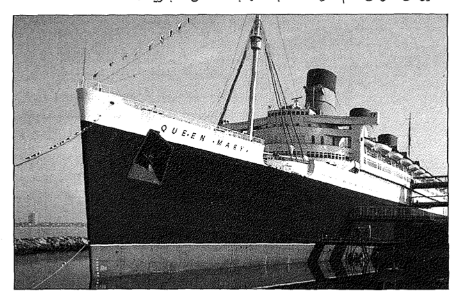
الإسلام دين رسمي في السويد

في خطوة تعكس رغبة الحكومة السويدية في أن يكون الإسلام ديناً رسمياً مثل المسيحية واليهودية في الدولة، أعلنت الحكومة أنها ستخصص مبلغ «٣٢٠ ألف كرونة سويدية» لترجمة جديدة للقرآن الكريم، وبناء أكبر مسجد في إحدى المدن السويدية، وتقوم الحكومة السويدية باتباع سياسة خاصة مع المسلمين في إطار ما يعرف بمجتمع متعدد الثقافات والمعتقدات، وفي نطاق هذه السياسة سوف تقدم وزارة التربية دعماً مالياً كبيراً للمدارس العربية الإسلامية التي لا تخلو مدينة سويدية منها، كما تسمح بتدريس اللغة العربية لأبناء العرب والمسلمين حتى يحافظوا على اللغة الأم، فضلاً عن حرص المدارس السويدية على تقديم وجبات طعام إسلامية للمسلمين في المدارس، حفاظاً على معتقداتهم ●

١٦ مليار دولار خسائر القرصنة البحرية في العالم

يبدو أن ظاهرة القرصنة البحرية التي انتهت قبل قرون لم تنته بعد في بعض أجزاء عالم القرن الحادي والعشرين. ففي احدى زنزانات سجن مدينة «بيكانبارو» النفطية التي تقع على بعد ٥٦٠ ميلا إلى الشمال الشرقي من جاكارتا يقبع القرصان «تشو تشانغ كيات» بعد أن دانته محكمة بممارسة القرصنة في محيط الجزر المنتشرة في منطقة «مضيق ملاقة» حيث أصبحت القرصنة ظاهرة منتشرة.

وتشير تقارير «مكتب الملاحة البحرية العالمية» التابع للغرفة التجارية العالمية، إلى أن العام الماضي وحده شهد ٤٦٩ حادث قرصنة في مختلف مناطق العالم، مقارنة بـ ٣٠٠ حادث العام قبل الماضي. وتعتبر نسبة حوادث القرصنة التي سجلت العام الماضي الأعلى منذ العام ١٩٩١ عندما بدأ «مكتب الملاحة البحرية العالمية» في متابعة ظاهرة القرصنة والحد منها. وتشير التقارير أيضاً إلى أن أهداف القرصنة البحرية الحديثة تشمل الناقلات المحملة بالنفط وشحنات كتل الألومنيوم وخزانات السفن والناقلات التي لا تخلو مطلقاً من مختلف أنواع العملات. ورغم عدم توافر تقديرات دقيقة، فإن القرصنة تكبد خسائر تصل إلى نحو ١٦ مليار دولار أميركي في العام. ويرى بعضهم أن ظهور القرصنة مجدداً يعتبر من مساوئ العولمة، إذ إن الزيادة الكبيرة في حركة التجارة العالمية خلال فترة السنوات العشر السابقة أتاحت الكثير من الفرص أمام القراصنة الجدد لمهاجمة السفن التجارية ●



العولمة الاقتصادية تتفاعل في الشارع الأوروبي

تأثيرات العولمة أخذت تظهر قوية في العالم الغربي، حيث المواجهة الأخيرة التي خاضها مناهضو العولمة في المنتدى الاجتماعي الذي عقد في البرازيل بمواجهة منتدى دافوس، استمرت في فرنسا مع التظاهرة الضخمة التي ضمت آلاف المزارعين الفرنسيين، احتجاجاً على محاكمة القائد النقابي جوزيف بوفيه، بتهمة قيامه بقيادة حملة لتخريب أحد حقول الأرز المعالجة جينياً... علماً أن بوفيه كان أحد نجوم منتدى البرازيل.

أما في بلجيكا، فقد عبَّر العاملون في شركة الطيران البلجيكية «سابينا» عن ارتياحهم لقرار عدم تصفية الشركة، فتظاهروا أمام أحد الفنادق في بروكسيل ●

أخبار سريعة

- أكد قسم المتفجرات في مديرية الدفاع المدني أن الاحتلال الإسرائيلي استخدم أنواعاً كثيرة من الغازات السامة التي لها آثار مدمرة وسيئة على حياة الناس، إما مباشرة أو بعد فترة من الزمن.
- اعترفت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية الإسرائيلية بأن نحو ٦٤ ألف إسرائيلي فقدوا وظائفهم بسبب تدهور وتباطؤ أحوال الاقتصاد الصهيوني الناجم عن الانتفاضة الفلسطينية.
- تعيش الأقلية المسلمة في الأرجنتين حالة من الحذر والخوف من اعتداءات بعض الجماعات الفاشستية داخل البلاد، حيث تعرَّض عدد من المساجد في العاصمة «بونس أيريس» لعدد من الهجمات في الشهر الماضي. وقد حذر المدَّعي العام الفيدرالي بالأرجنتين من وقوع اعتداءات جديدة تستهدف الطائفة الإسلامية.
- أكد التقرير الأخير لمنظمة الصحة العالمية أن تناول المشروبات الكحولية تسبب في وفاة نحو ٧٧٥ ألف شخص في العالم العام الماضي، كما أدى إلى الإضرار بحياة ١٩,٣ مليون شخص. أي أن الخمور مسؤولة عن ٣,٥٪ من إجمالي الوفيات والإعاقات في العالم.
- أعلن البنك الدولي أنه يقوم بدراسة بعض المبادئ الإسلامية المتعلقة بالتعاملات المالية والزكاة الشرعية بغية الاستفادة منها في وضع استراتيجيات مكافحة الفقر حول العالم.

تزايد أعداد الضحايا الكشميريين وسط أجواء التجاهل العالمي

رغم مرور أكثر من خمسين عاماً على محنة شعب كشمير المسلم، فإن القضية لم تلق أي اهتمام من جانب المجتمع الدولي والغربي بوجه خاص.

ورغم الادعاءات الإعلامية بضرورة حماية حق الشعوب في تقرير المصير فإن مصادر المقاومة الكشميرية تؤكد أن الهند ترفض تنفيذ تلك القرارات بتواطؤ كامل مع الغرب ومؤسساته ومنظمات الأمم المتحدة.

ووسط هذه الغيوم يحتفل الشعب الكشميري بذكرى اليوم العالمي للتضامن معه فيما تبرز على أرض الواقع صورة قاتمة للاحتلال الهندي لهذا الجزء المسلم.

فاتورة الحرية التي دفعها الشعب الكشميري المسلم حتى الآن بلغت عشرات الآلاف من الشهداء ومئات الألوف من المصابين والمعتقلين. واشتملت الفاتورة كذلك على تدمير عشرات القرى وإحراق عشرات المساجد ذات القيمة الأثرية الكبرى.

كما رفضت إجراء أي مباحثات للتوصل لحل للقضية عبر المفاوضات مع أطراف النزاع الرئيسة وهما باكستان وأحزاب المعارضة الكشميرية المطالبة بالاستقلال عن الهند.

ومن المفارقات المحزنة موقف الغرب من قضية استقلال تيمور الشرقية ووقوفه بكل قوة لتحقيق هذا الاستقلال حتى تحقق، وموقف اللامبالاة تجاه رغبة كشمير في الاستقلال ●

أمين عام الأيسيسكو: نصف سكان العالم الإسلامي أميّون!

أعلن الأمين العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» الدكتور عبدالعزيز التويجري أن نسبة الأمية في دول العالم الإسلامي تفوق ٤٦ في المئة من مجموع السكان الكلي، وهو ما يعني أن نصف سكان العالم الإسلامي لا يعرفون القراءة والكتابة!

وقال: إن المنظمة وضعت برنامجاً طموحاً لمواجهة هذه المشكلة هو البرنامج الإسلامي الخاص لمحو الأمية والتكوين الأساسي الذي تم إقراره عام ١٩٩٠.

واعترف بأن القضاء على الأمية في بلدان العالم الإسلامي أمر صعب وشاق ويحتاج إلى جهود كبيرة وتمويل ضخم وكفاءات متعددة لتحقيق هذا الهدف.

ورغم أنه اشتكى من أن عدداً كبيراً من الدول الاعضاء في المنظمة لا تفي بالتزاماتها المالية في ميزانية ايسيسكو.. أكد أن المنظمة لا تعاني أزمة مالية حالياً وأن لديها وسائل لتتوافر لديها موارد خارج اطار المنظمة بما يضمن لها الاستمرار في تنفيذ اهدافها ●

الإيدز أكبر تهديد للتنمية وتحذير دولي من الوباء القاتل

في تقرير للأمم المتحدة أن وباء الأيدز يشكل «أخطر تهديد للتنمية» ودعا الحكومات إلى حشد المزيد من الموارد وتكثيف جهود الوقاية والعناية. وأشار الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان في هذا التقرير إلى أن على الحكومات أن تلجأ إلى مزيد من الاجراءات بغية تحجيم هذا الوباء القاتل الذي أصاب ٣٦.١ مليون رجل وامرأة وطفل في نهاية العام ٢٠٠٠.

ويقول التقرير: إن ٥.٣ ملايين شخص أصيبوا بالمرض في العام ألفين وأن ٣ ملايين شخص آخرين توفوا بسببه.

وإذا ما استمر انتشاره بهذه الوتيرة، فإن النمو الاقتصادي في الدول التي تسجل أكبر عدد من المصابين، سينخفض بنسبة ٢٥٪، على حد ما توقع عنان. ولفت التقرير إلى أن الأموال المخصصة لمكافحة هذا الوباء «غير كافية بالنظر إلى مدى انتشاره». وقال: إن تطبيق برامج الوقاية والعناية في القارة الافريقية قد يكلف ٣ بلايين دولار على الأقل في السنة.

في لندن اعلنت مجموعة «غلاكسو سميثكلاين» البريطانية لتصنيع الأدوية أنها ستبيع أدويتها المضادة للأيدز بأسعار مخفضة للمنظمات غير الحكومية القادرة على توزيعها في البلدان الفقيرة.

وقال «جان بيير غارنييه» المدير العام للمجموعة «سنعرض بيع أدويتنا المضادة للايدز بأسعار مخفّضة للمنظمات غير الحكومية القادرة على توزيعها في البلدان الفقيرة ●

مليونا هندي لإجراء تعداد سكاني

بدأت أكثر من مليوني موظف هندي يوم ٢٠٠١/٢/٩م عملية ضخمة لإحصاء تعداد سكان الهند، ثاني أكبر بلد في العالم من حيث تعداد السكان والذي يُقدر بأكثر من مليار نسمة.

وقد توزع الموظفون المكلفون إجراء هذا الإحصاء الأول منذ عشر سنوات والأكثر اتساعاً في تاريخ الهند، على نحو ٦٥٠ ألف قرية و٥٥٠٠ مدينة وبلدة في البلاد.

يُشار إلى أن الهند التي تخطت عتبة المليار نسمة في ١١ مايو الماضي حسب تقديرات رسمية، على طريق اللحاق بالصين التي يُقدر عدد سكانها بـ١,٣ ميار نسمة. ويعتبر الخبراء أن الهند ستتخطى الصين في العام ٢٠٤٠، ويفترض أن تكون عملية الإحصاء في الهند قد انتهت في ٢٨ فبراير الماضي على أن تظهر النتائج الأولى خلال ثلاثة أشهر، وسيتيح هذا الإحصاء معرفة سلوك وأنماط حياة السكان الموزعين على ٢٧ ولاية وخمس مناطق إدارية ●

إعداد : عبدالمنعم أحمد

المجاعات سببتها الإمبريالية البريطانية سابقاً والآن تتولى العولمة الدور نفسه

هذه دعوة إلى أنصار العولمة في كل مكان أن يأخذوها بعين الاعتبار، في المرة الأخيرة التي أزال فيها العالم الحواجز الحدودية وأحنى هامته أمام التجارة الحرة، تزامن ذلك مع انتشار جائحة المجاعات بدءاً بالصين ومروراً بإثيوبيا والهند وانتهاء بالبرازيل.

لقد حدثت المجاعات في القرن التاسع عشر، عندما كانت الإمبراطورية البريطانية تسيطر على عالم التجارة كما تفعل الولايات المتحدة الآن. ومن هو الطرف الذي اعتبرته الإمبراطورية مسؤولاً عن تلك المجاعات التي أجهزت على حياة خمسين مليون إنسان؟

لقد أنحت باللائمة آنذاك على المناخ، وبالتحديد على نزوات الطقس التي أطلق عليها مصطلح «إل نينيو» في تلك الأيام.

والحال إن التمسك بهذا السبب كان - كما يقول «مايك ديفيز» في كتابه «عمليات الهولوكوست في أواخر العصر الفكتوري» لا يقل كذباً ونفاقاً عن إنحاء اللوم على الطقس باعتباره سبب حدوث المجاعة في الوقت الحاضر.

العنوان الفرعي لكتاب «ديفيز» الآنف الذكر هو: «مجاعات إل نينيو ونشوء العالم الثالث»، وهو يقدم سرداً ممتازاً للتاريخ البيئي والاقتصادي والاستعماري، يقول فيه على نحو مقنع: إن التجارة الحرة ورياح التجارة المفتوحة هي التي تسببت في حدوث كل هذا العدد الكبير من الخسائر في الأرواح. ويقول المؤلف: «كل مجاعة عالمية كانت بمثابة الضوء الأخضر لعملية اجتياح إمبريالية»، ضد أناس جائعين وحكومات لا حول لها ولا قوة.

وبينما هبَّت الرياح الآسيوية الموسمية في القرن التاسع عشر لتنشر الدمار بين عامي ١٨٧٦ و ١٨٧٩م، وعام ١٨٨٨ حتى عام ١٨٩١، وعام ١٨٩٦ حتى عام ١٩٠٢، وحاول على إثرها عالما المناخ البريطانيان «هنري بلانفورد، وجيلبرت ووكر»، فهم أسباب هذه المجاعات المفاجئة، يشير «ديفيز» إلى أن جنود الإمبراطورية «كانوا يسارعون إلى اغتنام الفرص والسيطرة على الأراضي في عدد من المستعمرات».

ويحاجج «ديفيز» في كتابه قائلاً: «إن تلك المجاعات حدثت وأطيل أمدها خلال العصر الذهبي الأول للرأسمالية الليبرالية». وهو يرى أنها كانت مجاعات خطيرة بلا شك، غير أنها لم تسفر مطلقاً عن



حدوث نقص كامل في الغذاء، وربما تستثنى أثيوبيا وحدها عام ١٨٨٩م من هذا الحكم. فهناك جاع الناس لأسباب تتعلق بانهيار نظم التعاون والتجارة التي اعتمدت تقاليد القرية التي كانت تحمي السكان عندما يكون حصاد الموسم سيئاً.

ولكن لماذا انهارات هذه الأنظمة؟

أحد الأسباب التي أدت إلى ذلك هو أنها كانت تصطدم مع سلم الأوليات لدى الأمبراطورية، فقد دمر المندوبون الساميون البريطانيون الزراعة المحلية الهندية من أجل أن يحولوا الأراضي إلى زراعة القمح الذي كان يطعم أوروبا، كما أنهم أنشأوا سكك الحديد التي نقلوا بها المحاصيل إلى بلادهم. وهكذا فقد الملايين سُبل عيشهم التقليدية نتيجة لذلك، ما علاقة التجارة الحرة بالمجاعات؟

العلاقة هي أن أسعار القمح، لأسباب تتعلق بالتجارة الحرة، أصبحت تعكس أسعار السوق العالمية، وهذا الوضع يكون بالغ السوء مادام المرء يعيش في لاهور حيث الأجر الذي يتقاضاه يبلغ جزءاً صغيراً مما يتقاضاه نظيره في «ليفربول»، وهذا هو ما يسميه «ديفيز» البيئة السياسية للمجاعة.

هذا الكتاب إنجاز عظيم حققه مؤلف له سمعة يتعاظم شأنها من حيث تميزها بوضوح التفكير، ولكن لماذا نعمد الآن إلى كتابة هذه المراجعة لكتاب «عمليات الهولوكوست في أواخر العصر الفكتوري» في مجلة علمية؟

هناك سبب رئيس لذلك: أن وصفه للطريقة التي أخفق فيها العلم في مواجهة ظاهرة «إل نينيو» من أفضل ما قرأت. فهو يشرح كيف تعثرت خطوات علماء المناخ في «العصر الفكتوري» عندما شرعوا في دراسة حال التذبذب التي طرأت على الضغط الجوي فوق المحيط الأطلسي وذلك في سياق محاولتهم تفسير تقلبات الرياح الموسمية «المونسون».

وأخيراً يمكن القول: إن القرن الحالي سيشهد تغيرات ملحوظة في المناخ تتخذ شكل السخونة على مستوى الكرة الأرضية كلها. وهذه التغيرات ستؤدي بدورها إلى المزيد من القحط. وكما هو الأمر في الماضي، فإن العولمة ستكون هي السبب في حدوث المجاعات والأوبئة التي ستكون شعوب العالم الثالث ضحية لها. لكن الإمبراطورية لن تكون هي الملومة هذه المرة. كما أنه لن يكون باستطاعتنا أن نلقي اللوم على الطقس ●

مجلة «نيوساينتيست - بريطانيا»

إعداد : عبدالكريم خليل

بيت التمويل يبيع العقارات عبر الانترنت

أعلن بيت التمويل الكويتي «بيتك» عن بدء تقديم خدماته المتعلقة ببيع العقارات بمختلف أشكالها من خلال موقع البيت على الانترنت وهو «كي. اف. اتش دوت كوم» وذلك للمرة الأولى في الكويت.

وقال مدير إدارة العقار المحلي في «بيتك» محمد جاسم ذكر الله لوكالة الأنباء الكويتية: إن المطروح حالياً من العقارات على الموقع هو العمارات الاستثمارية التي تبدء أسعارها من ١٧٠ ألف دينار.

ومضى قائلاً : إن عدد العمارات المطروح حالياً على الموقع هو ٢٨ عمارة مع استمرار وضع المزيد من العمارات التي يرغب أصحابها في بيعها على الموقع.

وأوضح، ذكر الله، أن العميل يمكنه أن يدخل إلى موقع البيت على الانترنت ثم يختار قسم العقار المحلي ومنها ينتقل إلى قسم العمارات، حيث تظهر له جميع العمارات التي يمكنه أن يتعرف إلى أوصافها ودخلها السنوي والشهري.

ومضى قائلاً: إن العميل إذا ما استقر على اختيار معين يمكنه الاتصال على إدارة العقار المحلي عن طريق البريد الالكتروني لمتابعة الإجراءات بعد ذلك.

وأشار، ذكر الله، إلى أن الخطوة التالية ستكون طرح الأراضي الاستثمارية والسكنية والفلل وغيرها من أنواع العقارات ●

صندوق البركة لمؤشر «داوجونز» الإسلامي يستقطب المستثمرين

طرحت شركة التوفيق للصناديق الاستثمارية المحدودة أخيراً، أحدث صناديقها الاستثمارية، وهو صندوق البركة لمؤشر «داو جونز» الإسلامي الذي يستهدف تحقيق معدلات أداء تضاهي معدلات أداء مؤشر «داو جونز» للأوراق الإسلامية «إس إم»، وهو مؤشر يضم أسهم شركات متنوعة ومنتشرة على نطاق العالم، وله أداء تاريخي مميز، ويمتلك الصندوق إمكانات واعدة تجعله أكثر استقطاباً للمستثمرين، ويتضمن مجاله الاستثماري ٦٤١ شركة منتشرة في ٣٣ دولة في العالم، كما تميز استثماراته بأدنى درجة مخاطرة.

ويصل الحد الأدنى للاكتتاب بالنسبة إلى المستثمرين الأفراد ٢٠٠٠٠ دولار أميركي، و٥٠٠٠٠ دولار أميركي بالنسبة إلى المؤسسات والشركات، وتنوي شركة التوفيق استقطاب مشاركات من المستثمرين بمبلغ إجمالي قدره ٥٠ مليون دولار أميركي.

الجدير بالذكر أن صندوق البركة لمؤشر «داو جونز» الإسلامي يعتبر منتجاً إسلامياً مثالياً للمستثمرين الذين يسعون إلى تحقيق نمو رأسمالي متوسط إلى طويل الأجل، من خلال الاستثمار في محفظة أوراق مالية متنوعة ومتفقة مع أحكام الشريعة الإسلامية ●

بوابة جديدة للاستثمارات الإسلامية تطلقها «اي. سي فنشرز» و«رسملة»

قالت شركة «اي. سي. فنشرز» التابعة لشركة اندرسن الاستشارية وصندوق «رسملة» الاستثماري السعودي إنهما سيطلقان معاً بوابة جديدة على شبكة الإنترنت للاستثمار في الأدوات المالية الإسلامية. وقال علي الشهابي رئيس البوابة الجديدة والشريك المدير في رسملة «لرويترز»: إن الجانبين يعتزمان إطلاق البوابة في الربع الأول من العام المقبل.

وأضاف أن الهدف هو إتاحة توزيع عالمي متخصص للمنتجات المالية الإسلامية التي تعرضها أطراف ثالثة، وهو ما لم يتح حتى الآن للمستثمرين المسلمين على مستوى عالمي، وقال الشهابي: إن البوابة التي تشارك «إي. سي. فنشرز» بنسبة ١٧٪ في رأسمالها والباقي لصندوق رسملة ستتيح مجموعة مختلفة من الأدوات والخدمات المالية الإسلامية لسوق يضم ٢٢٥ مليون نسمة على مستوى العالم يمثلون ٢٠٪ من عدد المسلمين في العالم، وصندوق «رسملة» شركة ذات مسؤولية محدودة متخصصة في الاستثمار في قطاعات الخدمات المالية في العالمين العربي والإسلامي، ويملك بنك «دويتشه» الألماني ١٨٪ من الصندوق والبنك السعودي الأميركي ١٠٪ والباقي يملكه مستثمرون سعوديون. ويقول مصرفيون: إن السوق تنمو بمعدل ٢٠٪ سنوياً أو يزيد بفضل انفتاح شهية المسلمين على الاستثمار في الأسهم الدولية وزيادة الثروات الخاصة في منطقة الخليج.

وقال الشهابي: إن صناعة المال الإسلامية لم تبذل جهداً كافياً في تسويق منتجاتها الإسلامية لجمهور عالمي وبخاصة في أميركا الشمالية وأوروبا. وأضاف: نحن في الأساس نستهدف المستثمرين المسلمين والصغار والمتوسطين في شمال أفريقيا وتركيا والمملكة المتحدة، وأوضح أن الكثير من المسلمين في مختلف أنحاء العالم الذين يريدون الاستثمار في منتجات متوافقة مع الشريعة الإسلامية لا يعرفون ما هو متاح ●

اقتراح بزيادة رأسمال البنك الإسلامي للتنمية

أعلن وزير التخطيط والتعاون الدولي المصري د. أحمد الدرش أن إجمالي القروض التي قدمتها الدول المانحة لتمويل برامج الصندوق الاجتماعي للتنمية في مصر بلغت مليارا و٥٣٠ مليون دولار منها ٦٣٠ مليون دولار للمرحلة الأولى و٩٠٠ مليون دولار للمرحلة الثانية.

جاء ذلك في تصريحات للوزير المصري لمناسبة توقيع اتفاق قرض ميسَّر بين الحكومة المصرية والبنك الإسلامي للتنمية بقيمة ١٠ ملايين دولار اميركي يتم سدادها على مدار ١٥ عاماً وبفترة سماح ٥ سنوات ومن دون فوائد يتم استخدامها في تمويل عدد من المشروعات الصغيرة والمتوسطة بوساطة الصندوق الاجتماعي للتنمية. يذكر أن الصندوق الاجتماعي للتنمية يتعرض حالياً لحملة شديدة من النقد تتهمه بقصور دوره الطبيعي في إقامة صناعات صغيرة ومتوسطة بالإضافة إلى عدم مراعاة القائمين عليه في بعض الأحيان لدور الصندوق الاجتماعي في مساعدة الشباب في مشروعاتهم الانتاجية، إلى ذلك قال الدكتور أحمد محمد علي رئيس إدارة البنك الإسلامي للتنمية أن إجمالي إسهامات البنك في المشروعات التي يتم إقامتها بمصر بلغ ٢٨٥ مليون دولار وذلك في مجالات الصحة والزراعة والصناعة علاوة على تمويل تجاري بلغ ٨٣٠ مليون دولار موضحاً وجود برنامج عمل مع مصر لتمويل عدد من المشروعات في مجالات التعليم والنقل والموارد المائية خلال السنوات الثلاث المقبلة. وأوضح أن إجمالي التمويل الذي قدَّمه البنك للدول الأعضاء خلال العام الماضي بلغ ٢.٣ مليار دولار منها مليار دولار قروض طويلة الأجل و١.٣ مليار دولار قروض قصيرة الأجل تم استخدامها في تمويل العمليات التجارية للدول الأعضاء.

وأكد أن التبادل التجاري بين الدول الإسلامية لا يتجاوز ١٠٪ من إجمالي تجارتها الخارجية وهو معدل هزيل يحاول البنك جاهداً زيادته خلال الفترة المقبلة.

واشار إلى أن وزراء مالية الدول الأعضاء سيبحثون الاقتراح المقدم من دولة الكويت والمملكة العربية السعودية لزيادة رأسمال البنك بنسبة جوهرية حتى يمكن للبنك زيادة مشاركته في تمويل المشروعات العربية موضحاً وجود اتجاه قوي بين الدول الأعضاء للموافقة على الاقتراح، الذي سيتم اتخاذ القرار النهائي بشأنه خلال اجتماع وزراء مالية البنك بالجزائر في شهر أكتوبر المقبل.

وأوضح أن رأسمال البنك المصرح به يبلغ ٦ مليارات دولار، وأن رأس المال المكتتب فيه يبلغ ٤ مليارات دولار، وإن إجمالي عمليات البنك منذ إنشائه وحتى الآن بلغ ٢٦ مليار دولار، استفادت منها الدول الاعضاء ●

دعوة لتطبيق أساليب حديثة للانتفاع الاقتصادي بالأوقاف

أكد المشاركون في ندوة «دور الوقف في تنمية المجتمع» أهمية تفعيل الدور الاقتصادي للوقف في القضاء على البطالة وتدني مستويات الدخول في العالم الإسلامي باعتباره مصدراً ثابتاً ومستمراً لتمويل الحاجات العامة ورعاية الطبقات الفقيرة في إطار نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام. وأكد أيضاً الدكتور محمد عبدالحليم عمر مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي في جامعة الأزهر، أن نظام الوقف من أهم الانظمة الإسلامية، ويعتبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أول من بدأ تطبيقه في أوائل العهد بالنظم والأحكام الإسلامية بهدف إيجاد مصادر دائمة للدخل القومي «بالتعبير الاقتصادي الحديث» حيث ينفق منها على المصالح العامة ثم أخذ الخلفاء الراشدون يتوسعون في تطبيقه. وقال الدكتور عمر أن هذا النظام يعتبر من أفضل الأنظمة لتمويل الانشطة العلمية والثقافية والاقتصادية ولم يقتصر على العقارات كما كان في البدء. وطرح مدير مركز الاقتصاد الإسلامي فكرة جديدة لتفعيل دور الوقف في الحياة الاقتصادية وذلك باتباع اسلوب ديموقراطية التمويل الذي يسود العالم الآن. وتقوم هذه الفكرة على تجديد مشروع وقف لخدمة المجتمع وتحديد حجم التمويل اللازم له ثم إصدار سندات بقيم اسمية مناسبة في حدود ١٠ أو ٢٠ أو ٥٠ أو ١٠٠ جنيه لكل سند وطرحها للاكتتاب العام لتجميع المال اللازم لمشروع الوقف، وأضاف الدكتور عمر أنه يمكن في ترتيب مشابه انشاء صندوق استثمار وقفي لأغراض خيرية مختلفة وتجميع الاموال اللازمة بموجب السندات ثم تتولى إدارة الصندوق توزيع هذه الأموال على الأغراض المختلفة. وأوضح الدكتور عمر أن الهدف من وراء هذه الفكرة السعي إلى إعادة إحياء الوقف وبأسلوب ديموقراطية التمويل، نظراً لزيادة حدة الفقر واتساع نطاقه إلى جانب إتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء في الوقت الحالي. وقال إذا كانت المجهودات العالمية الآن تتجه نحو العمل على تخفيض حدة الفقر بكل الأساليب فانه يحتم على الدول الإسلامية أن تعمل على ذلك ليس استجابة لهذا النداء العالمي، وإنما استجابة لأحكام وتوجيهات دينها الإسلامي الذي شرع من المؤسسات والأدوات ما يعمل على عدم ظهور الفقر كمشكلة، ومن هذه الأدوات الوقف الذي يجب العمل على إحيائه. وذكر مدير مركز الاقتصاد الاسلامي أنه في ظل التحويلات الاقتصادية التي قدمت مع نظام العولمة يمكن لفكرة «سندات الوقف» أن تسهم في علاج البطالة عن طريق إنشاء صندوق وقفي بإصدار سندات وقف يتم بوساطتها تجميع رأسمال مناسب لعمل الصندوق، وتخدم موارد الصندوق بأحد اسلوبين هما الإقراض منه للعاطلين «القرض الحسن» لبدء مشروع انتاجي مناسب لتأهيل العاطل وخبرته على أن يعطى فترة سماح حتى بداية الانتاج والتسويق، ويسدد المبلغ على أقساط مناسبة، ويتضمن الأسلوب الثاني انشاء صندوق استثمار يقوم على مشاركة العاطلين في المشروعات التي يتقدمون بطلب تمويلها إما بنظام المشاركة في الإدارة والتمويل أو بنظام المضاربة الإسلامية الذي يقوم على المشاركة والتمويل من جانب الصندوق ومن جانب العميل والمشاركة في الأرباح التي تتحقق وتحمل الصندوق الخسائر إن كانت من دون تعدٍّ أو تقصير من العميل ●

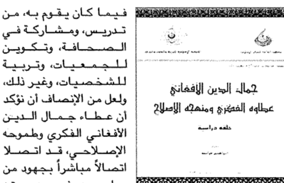
إعداد : محمد هاني

جمال الدين الأفغاني عطاؤه الفكري ومنهجه الإصلاحي

صدر ضمن مطبوعات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ كتاب بعنوان «جمال الدين الأفغاني: عطاؤه الفكري ومنهجه الإصلاحي». ويضم الكتاب نصوص العروض والبحوث والدراسات التي قدمت إلى الحلقة الدراسية التي نظمتها الايسيسكو في العاصمة الأردنية عمان في شهر أبريل ١٩٩٩م، بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب الأردن.

ويعالج الكتاب القضايا والموضوعات التالية: الأفغاني ومنهجه في التعامل مع التراث الإسلامي، والأفغاني ومنهجه في التعامل مع الآخر، وفلسفة التربية عند الأفغاني، ومنهج الأفغاني في التفسير، ومشروع الجامعة الإسلامية في فكر جمال الدين الأفغاني، وجمال الدين الأفغاني وتطور الفكر الإسلامي، وجمال الدين الأفغاني ودوره السياسي في إيران، والأبعاد السياسية لمفهوم العدل في فكر الأفغاني.

وقد قدَّم للكتاب الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والدكتور فتحي حسن ملكاوي المدير التنفيذي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وجاء في التقديم: «أن الأمة الإسلامية وهي تمر اليوم في مرحلة دقيقة في أمسِّ الحاجة إلى تضافر الجهود لتجديد تراثها والنهضة بثقافتها، لتتمكن من استعادة هويتها الحضارية، وإبلاغ رسالتها الإنسانية وتحقيق حضورها العالمي، والإسهام في مسيرة الحضارة الإنسانية وتوجيهها بهداية الوحي الإلهي، ولعل في دراسة سير المصلحين وإظهار إسهامهم في العطاء المتجدد لهذه الأمة، وما قدَّموه من نماذج للتعامل مع الظروف القائمة والتأثير في الواقع ومواجهة تحدياته، ما يُنير الطريق».



«وأبرز التقديم أن المصلح الإسلامي جمال الدين الأفغاني حلقة من حلقات الإصلاح المتصلة، ظهر في ظروف خاصة واجهت فيها الأمة تيارات وتحديات، وكان على هذا المصلح الرائد أن يواجه ذلك كله، وكان لجهوده آثارها في تعميق الوعي بطبيعة المشكلات التي كانت تمر بالأمة، وفي تحريك الجهود نحو الإصلاح، وامتدت تلك الآثار إلى رقعة العالم الإسلامي بحيث شملت جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية».

«وقد تحقق للأفغاني ما تحقق من آثار بسبب تميز شخصيته بالجرأة في التفكير والحركة، والقوة في البيان والتعبير، والانفتاح على سائر الاتجاهات والفئات والطبقات، إلى سعة الاطلاع على تراث أمته وثقافة عصره، والتنوع في الوسائل والتعدد في الأساليب التي استخدمها فيما كان يقوم به، من تدريس، ومشاركة في الصحافة، وتكوين للجمعيات، وتربية للشخصيات، وغير ذلك، ولعل من الإنصاف أن نؤكد أن عطاء جمال الدين الأفغاني الفكري وطموحه الإصلاحي، قد اتصلا اتصالاً مباشراً بجهود من جاء بعده في مدرسته الإصلاحية، مروراً بالشيخ محمد عبده أقرب تلامذته إليه، فالشيخ محمد رشيد رضا، ثم سائر العلماء والدعاة والمصلحين، إلى يومنا هذا».

«وإذا كان جمال الدين الأفغاني رائداً لحلقة فكرية ثقافية إسلامية واسعة التأثير دعت إلى التجديد الحضاري للأمة، والتعبئة العقلية والفكرية والسياسية لمواجهة التحديات الصارمة والتيارات العاصفة، فإنه يستحق منا جميعاً التعريف برسالته الحضارية والكشف عن إسهاماته الإصلاحية ولا سيما في هذا العصر الذي يحتاج فيه المسلمون إلى القدوة الحسنة وإلى تصحيح المفاهيم وترسيخ القيم، وإلى إعادة ثقة الأجيال في ماضيها بالأمجاد». يقع الكتاب في ٤٦٨ صفحة، وصدر في عمان ●

الإيسيسكو تعلن عن جوائز للمبدعين في الأدب

أعلنت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ عن تخصيص جائزة الإيسيسكو للمبدعين الشبان من الدول الأعضاء، في مجال الآداب «شعر، قصة، رواية... إلخ» بإحدى اللغات الثلاث: العربية أو الإنكليزية أو الفرنسية، وحدد يوم الفاتح من مايو ٢٠٠١ آخر موعد لموافاة المنظمة بأسماء المرشحين، بينما حدد يوم ٣٠ يوليو ٢٠٠١م، موعداً لوصول الأعمال الأدبية الإبداعية المرشحة للجائزة. وسيُقام في شهر أكتوبر ٢٠٠١م، في مقر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، حفل تسليم الجائزة، وستتحمل المنظمة تكاليف سفر الفائز بالجائزة وإقامته الكاملة، وستخصص للفائز جائزة مالية وتمنح له ميدالية الإيسيسكو.

وباب الترشيح لجائزة الإيسيسكو مفتوح أمام الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و٢٨ عاماً، من الدول الأعضاء المبدعين في أحد الأجناس الأدبية، ويشترط في المرشح أن يكون منتمياً إلى إحدى الدول الأعضاء في الايسيسكو، وأن تتوافر في العمل الأدبي للمرشح جدة الموضوع، وتوجهه الإسلامي، وأصالة الرؤية ومعاصرتها، وفصاحة اللغة وسلامتها، على أن يقدم العمل مرقوناً وعلى قرص حاسوب I.P.M وألا يكون قد نُشر أو أذيع أو رُشح لجائزة أخرى. والهدف من جائزة الإيسيسكو للمبدعين الشباب، هو تشجيع شباب العالم الإسلامي على مواصلة اجتهاداتهم في المجال الأدبي، وإبراز الكفاءات الأدبية الشابة المتميزة، وترسيخ القيم الحضارية الإسلامية في الإبداع الأدبي لدى الشباب.

وترسل الترشيحات إلى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «مديرية الثقافة والاتصال» ص.ب: ٢٢٧٥، الرمز البريدي ١٠١٠٤، حي الرياض ـ الرباط المملكة المغربية، الفاكس ٣٧٧٧٥٠٥٨ ـ ٣٧٧٧٧٤٠٥ (٢١٢) البريد الإلكتروني cid@isesco.org.ma ●

زكاة الحقوق المعنوية





عن دار الراوي في المملكة العربية السعودية وفي نحو ١١٢ صفحة من القطع المتوسط، صدر كتاب «زكاة الحقوق المعنوية» للدكتور عبدالحميد محمود البيلي، يتألف الكتاب من فصلين، الأول تمهيدي، يتحدث عن زكاة عروض التجارة، والثاني عن الحقوق المعنوية في الزكاة. ويقول المؤلف عن مصطلح الحقوق المعنوية: إنه سليل القانون الوضعي والدراسات القانونية، وشاع استعماله فيها على نحو مباشر، إذ لم يكن القانون يعرف غير الأشياء المادية، ولكن تقدم الفكر مع اختراع الطباعة وازدهار التجارة والصناعة أخذ ينشئ بالتدريج أشياء غير مادية، أي أشياء غير ذات حيز محسوس من تأليف أدبي وفني ومخترعات ومبتكرات في الصناعة والتجارة، ويقول المؤلف: إن الحقوق المعنوية لها اتصال بموضوعات الفقه الإسلامي من خلال تناول للحق وإظهار حقيقته وماهيته وأقسامه وحدوده ومن خلال تناوله للمنافع وماليتها أيضاً.

ويقرر المؤلف أن الحقوق المعنوية تعتبر أموالاً منقولة ذات قيمة مالية في عرف الناس، ومعاملاتهم، ويمكن حيازتها معنوياً بنسبتها إلى صاحبها والانتفاع بها انتفاعاً مشروعاً تترتب عليه نتائج معنوية تشكل الجانب الأدبي فيها ونتائج مادية تشكل الجانب المالي فيها هي محل الاستغلال المالي، وبهذا توصل الباحث إلى نتائج مهمة وهي أن الحقوق المعنوية لم يؤثر فيها نص شرعي ولم يتناولها الفقهاء بهذا المصطلح، وإن كان لها في الفقه الإسلامي نظائر، كما أن الحقوق المعنوية تنطوي على جانب مادي أو معنوي وجانب مادي تجوز المعاوضة عنه والانتفاع به، ونزولاً على ذلك تعتبر الحقوق المعنوية مالاً وتختلف حيازتها بسبب طبيعتها كصدورها عن صاحبها ونسبتها إليه، فالمنافع عند جمهور الفقهاء أموال لإمكان حيازتها بحيازة أصلها لكنها لا تزكى زكاة عروض التجارة لصعوبة ذلك، ولكن المال المتحصل من استغلال الحقوق المعنوية يزكى زكاة النقدين بشروطها من بلوغ النصاب وحولان الحول من وقت القبض ●

أدب الاختلاف في الإسلام

يشتمل كتاب «أدب الاختلاف في الإسلام الذي صدر أخيراً ضمن مطبوعات الايسيسكو على العروض والدراسات التي قدمت إلى الندوة التي عقدتها الايسيسكو في تونس في شهر ديسمبر من العام ١٩٩٨م بالتعاون مع جامعة الزيتونة التونسية ويقع الكتاب في ثلاثة أبواب الأول عن مفهوم الاختلاف ويضم خمسة أبحاث تتناول الاختلاف وأسلوب الحوار الحكيم وأسباب الاختلاف، وحرية الرأي في الإسلام وأدب الحوار في الإسلام، وحقيقة الاختلاف في وجهة النظر الإسلامية، ويختص الباب الثاني بمجالات الاختلاف وتشمل مجالات الاختلاف وضوابطه، وأدب الاختلاف لدى الصحابة، والاختلاف لدى علماء المذاهب، ويتناول الباب الثالث الخاص بالاختلاف المجتمع الإسلامي المعاصر، دور البرامج التعليمية في إرساء أدب الاختلاف - جامعة الزيتونة نموذجاً - والاستفادة من الاختلاف المذهبي في تنظيم المجتمع الإسلامي وتطويره ودور الاختلاف في إثراء الفكر مقارنة نفسية والاختلاف وقضايا العصر، يقع الكتاب في ٢٩١ صفحة من القطع المتوسط ●

أخبار ثقافية

- تقرر أن تكون مسابقة جائزة وقف الدكتور محمد شوقي الفنجري هذا العام حول موضوعين رئيسين هما: «التجديد في الفقه الإسلامي»، و«الانفصام بين العقيدة والسلوك... المشكلة والحل» وتبلغ قيمة الجوائز التي ستُمنح للفائزين خمسين ألف جنيه مصري.
- أعلن رئيس جامعة اليرموك الأردنية الدكتور فايز الخصاونة أن مجلس عمداء الجامعة قرر منح رئيس مجلس أمناء ومؤسس جائزة البابطين للإبداع الشعري الأستاذ عبدالعزيز البابطين شهادة الدكتوراة الفخرية في الأدب.
- قرر المجلس التنفيذي لرابطة الجامعات الإسلامية تشكيل لجان علمية من كبار أساتذة الجامعات لبحث إنشاء أول جامعة إسلامية أوروبية لتحقيق أهداف عدة أولها تصحيح صورة الإسلام في الغرب.
- انضمت الجزائر إلى منظمة الايسيسكو وبذلك ارتفع عدد الدول الأعضاء في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إلى خمس وأربعين دولة.
- أنشيء في القاهرة مؤخرا أول صندوق دولي للإمام البخاري لإحياء التراث الإسلامي وتعريف العالم العالم الإسلامي بتراث أوزبكستان والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى.

بقلم: علي محمد محاسنة



«أرجو المعذرة... تفضل... دقائق فقط وأكون معك... وقبل أن تكمل فنجان الشاي... نعم... عن إذنك...».

هكذا استقبلني أبو بكر صديقي بعد عصر يوم الخميس تحت عريش العنب وكأنه يطارد شيئاً يحاول الإفلات من بين يديه... حتى أحسست وكأنني جئت في وقت غير مناسب... لكنه لم يدعْ لي فرصة إبداء الرأي أو عرض المساعدة... بل انهمك يكتب سريعاً على دفتر أمامه كأنما يفرغ من رأسه أشياء تتزاحم ولا يريد لأي منها أن يضيع... وكان له ما أراد ... وجلستُ، مع الشاي... أفاق مع آخر سطر... وعاد إليّ ببصره وحديثه... وبعد تحية مكررة وقدّم إليّ ورقات مكتوبة بخط اليد... «تفضل اقرأ...» قالها وهو يبتسم بزهو وثقة... ونظرات أمل بعضها ينطلق بعيداً عبر النافذة إلى سماء زرقاء لاحدود لها... ورحت اقرأ... «يوسف هذا تلميذ في الصف الثامن بمدرسة الفاروق عمر... اختار له جده هذا الاسم تيمناً باسم رفيقه يوسف العظمة شهيد معركة ميسلون قرب دمشق الذي قاد الجيش السوري ضد الغزاة الفرنسيين. تلك المعركة التي حمل الجد على جبينه وساماً منها هو أثر جرح وصفته الجدة بأنه سرُّ البهاء والوسامة الذي رأته على وجه ذلك الشاب الذي تقدم لخطبتها بعد سنوات من ميسلون.

قال الجد وهو يرفع الآذان عند أذن الوليد الجديد يوسف... ومازلت أتذكر... «يا ولدي أسأل الله أن يبارك لنا في ولدك هذا... وأن يجعله مثل يوسف... ورفاق يوسف... فكم نحن بحاجة لأمثال هؤلاء... نحن أهل الشام في رباط وجهاد إلى يوم الدين... هكذا علّمنا آباؤنا... أن نسعد ونفخر بذلك الشرف والتكريم من ربِّ العزة كما بشّرنا به صلى الله عليه وسلم.

اليوم... يوسف الصائم المشرق الوجه... العائد من المدرسة... يفيض نشاطاً رغم مشقة يوم دراسي في رمضان... ويقبل وبيمينه صحيفة كبيرة من ورق مقوًّى يضمُّها إلى صدره ويجري بها منادياً بابا... بابا.

اقترب مندفعاً يعرض عليَّ صحيفته البيضاء... كتب عليها بخط مجوّد بألوان قوية ساطعة خمسة أسماء مرتبة كعناوين وتحت كل منها عدة أسطر... الأول ... يوسف صلاح الدين الأيوبي، وبعده يوسف بن تاشفين، والثالث يوسف العظمة، أما الرابع فكان يوسف الـ.... وقد ألصق صورة يوسف الرابع فغطت بقية الاسم... ونبهته لذلك لاعتقادي أنه فعل ذلك خطأ لكنه فاجأني بالرد «لا... بل قصدت ذلك... فلا أظنُّ أن هناك من لا يعرف هذا الفقيه المجاهد... وينتظر إطلالته على



شاشة التلفاز...!».

بالخط الكوفي كتب عن صلاح الدين... بني يوسف دولة الوحدة من مصر والعراق والشام والجزيرة، قاد حرب التحرير، هزم الغزاة الصليبيين في حطين، وأوفى بعهده فنفّذ بسيفه الجزاء العادل في مجرم الحرب «ارناط» سفاح حصن الكرك الصليبي في جنوب الأردن.

كانت كلمات الوحدة وحطين والقدس والكرك مكتوبة بألوان حمراء وخضراء وسوداء على خلفية بيضاء فبدت أشبه برايات النصر والفرح... وفي دائرة جعلها في منتصف الفقرة رسم خوذة يعلوها سنان الرمح العربي، وعن الثاني كتب «موحد الأندلس قاهر الإسبان بطل معركة الزلاقة ومؤدب أقزام ملوك الطوائف... المتخاذلين»... واعترضت على الترتيب... كيف وضعت ابن تاشفين ثانياً وقد كان قبل صلاح الدين بمئة عام؟

ولم أنتظر جواباً، بل واصلت القراءة عن الثالث... كتب كلمات «الشهيد وميسلون ودمشق» بخط الثلث وبالألوان الثلاثة نفسها على هلال ويحتضن صورة الجامع الأموي وفي ساحته ضريح صلاح الدين وفوقه خوذة السلطان الخضراء... وسيفه الدمشقي.

لكن عن الرابع كانت الكلمات مختلفة: «العالم المجاهد الشجاع المجتهد الذي ...» ولم يكمل الكتابة، ولكنه ألصق صورة يوسف الرابع بعمامته الأزهرية ونظارته... قرأت كل هذا وأثنيت على ما كتب وعلى حسن الخط والترتيب في صحيفته... لكنني توقفت عبر الفقرة الخامسة مرات عدة وأنا أقرأ... تحت عنوان «يوسف الخامس».

يوسف بن عُمر بن عبدالسلام العجلوني الدمشقي اليماني المصري الفراتي القيرواني الوهراني.

صدق الدعوة... وأخلص العزم... على طريق جده الأكبر الإمام العز... ولد في ظل قلعة صلاح الدين شرقي عجلون المطلة على مرقد أبي عبيدة في وادي الأردن، وقبالة روابي شمالي القدس، وتبعه المخلصون وتعاظم جنده... وأخذ بأسباب العلم والصناعة... أحسن الزرع والبذار في الأرض... وبنى قاعدة عظيمة للكمبيوتر، جمع الشمل ووحّد الصف ودخل بيت المقدس فاتحاً صبيحة الخميس الموافق للسابع والعشرين من رمضان على طليعة من مجاهدي اليمانية والوهرانية والمرابطين وأهل السودان في الميمنة... والبصريين وأهل الشام والقندهارية والسمرقندية عن الميسرة... وفي القلب بنو الكنانة والقحطانية ونزار... وفهود جلفار... وقد عاد وكرر موقف صلاح الدين مع الغزاة الصليبيين بعد النصر... فصفح عن كثير من المرتزقة القتلة فسمح للآلاف المؤلفة منهم بالخروج بسلام من أرض فلسطين إلى بلاد الشتات التي جاؤوا منها رغم كل ما فعلوه بعرب الأرض المباركة... وقد أغضب هذا كثيراً من أهلنا الذين أرادوا محاكمة هؤلاء مثل بني قريظة... وقد...

توقف عند كلمة «قد» ليكمل فيما بعد كما اعتقد، وعندما التفتُّ إليه قائلاً «حسناً ولكنني لا أعرف شيئاً عن هذا الأخير فمن يكون...؟»

نظر في عمق عينيَّ وقال بكلمات كلها ثقة... هو يوسف الخامس كيف لا تعرفه...!؟ أنا أعرفه تماماً وكثير غيري يعرفونه... بل أنت تعرفه... هو بإذن الله قادم برجاله... ولن يتأخر... نعم إنه قادم... هو «يوسف الخامس»... هذا أكيد... وقد صدر فيه العهد.

هنا انتشيت... ونظرت في عمق عيني يوسف واحتضنته... وضممته إلى صدري... وبدت أمامي في الأعالي أسرابُ الحمام تحلّق حول هلال في أعلى منارة مسجد «خالد» بينما ظهرت طائرات مقاتلة تحوم حول مدينتنا وترسم على صفحة سمائها خطوطاً بيضاء كأنما ترسم خريطة أو تكتب كلمات.. جعلت يوسف الصغير ينتفض... «بابا... بابا أنظر... يو... يو... وهذا حرف السين... وهذا حرف الفاء... طائراتنا تكتب اسم يوسف... في الفضاء... أنظر... أنظر...

كان يقولها ويشدُّ بقوة بأصابعه الرائعة على كفي وأنا أنظر إلى ذاك الذي يُسجل في الفضاء كلمات يسوف... من أجل يوسف... «جميل هذا الذي كتبته... ولكن هذا أشبه بقصة... لو أنك جعلت لها خاتمة مثيرة كما يُقال... ابتسم ثانية... وقال: نعم... ولكن من سيكتب الخاتمة الجميلة بإذن الله هو يوسف الذي عاهد على أن يوافي ذات يوم قريب... ومعه الخاتمة»... تقصد...!!؟

إذاً فأنت على موعد؟!

وبرأسه أومأ مؤيداً... نعم... نعم... أنا أقصد... نحن على موعد.. مع يوسف... ويوسف... و... و... يوسف... أيضاً..

فرغت من القراءة ونظرت في عينيَّ مضيِّفي... «لم أكن أظنُّك قاصاً أو حتى كاتباً من طراز عادي... أما الآن... فأنت... «قاطعني أبوبكر... لا بل أنا... أبوبكر... أبو يوسف... وابتسم مكرراً الترحيب بي ●

إعداد : أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

(ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً)

الفرقان: ٢٧ - ٢٩.

من هدي رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ: «ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد والاقتصاد في الفقر والغنى، وكلمة الحق في الغضب والرضا. وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه».

«رواه البيهقي والبزار».



إضاءة

الصدق هو الفارق الحقيقي بين الإيمان والنفاق. الصدق في مواجهة النفس ومواجهة الواقع مهما كان أليماً مريراً. وبالطبع لن تكون مثل هذه المواجهات إلا من صاحب عقيدة قوية متأصلة، إذ من العقيدة المتأصلة ينبعث نور باطني فيضيء جوانب النفس الإنسانية، ويبعث فيها القوة والحياة، ومن ثمَّ يستعذب صاحبها الألم ويستصغر العظائم، وبهذا يصبح أبيّاً صامداً صابراً ينتصر على وسوسة الوسواس الخناس ويقلب نفسه الأمّارة بالسوء ويبقى، مع عقيدته كالطود الأشم.

دعوة المظلوم

لما حُبس جعفر بن يحيى البرمكي وأبوه بعده بعد أن كان وزيراً لهارون الرشيد الخليفة العباسي قال لأبيه:

يا أبت بعد الأمر والنهي أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف، فقال الأب: يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها!!.

موت القلب

قيل إن موت القلب يأتي من: عرفتم الله ولم تؤمنوا به. آمنتم بالرسول ولم تعملوا بما أمر به. رأيتم الموت ولم تستعدوا له. عرفتم الجنة ولم تعملوا لها. عرفتم النار ولم تبتعدوا عنها.

غربة الأحرار

لست أشكو حال جفني والكرى ... إن يكن بيني وبين النوم صلح

كم أداوي القلب قلت حيلتي ... كلما داويت جرحاً سال جرح

ولكم أدعو... ومالي سامع ... فكأني عندما أدعو أبح

حسنوا القول وقالوا عزبة ... إنما العزبة للأحرار ذبح

«ابن النحاس الحلبي»

في ليلة الهجرة

قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجزري أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: (وإذا يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال: ٣٠.

قال: تشاورت قريش ليلة الهجرة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك، فبات عليٌّ على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أصبحوا ثاروا عليه فلما رأوا علياً وردَّ الله عليهم مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ فقال: لا أدري، فاقتفوا أثره، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسيج العنكبوت، فمكث فيه ثلاث ليال. وهذا إسناد حسن وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على باب الغار وذلك من حماية الله لرسوله صلى الله عليه وسلم

الهجرة

هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة بدء صفحة جديدة ناصعة للمسلمين ولولا الهجرة لما كان هناك إسلام.

وللهجرة الغراء في القلب رنَّة
ففي كل عام ذكرها يتجدد
فتوحي لنا معنى الحياة كريمة
ومعنى جهاد فيه عزٌ وسؤدد

ما أحوج المسلمين إلى الهجرة في حاضرهم بكل المعاني التي وجه إليها الإسلام في كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً) النساء:١٠٠.

ذم الدنيا

قال رجل لعلي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال: ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من صح فيها أمن، ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فتن، ومن افتقر حزن.

بين غلام وعمر بن عبدالعزيز

لما ولِيَ الخلافة عمر بن عبدالعزيز، وفدت الوفود من كل بلد لبيان حاجتها، وللتهنئة، فوفد عليه الحجازيون، فتقدم غلام هاشمي للكلام، وكان حديث السن، فقال عمر: لينطلق من هو أسن منك.

فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك.

فقال عمر: صدقت، قال ما بدا لك.

فقال الغلام: أصلح الله أمير المؤمنين، ونحن وفد تهنئة لا وفد مصيبة، وقد أتيناك لمنِّ الله الذي منَّ علينا بك، ولم يُقدِمْنا إليك رغبة أو رهبة.

أما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا، وأما الرهبة فقد أمنا جورك لعدلك.

فقال عمر: عظني يا غلام.

فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، إن ناساً من الناس، غرَّهم حلم الله عنهم وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم، فزلت بهم الأقدام فهووا في النار.

فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك، وكثرة ثناء الناس عليك، فتزل قدمك، فلا جعلك الله منهم وألحقك بصالحي هذه الأمة.

ثم سكت، فقال أمير المؤمنين: كم عمر الغلام؟

فقيل له: إحدى عشرة سنة.

فأثنى عليه خيراً وعالة.

صوم عاشوراء

ذكر العلماء أن صوم عاشوراء على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: صوم ثلاثة أيام التاسع والعاشر والحادي عشر.

المرتبة الثانية: صوم التاسع والعاشر.

المرتبة الثالثة: صوم العاشر وحده.

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

إسألوا أهل الذكر

هل يجوز عقد المداينة بهذه الشروط؟

يقوم بنك التسليف والإدخار بإقراض المواطنين قروضاً اجتماعية للزواج، ويحوي عقد المداينة بنوداً نريد أن نعرف مدى شرعيتها فتكرّموا ببيان ذلك ولكم منّا جزيل الشكر والامتنان.

نص العقد: أقر بمديونيتي لبنك التسليف والإدخار بالقرض الاجتماعي البالغ (..... د.ك) فقط وأتعهد بسداد المبلغ على أقساط شهرية متساوية بواقع (.... د.ك) فقط اعتباراً من (٨...) علماً بأنني التزم بدفع غرامة تأخير مقطوعة قدرها ١٠د.ك إذا تأخرت عن سداد أحد الأقساط وإذا أنذرت على يد محضر، أو مبلغ ٢٠ د.ك إذا تكرر الإنذار، كما يستحق كامل رصيد القرض والغرامات إذا تأخر المدين عن سداد ثلاثة أقساط شهرية متتالية أو خالف شروط الإقراض حسب لوائح البنك.

ملاحظة: ما حكم من وقع في هذا الأمر وهو جاهل بهذا الشرط وكيف يتصرف بما بقي عليه من دين؟

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

المسؤول عنه قرض فيه شرط يتضمن فائدة ربوية فَحُرِّم لذلك، فإذا تورط فيه إنسان عن جهل، فإن عليه بعد العلم أن يعمل على سداده في أقرب وقت ممكن ولو ببيع سلعة أو اقتراض من آخر قرضاً حسناً من دون فوائد أو غير ذلك من التصرفات المباحة شرعاً، تخلصاً من هذا العقد المحرَّم، ثم التوبة النصوح إلى الله تعالى ●

حكم جوائز المسابقات

عرض على لجنة الأمور العامة في هيئة الفتوى في اجتماعها المنعقد يوم الثلاثاء ١٨ من شعبان ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠/١١/١٤م الاستفتاء المقدم من رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي ونصه:

بما أن المجلة ستنشر خلال شهر رمضان المبارك، العام ١٤٢١هـ وبالتعاون مع إدارة الثقافة الإسلامية، المسابقة الرمضانية التاسعة وهي عبارة عن ثلاثين سؤالاً في الثقافة الإسلامية العامة، وقد رصدت المجلة جوائز نقدية وأربعة مقاعد للحج مع إحدى الحملات الكويتية للفائزين في هذه المسابقة داخل وخارج الكويت من خلال إرسال كوبونات خاصة ستنشر في المجلة ولا يحق للمتسابقين دخول المسابقة إلا من خلال الكوبون المنشور في المجلة.

لذا يُرجى التكرُّم بعرض الموضوع بصفة الاستعجال على لجنة الإفتاء لأخذ الرأي الشرعي بذلك.

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

- لاترى اللجنة مانعاً شرعياً من القيام بهذه المسابقة، وتقديم الجوائز التشجيعية للمشاركين المتفوقين فيها.

- ولا بأس أن تكون الجوائز نقدية، أو عينية، أو مقعداً في حملة حج أو عمرة إذا توافرت الشروط التالية:

١ - أن تكون الجوائز متبرعاً بها من قبل الوزارة، أو من جهة أخرى غير المتسابقين.

٢ - عدم زيادة سعر المجلة بسبب هذه المسابقة.

٣ - وعلى المشتري ألا يقصد بشرائه المجلة الجائزة فقط، وإلا كان فعله مقامرة، وهو حرام، وهذا الشرط يختص بالمشتري.

- وتوصي اللجنة المجلة بوضع هذا الشرط في الكوبون مع شروط المسابقة ●

استبدال المعاش التقاعدي

تقدم إلى اللجنة أحد الأشخاص وقدَّم السؤال التالي: ما الحكم الشرعي في استبدال المعاش «ما يُسمَّى ببيع المعاش»؟

- أجابت اللجنة:

إنه إذا كان هذا الاستبدال بين صاحب المعاش والدولة فلا ترى اللجنة في ذلك بأساً، لأن المعاش لا يأخذ حكم الدين، ولا حكم التركة، بل هو صلة من الدولة لصاحبها، ولورثته من بعده، أما إذا كان الاستبدال لغير الدولة فترى اللجنة حرمة ذلك ●

نفقة الزوجة الغنية

ما أحقية معاش زوجتي، حيث إنها موظفة، وتقوم بجميع واجباتها المنزلية والعائلية على الوجه الأكمل، فهل لي سلطة على معاشها، أم أنه من حقها لوحدها؟

- أجابت اللجنة:

إنه لا حق له في معاشها، ولكن لو أعطته شيئاً باختيارها فله أخذه باعتباره هبة، وأنه ملزم بنفقتها ●

ما ينبغي مراعاته فيما يستورد من اللحوم

عُرض على لجنة الفتوى السؤال الوارد من وزارة التجارة والصناعة، بخصوص اللحوم المستوردة: سواء المعلّبة والمجمدة والطازجة، ماذا ينبغي أن يراعى فيها حتى يكون استيرادها واستهلاكها مشروعاً في البلاد الإسلامية؟

أجابت اللجنة بما يلي:

إن لحوم الحيوانات المائية تُباح دون ذكاة، وأما الحيوانات البرية فهناك حيوانات لا تنفع فيها الذكاة كالخنزير والسباع المفترسة والكلاب والحمر الأهلية، وأما ما عداها فإن لحومها تكون مباحة إذا ذبحها مسلم أو كتابي «يهودي أو نصراني» ولا تُباح ذبائح المجوس ومنكري الأديان كالشيوعيين، ويكون الذبح الشرعي الصحيح بقطع المريء والحلقوم والودجين أو ثلاثة من هذه الأربعة على الأقل، إذا قطع ذلك من الحيوان، وفيه حياة مستقرة، وهذا إن كان الحيوان مقدوراً عليه.

أما الصيد وغير المقدور عليه من الحيوانات، فإن كان الصائد مسلماً أو كتابياً وأرسل السهم أو نحوه مما يخرق بعد تسمية الله عليه فقتله السهم بحده جاز أكله، وإن أدركه الصائد حياً لم يحل إلا بتذكيته، وإن وجده غريقاً في الماء فلا يؤكل.

واللحوم المستوردة من بلاد أهل الكتاب يحل أكلها، إلا إذا تيقن أن ذابحها من غير المسلمين وأهل الكتاب، أو أنها قتلت خنقاً أو بصورة غير جائزة شرعاً.

وأما اللحوم المستوردة من البلاد المجوسية والشيوعية فيحل أكلها إن كان معها شهادة من جهة إسلامية موثوقة تثبت أنها ذُبحت على الطريقة الإسلامية، ولا يحل أكلها إن لم يكن معها مثل تلك الشهادة ●

بيع المريض

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي: رجل مريض بورم مثانة خبيث، ولكنه لم يرتم وبكامل قواه العقلية والجسدية، ولم يترك عمله التجاري ولا يوماً واحداً، وهو يتنقل من بلد إلى آخر بسبب أعماله التجارية، باع نصف منزله السكني إلى زوجته والبيت ينفرز إلى قسمين، فباعها قسماً منه بيعاً قطعياً وأمام شهود وكاتب عدل، ويرافق هذا تقرير طبي، يثبت أنه خال من الأمراض العقلية، وتم البيع والشراء وسلّمها سند التمليك، وبعد أسبوع توفي الرجل، فما الحكم الشرعي من هذه العملية؟ هل يحق إرجاع البيت للورثة؟ أم أن ثمن البيت؟ يبقى مثلما باعه إلى زوجته؟

- أجابت اللجنة:

إن كان هذا المرض تزايد في أيامه الأخيرة حتى اتصل بالموت فيكون تصرفه قد صدر في مرض الموت، فإن كان البيع بأقل من ثمن المثل فيعتبر النقص وصية لا تنفّذ إلاّ بإجازة بقية الورثة بعد الوفاة، وإن كان المرض لم يزدد وكان كما جاء في السؤال لم يعقده عن مباشرة أعماله ومصالحه المعتادة فيكون تصرفه نافذاً ●

دفع الزكاة للمجتمع الإسلامي

هناك مشروع إنشاء مجمع إسلامي يهدف أساساً إلى مواجهة نشاطات الغزو الفكري الصهيوني الإلحادي في المنطقة، الذي يهدف أساساً إلى هدم العقيدة الإسلامية في نفوس المواطنين وبخاصة بين الشباب.

وسيقوم المجمع من أجل هذا الغرض بإنشاء ما يلي:

أ - مدرسة إسلامية.

ب - مستوصفاً خيرياً.

جـ - مكتبة إسلامية.

د - هيئة من الوعاظ لتثقيف الشباب.

فهل يجوز استخدام أموال الزكاة من أجل هذا الغرض حسب الأهداف الموضحة أعلاه؟

- وبعد عرض الموضوع على اللجنة أجابت بما يلي:

إن ما ذُكر في السؤال داخل تحت باب (وفي سبيل الله) وعلى هذا يجوز صرف أموال الزكاة على هذه المنشآت الإسلامية على أن يؤخذ أجر مناسب من الأغنياء الدارسين في هذه المدرسة الإسلامية ومن الأغنياء المرضى الذين يعالجون في هذا المستوصف الخيري ●

تقدير الحاجة اليومية للفرد من النفقة

ما تقدير الحاجة الفعلية للفرد في اليوم؟ وهل يجوز قياس قيمة الكفارة، وهي الإطعام، على ذلك؟

- أجابت اللجنة:

إن الأصل في تقدير الحاجة الفعلية للفرد في اليوم مراعاة الظروف الاجتماعية، والفردية لكل شخص بحسبه، ويمكن لمتولي الصرف أن يتحرّى لمعرفة ما يسد تلك الحاجة، وينبغي في مثل هذه الأمور الاستعانة بأهل الخبرة الموثوق بهم شرعاً. أما قيمة الكفارة، وهي الإطعام أو الكسوة، فلا يُقاس عليها، ولا تُعتبر ضابطاً للحاجة الفعلية للفرد يومياً، لأن هناك حاجات أخرى غير الإطعام والكسوة، مثل: السكن، ونفقات التعليم، والتطبيب... إلخ ●

دفع الزكاة لزوج البنت الفقير

رجل له ابنة مريضة وتحتاج للعلاج في الخارج وزوج ابنته ليس لديه المال الكافي لعلاجها، فهل يجوز لوالدها أن يعطي زوج ابنته من الزكاة؟

- أجابت اللجنة:

إن كان زوج البنت لا يملك ما يكفي لعلاج زوجته جاز للرجل أن يعطيه من الزكاة تكملة ما يكفي لعلاجها ●

■ عبدالستار خليف

البكاء بين يديّ زهرة المدائن



يا زهرة المدائن، يا عبق الأرض المقدسة، جئناك ـ في هذه الأيام المباركة ـ جئنا من الأقاصي البعيدة ـ لنقف بين يديك، ولا نملك شيئاً لك يا عظيمة، سوى البكاء على الأطلال القديمة، فمعذرة.

لا أدري لماذا أتذكرك كل عام، في هذا الوقت بالذات، أسأل نفسي في انكسار: هل أنت سعيدة مثلنا، في هذه الأيام المباركة، ونحن مقبلون على الأعياد الرائعة للتضحية والبذل والفداء؟!

يا زهرة المدائن ـ يا عظيمة ـ يا مدينة الأقصى ـ أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم. أصبحنا نقف مكتوفي الأيدي، عاجزين ـ يا قدس ـ أمام الزحف اليهودي عليك وحصارك وخنقك وطمس هويتك العربية والإسلامية.

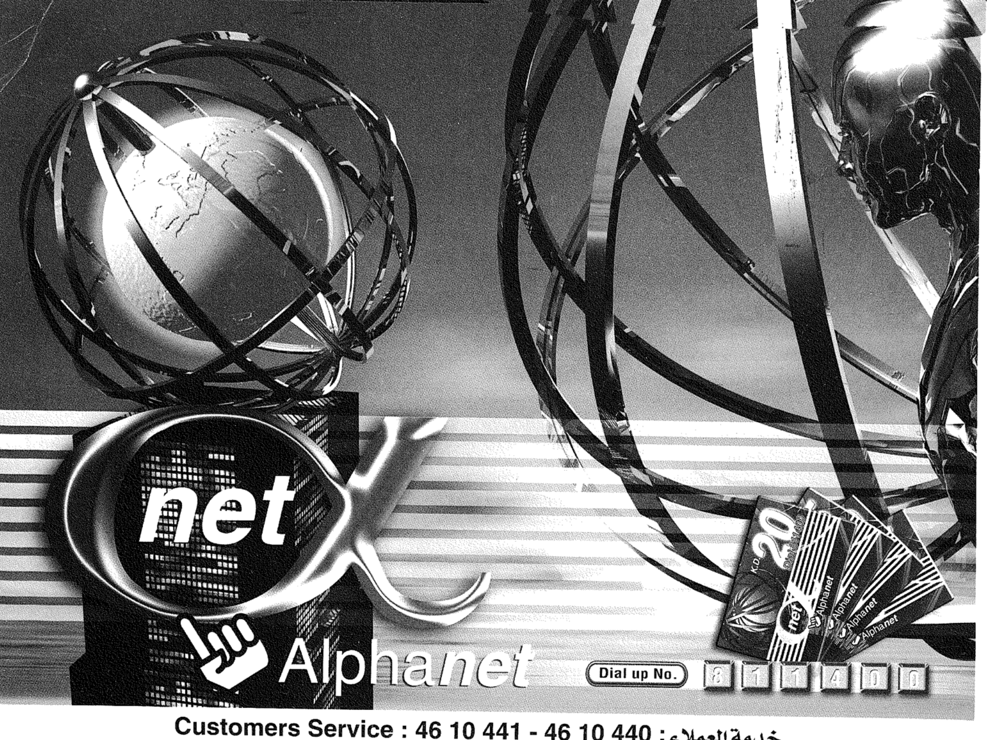
يا زهرة يا حزينة، يا مكبلة بالقيود والأغلال، ومحاطة بالأعداء والذئاب الشرسة... يتربصون بك، يتحينون الفرصة للانقضاض عليك، لغرز أنيابهم المسمومة ـ المسعورة ـ في بدنك الطاهر الشريف، لتمزيق أوصالك وتدميرك ليسهل عليهم ابتلاعك وإقامة الهيكل المزعوم، والعالم يقف متفرجاً، لا يحرك ساكناً، وأنا المشلول بلا حراك يا حبة القلب. تساوي عندنا الحزن والسعادة، والضحك والبكاء.

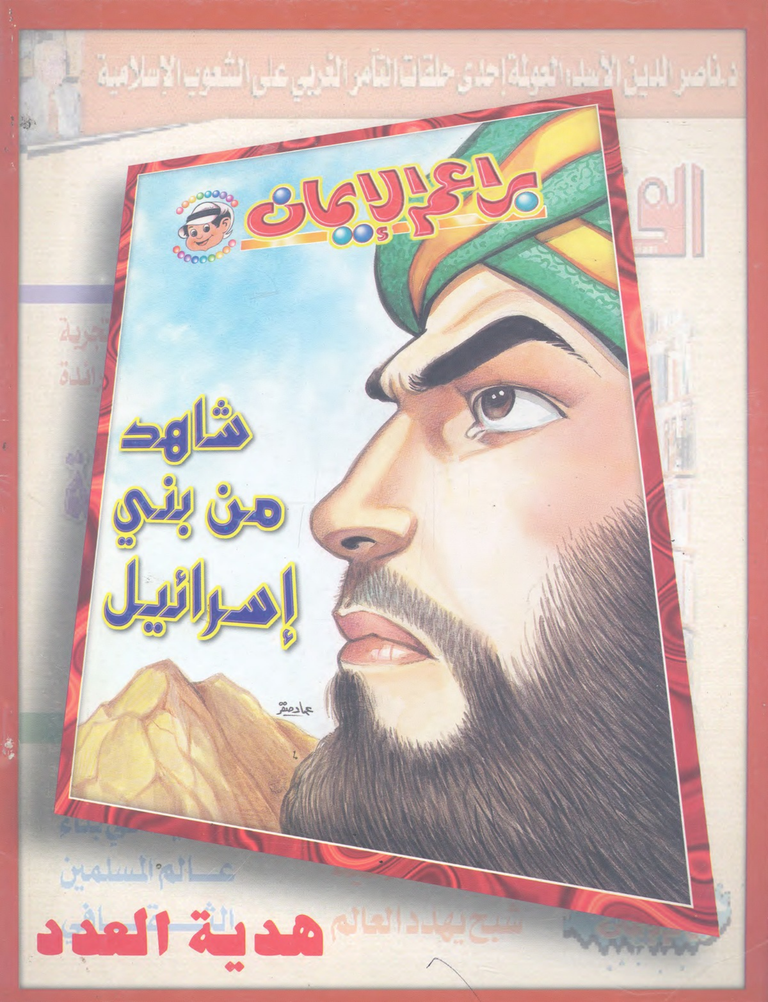
عيني عليك يا زهرة المدائن. أنت الفداء لنا، وأنت الضحية التي نقدمها قرباناً إلى الجلاد لنضحي بها عن أنفسنا وعجزنا، فالكل آثر طريق السلامة والكل يشاهدك ويرى الذئاب وهي تتربص بك ويصمت... يا عبق الماضي ورمز التحدي والصمود، وروح الأجيال القادمة... يا زهرتي الغالية.

أبكيك يا زمني العقيم... الذي عجزت النساء فيه عن إنجاب صلاح الدين. متى يتمخض الزمان وينجب لنا الفرسان؟!

يا زهرة المدائن... جئتك مع من جاء إليك في أعيادنا، لا لشيء، إلا أن نقف بين يديك... نقدم المعذرة، ونطلب الصفح منك ـ فنحن أبناء زمن الجحود والنكران، والندم والبكاء على اللبن المسكوب!!

والآن، ما بيدنا أن نفعله لك... يا شهيدة، والزمان قد أعطانا ظهره، غاضباً منا وعلينا ـ فهل يجود الزمان المقبل بأناس غيرنا، رجال أقوياء، لا يعرفون المساومة أو التهاون أو المهادنة... أو البكاء مثلنا ●


net
Alphanet
Dial up No.
8 1 1 4 0 0
K.D. 20
Alphanet
Alphanet
Alphanet
Alphanet
Customers Service : 46 10 441 - 46 10 440 : خدمة العملاء


د.ناصر الدين الأسد: العولمة إحدى حلقات التآمر الغربي على الشعوب الإسلامية
براعم الإيمان
شاهد
من بني
إسرائيل
عماد صقر
عالم المسلمين
شبح يهدد العالم
هدية العدد